إكتشفتُ زَوجى فى الأتوبيس

دعاء عبد الرحمن
(مشاعر غالية)


دعاء عبد الرحمن
رواية
اكتشفت
زوجي في الاتوبيس

سأقص عليكم حكايتي
ولكن أرجوكم تمهلوا قليلاً قبل أن تطلقوا الأحكام
فما مررت به ستمر به فتياتكم وبناتكم إن لم تنتبهوا

فاحذروا !

(١)

أنا اسمي " منى" فى المرحلة الثانوية ومدرستي للبنات فقط ، أنتمي للطبقة المتوسطة والتى تكاد تندثر ببلدنا، محجبة ، " طارق" هو أكبر إخوتي وهو متزوج ويسكن بالجوار ويليه "هشام" وهو خاطب من فتاة تكبرني بعدة أعوام ولكنه يعمل فى إحدى الدول العربية فى الوقت الحالي .
أنا أصغر إخوتي ووحيدة جدًا جدًا ، أبى مشغول دائمًا فى عمله أو مع أصدقائه؛ لذلك كانت أمى هى المسئول الأول والأخير عن كل شيء يخص المنزل أو يخصنا نحن الأبناء.

أمى كأي أم مصرية عادية للغاية ، طيبة، ومطيعة لوالدي لأقصى حد من الممكن تصوره ولا تستطيع حتى مناقشته فى الأمور اليومية فهى لا تجيد أمامه سوى كلمة " حاضر " ؛ لذلك لم يكن من الغريب أن أصبح ما أنا عليه الآن ، شخصية مهزوزة .. متوترة .. أتطلع إلى أصحاب الرأي وكأنهم من كوكب آخر .. التقليد منهجي والنقمة على حالي من أهم هواياتي ، فلم يكن قاموسي يحتوى سوى على نصف الكوب الفارغ فقط وذلك كان سبب جميع مشاكلي فيما بعد .

وخلال ثلاث سنوات كاملة ويوميًا وفى طريقي إلى مدرستي ألحظ " طارق" أخى الأكبر يمشي خلفي ويراقبنى دون سبب وكأننى مجرم تحت المراقبة والمضحك أنني إعتدت على ذلك وهو لا يعلم أنى أراه من الأصل ، كنت مستسلمة تماما لما يحدث حولى وكل ما يهمني هو الخروج من هذا المنزل فقد سئمت تساؤلاتى حول شخصيته المتشككة فى كل امرأة وفتاة على وجه البسيطة لا يتعب ولا يمل ، حتى انتهى العام الدراسي الأخير بشق الأنفس وقد حصلت على درجات تؤهلنى بالكاد لدخول كلية الشعب " التجارة "

أول يوم دراسي بالجامعة كنت كما يقولون " زى اللى كان فى جَرة وطلع برة " دُهشت بشدة عند رؤيتي لكل هذا العدد من الشباب والرجال " إيه ده كل دول ولاد ؟ كانوا فين دول !! "

وكرد فعل طبيعي زاد إنطوائى وخِفتُ أكثر وأصبحت أذهب للكلية وأعود وكأنني سراب أو غير مرئية ، إلى أن قابلت " سماح " .

كانت " سماح " زميلة لي فى السنة الثانية من المرحلة الثانوية ثم تركت المدرسة وانتقلت لمدرسة أخرى لانتقال أسرتها إلى مكان إقامة جديد فلم أراها منذ ذلك الحين ومن الأصل كانت معرفتي بها معرفة شكلية فقط وتحية بعيدة وفقط ، حتى قابلتها فى الكلية وتعرفت عليها برغم من تغير ملامحها قليلا بفضل طبقات ألوان الزينة المتراكمة فوق بشرتها وعينيها وطلاء شفتيها الداكن لدرجة غريبة ، مظهرها الجديد أقلقني وجذبني فى نفس الوقت ولكن طبيعتى الجبانة أمرتنى أن أستدير وأنصرف دون أن أكلمها، ولكنى فوجئت بها تحث الخطى نحوي بابتسامة واسعة وهى تقول :
- أنتِ كنتِ معايا فى مدرسة (.....) صـــح ؟

إحتضنتني بشدة وأنا فى حالة ذهول ودهشة وفرحة وابتسامة بلهاء !

فى يوم وليلة أصبحت "سماح" صديقتى الحميمية وصارت وجهتي وقدوتي ومثلي الأعلى فى كل شيء ، كلمة تقليد كانت قليلة على ما كنت أفعله ، ولكن بيئتي كانت تحكمني فلم أستطع تغيير طريقة

اختيارى لملابسي ولكني كنت آخذ مجموعة ألوان الزينة بحقيبتي وعندما أدخل بصحبتها حمام الكلية أضع الألوان على وجهي فتتغير ملامحي تماما وكأنني أخرى لا أعرفها ولكنى أحبها هكذا متمردة !.

"سماح" كانت سعيدة جدا بي وقد أصبحت كالعجين بيدها تشكلنى كيفما تشاء وقد كانت تعلم بمراقبة أخي لي فى البداية فتأخذنى وتخرج بي من أبواب أخرى بخلاف باب الكلية المعتاد وكنت أنا منبهرة بالمغامرات التى تقودني إليها ، وسعيدة بأن مراقبي قد مل من كثرة عدد أبواب الجامعة وتفرقها فعدل أخيرا عن فكرة المراقبة ووجه طاقته نحو زوجته ومضايقتي فى المنزل فقط !

أتذكر خفقان قلبي للمرة الأولى وأنا أخطو بداخل أحد دور السينما وأنظر حولى كالبلهاء وكأنها كوكب مختلف عن كوكبي .

بعد عدة أشهر أصبحت تلك الأماكن معتادة لدي وأصبح الكذب على والدتى اسمه ذكاء وفطنة وتحرر من القيود وبالطبع كان من النادر تواجدنا فى مدرج الكلية ، ورغم كل ذلك فكل ما فات كان أبسط بكثير مما هو آتٍ .
فى أحد الأيام وأثناء جلوسنا بكافتريا الكلية مالت "سماح" بجزعها مستندة إلى الطاولة وهى تقول بسأم :
- أنا زهقت من الفسح والخروج ، ماتيجى نغير شوية
- إزااى ؟
ابتسمت سماح وقالت :
- تيجى نروح عندى البيت أفرجك على ألبومات صور من ساعة ما كنت صغيرة لحد دلوقتى ونقعد فى البلكونة أحكيلك على مغامراتى ، يعنى أهو نضيع وقت وخلاص قلت بتردد:
- لا يا ستى هاتكسف من أهلك
زفرت "سماح" بقوة ثم قالت :
- ماتبقيش هبلة ، بابا وماما عساسيل خالص ومتفتحين وبعدين إحنا هنقعد فى أوضتي يعنى هنبقى براحتنا خالص
وبتفكير وببعض القلق المشوب ببعض الحماس قلت :
- ماشى
منزلها كان أنيق للغاية مما جعل حالة القنوط وعدم الرضى على حياتي ترتفع معدلاتها لأقصى حد وبالأخص حينما قابلت والدتها ووالدها قبل أن يخرج لعمله ورأيت أن هناك نوع آخر من الآباء من الممكن أن يضحك مع ابنته ويضمها بفكاهة ويبتسم ويرحب بصديقتها ، والأغرب أن والدتها قالت له فى إحدى عباراتها كلمة " لا " فهل هذا معقول ؟!

دقائق وذهب والدها لعمله بينما إلتقطت والدتها الهاتف وأخذتني "سماح" لغرفتها وردية الطلاء ، غرفة رائعة رغم بساطتها ورغم احتوائها على كل ما تحتاج بالإضافة إلى مساحة واسعة للتحرك بسلاسة عكس غرفتي التى بالكاد تتسع للسرير وخزانة ملابس صغيرة وجهاز الحاسوب الذى لا أفقه فيه شيء سوى محادثتي أنا وأمى الأسبوعية لأخى "هشام" عن طريق برامج الاتصالات عبر الشبكة العكنبوتية فهى أرخص بكثير من محادثات الهاتف .
- إيه يابنتى فوكى كده وخاليكى براحتك أنتِ فى بيتك
- أفك إيه ؟
لوحت بيدها وهى تقول :

- فوكى الحجاب ، إستنى أجيبلك هدوم علشان تقعدى براحتك
إعترضت بشدة :
- لالا هدوم إيه وبعدين مينفعش أفك الحجاب يمكن حد يدخل علينا
- محدش هيدخل .. إيه اللى هيجيبهم هنا وأخويا مش بيصحى إلا المغرب
إنتفضت مكانى هاتفة :
- أخوكى ! أنتِ مش قولتِ أنه ماعندوش أجازات النهاردة
- منا كنت فاكرة كدة ولما جيت هنا ماما قالتلى إنه جه الصبح ومن كتر تعبه دخل نام أصله ياعينى منامش طول الليل بيتعبوا أوى بتوع الجيش دول الحمد لله أن إحنا بنات معندناش جيش
- إنتِ بتستهبلى والله يا سماح وكمان عايزانى أفك الحجاب
- بقولك إيه هتعمليلى فيها أم الشعور خلاص ياختى خاليكى كده حرانه وزهقانه هاتشربي إيه يابرنسيسة ؟
- أى حاجة

بعد خروج "سماح" من غرفتها انتابني فضول شديد ، وددت التعرف على أشيائها وخزانة ملابسها ومنضدة الزينة الخاصة بها وما عليها والصور المعلقة على الجدران ، وفجأة سمعت من يهتف من خلفي عند باب الغرفة :
- سمااااااح إنتِ جيتى إمتى يـــ ..
إلتفت بفزع وذهول لأجده يقف عند الباب المفتوح وقد ابتلع بقية عبارته وينظر لي بدهشة قال:
- أنا .. آسف ماكنتش أعرف أن سماح معاها حد
وقبل أن يستدير هتفت سماح باسمه وهى تحتضنه بسعادة كبيرة
سماح:
- حبيبى إنت صحيت إمتى حمدلله على السلامة ومزاح
إبتعدت عنه قليلا ثم نظرت لي بحرج قائلة :
- معلش يا منى ماكنش يعرف إنك هنا ، ده سامح أخويا ماتتخضيش كدة
ثم قدمتنى له قائلة:
- شوف بقى يا حبيبى دى منى صاحبتى الأنتيم
سامح بابتسامة :
- أهلا وسهلا نورتى يا آنسة منى
ثم إلتفت سامح إلى أخته قائلا:
- مقولتليش يعنى يا سماح إن عندك صاحبات حلوين كده
ضحكت سماح ضحكة عالية عندما لاحظت تورد وجهي وقالت :
- إيه يا منى إنتِ هاتكسفى من سامح ده زى أخوكى
عندما لاحظ قلقى إستأذن وانصرف سريعًا فتبعته سماح لدقائق ثم عادت مرة أخرى وما إن وقفت أمامي حتى قالت معاتبة :
- إيه يا منى مردتيش عليه ليه ؟
زفرت بقوة وقلت بضيق وخجل مما حدث:
- إنتِ تسكتى خالص .. كفاية الموقف البايخ ده
سماح:
- والله ماكنت أعرف إنه صاحى وهو ماكنش يعرف إنك هنا هى جات كده معانا خلاص بقى متوجعيش دماغى تعالى إشربى النسكافية

- طيب يا سماح هنشرب النسكافية ونمشى.. أنا محرجة جدا
هتفت سماح بنزق :
- نعم ياختى أنا هاضرب المشوار ده كله علشان النسكافية .. كنا شربناه فى أى حته وخلاص ..
البيت بعيد يا منى بلاش إستعباط
صمت مستسلمة لرغبة سماح وبعد قليل طرق سامح باب الغرفة فعدلت من جلستي سريعًا وسماح تهتف :
- أدخل
فُتح الباب وأدخل سامح رأسه بطريقة مضحكة وقال بتفكه :
- تشربوا شاى معايا
سماح:
- أه إعملى معاك
فنظر لي ووجه حديثه نحوي وكأنه يعرفني منذ زمن :
- وإنتِ يا منى تشربى شاي؟
قلت بحرج بالغ :
- لا شكرا
سامح بتساؤل:
- ليه مش بتحبيه ؟
منى:
- لا مش بحبه
مط شفتيه بأسى وهو يقول :
- يا عذابه
شعرت بالدماء تندفع بأوردتى بقوة وتلون وجهي لكلمته ، دقائق أخرى قليلة وعاد سامح حاملا معه صينية بها أكواب شاي له ولأخته وكأس عصير لي ووضعه أمامنا وجلس وهو يقول ببساطة:
- ممكن أزعجكوا شوية
سماح:
- بتستأذن ، مؤدب أوى يعنى
ابتلعت لساني وأنا أنظر إلى سماح وهي تلتفت إليه وتقول باهتمام :
- أحكيلى بقى محمد صاحبك عامل إيه
سامح:
- كويس الحمد لله .. بيحاول يشيل السلاح بس فى الغالب السلاح هو اللى بيشيله
وجدت نفسي أبتسم رغمًا عني ورغم اندهاشي ليس من سؤالها فقط وإنما من رده وكأنها تسأله عن الطقس مثلا وحدثت نفسي " أيه ده بتسأله على صاحبه عادى كدة .. وهو بيرد عليها عادى خالص .. ده أنا لو أخويا طارق عرف أنى فاكرة اسم صاحبه يقتلنى"
جذبتني عبارة سماح من شرودى عندما قالت:
- هو محمد مش جاى معاك الأجازة دى ولا إيه؟
سامح:
- لسه نازل بكرة
سماح:
- ياخسارة لسه بكرة ده قعدته ميتشبعش منها
سامح :

- بكرة هايجى عندنا طول اليوم يقرفنا إبقى إشبعى منه براحتك وريحينى من إزعاجه شعرت بأن عيني تدور في مكانهما كما يحدث في أفلام الرسوم المتحركة وابتسامة بلهاء مرتسمة على وجهي بمنتهى السذاجة وأتمتم بداخلي " ينهار مش فايت !! عادى كده ؟..
هما فيهم حاجة غريبة ولا أحنا اللى عايشين فى كهف"

ومرة أخرى يجذبني حديث سامح ليخرجني من حالة البلاهة التي أعاني منها ببعض المواقف المضحكة والنكات التى استمرت طوال جلسته معنا وخطوة خطوة ذهب الخجل أدراج الرياح وعلت ضحكاتي بل وتفاعلت معهما بما أحفظ من نكات مضحكة وأصبحت الجلسة حميمية وكأننا أصدقاء منذ زمن بعيد ، وفي النهاية رأيت سماح تمسك برأسها وقد تجعد جبينها بقوة وهي تتأوه ثم نهضت تبحث عن دواء مسكن.
فقلت بحرج :
- طيب أنا هقوم أروح بقى
حاول سامح أن يثنيني عن رغبتي فى الرحيل ولكننى رفضت بتهذيب فقالت سماح بتأوه وهى تضغط جبينها :
- أنا مش هقدر خالص يا منى معلش
قلت لها بهمس:
- مش قولتى هتيجى تعرفينى أروح أزاى أنتِ بتستهبلى
هتفت بعصبية:
- إيه يا منى ... مش شايفة دماغى هتفرقع إزاي
وتابعت وهى توجه كلامها لسامح :
- معلش يا سامح ممكن تنزل مع منى تعرفها الطريق أصلها أول مرة تيجى هنا
سامح:
- معلش ليه يا سماح مفيش مشكلة خالص أنا فاضى
رفضت اقتراحها بانفعال فغضبت بشدة وهنا تدخل سامح قائلا ببساطة :
- إيه بس إنتوا عاملين أزمه ليه .. مالك بس يا منى فيها إيه لما أوصلك هو أنا مش زى ابن خالة مرات عمك ولا إيه
ابتسمت رغمًا عني على أثر دعابته فكأن ابتسامتي كانت تعني رضوخي وموافقتي فقال وهو يتجه نحو الباب :
- خلاص أنا هنزل أستناكى تحت هاسخن الدبابة على ما تنزلى ، حملت حقيبتي ورمقت سماح بنظرة عدم رضى وعتاب وتوجهت للخارج خلفه تماما، صافحت والدتها وغادرت منزلهم سريعا وعندما وصلت للأسفل وجدته في انتظارى وبمجرد رؤيتي رفع يده وهو يؤدي التحية العسكرية قائلا بروتينية مصطنعة :
- تمام يا فندم ، حاولنا نسخن الدبابة بس واحنا بنسخنها نسيناها فى الفرن فاتحرقت يا فندم

كل مرة كانت ابتسامتى تزيد وتتحول لضحكات لا تنتهي ، سرنا في طريق طويل إلى حد ما ، حتى وصلنا لمكان السيارة الوحيدة التى يمتلكونها ، وهي السيارة الخاصة بوالده فلقد تركها اليوم لابنه وغادر بدونها، كنت أريد الجلوس فى الكنبة الخلفية لكنه قال بطريقة عسكرية :
- أنا كده هبقى سواق حضرتك يا فندم

فضحكت وركبت بجواره في المقعد الأمامي وكان هذا التنازل ضمن كمية التنازلات الكثيرة التي قمت بها اليوم معه ، المدن الجديدة هي عشقي لذلك لم تترك عيني النافذة وأنا أتابع الكثبان الرملية

والمباني البعيدة التى لم يكتمل بناؤها بعد وبعض الشجيرات القليلة المزروعة على حافتي الطريق والهواء يضرب وجهي فأبتسم بانتشاء.
إنتزعنى سامح مما أنا فيه من استمتاع بالطريق بسؤال مباغت قائلا:
- منى إيه رأيك نبقى أصحاب؟
عقدت حاجبي متسائلة:
- إزاى يعنى
بكل جرأة وثقة منحنى هاتفه وهو يقول بلهجة آمره :
- سجلى رقمك هنا
أخذت الهاتف وجعلت أقلبه في راحتي بتردد فأردف وكأنه يقرأ أفكاري ويعطيني الحلول :
- على فكرة سماح أختى معاها رقم محمد صاحبى وهو كمان معاه رقمها وبيكلموا بعض عادى
قلت بحذر لا يخلو من الدهشة:
- بتقول كده ليه
سامح:
- علشان أنا عارف دماغك
- لحقت تعرف دماغى
بجدية مضحكة قال:
- إنتِ بتتعاملى مع أذكى جهاز مخابرات فى العالم يا منى
باستسلام ضحكت وسجلت رقمى لديه بتلقائية وكأنني مسحورة
دخلت بيتى وأنا بين السعادة والإحساس بالذنب وقد زاد هذ الشعور بداخلي عندما وجدت أمى جالسة تقرأ فى كتاب الله بسكينة وهدوء ، يالهذه الأم الطيبة المسكينة ، هى واثقة فى تصرفاتى وأنا أخون هذه الثقة بمنتهى الامبالاة .
سلمت على أمى بشىء من الخجل وقبلت يدها فابتسمت وقالت بحنان :
- أكلتى حاجة ولا لسه؟

وعندما أخبرتها أننى قد أكلت بالخارج وأحتاج إلى النوم بشدة قالت :
- طيب أدخلى نامى
وعندما إستدرت باتجاه غرفتي سمعتها تقول داعية لي :
- ربنا يبعد عنك ولاد الحرام يا بنتى
الدعوة إخترقت قلبى فدخلت غرفتي بحزن غريب لا أعلم سببه ولم ينقذني منه سوى النوم العميق.
فى اليوم التالي استيقظت باكرا على غير عادتي وتوجهت للجامعة وانتظرت سماح فى مكاننا المعتاد ولكنها لم تأتي .. ياترى ما السبب ؟! ، هاتفتها فردت بصوت نائم معتذرة عن الحضور اليوم نظرا لزيارة محمد البهية التى تنتظرها بشغف على فترات متباعدة ، وعندما أغلقت الهاتف وأنهيت المكالمة نظرت حولي وقد تأكد لي أننى آتي للكلية لأي سبب فى الدنيا سوى الدراسة ، كانت المحاضرات ثقيلة وكئيبة فلم أستطع إنهاءها كاملة وتوجهت عائدة لمنزلي مشيا بتثاقل وأنا أفكر فى حالى ووحدتي التى لا تنتهي .
حدث فى اليوم الثاني والثالث نفس ماحدث تماما ، أهاتفها فتعتذر عن الحضور نظرا لزيارات محمد المتوالية وخروجهم للتنزة والتسوق معا وكأنها رحلات يومية ، شعرت بالقهر وأنا أتخيلها تتنزة وتتسوق بصحبتهم والضحكات تعلو بينهم وأنا المسكينة الوحيدة التى لا تنظر سوى لوجهها الكئيب بالمرآة ! ، فأصدرت قرارا سريعا بغيظ شديد "والله ما هاعبرك تانى يا سماح براحتك ،، إيه هو مافيش غيرك يعنى"

وفى لحظة غضبي تلك تذكرت صديقتى القديمة وجارتي " حياء" فاتجهت لشقتها والتى تقبع فى المنزل المقابل لمنزلنا تماما .
بالطبع لم تصدق "حياء" عينيها وهى تنظر لي على باب شقتها بعد تلك الفترة من إهمالى لزياراتها وانقطاعي عنها ورغم ذلك رحبت بي بشدة واشتياق، قضيت مع "حياء" وقت ممتع حقا ذكرتنى فيه بأيامنا السابقة وعرفتنى عن طريق الإنترنت على منتديات كثيرة كلها إسلامية ونسائية وشجعتنى على الإشترك والتفاعل معهم وشرحت لي طريقة الدراسة الشرعية عن طريق الإنترنت وكأنها لاحظت الخواء الذى أمر به فى تلك المرحلة من حياتي .
طبعا كالعادة أظهرت حماسي ووعدتها بالتفاعل والمشاركة ، وانطلقت عائدة لمنزلى بضمير مرتاح لأول مرة منذ شهور !
لكن .. هل يبقى الوضع على ما هو عليه ؟.. لا

(٢)

فى اليوم التالى مباشرة إستيقظت من نومي ولكن لم تكن لدي أى رغبة فى النهوض من الفراش ، كانت والدتي توبخني وتفتح الستائر والنافذة وهى تقول :
- كسل وملل ،طبعا ما أنتِ مصلتيش الفجر كالعادة فلازم ينطبق عليكِ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان "
ثم تابعت وهى تنادى هاتفة :
- قومى بقى ، أخوكى "طارق" ومراته زمانهم جايين ، النهاردة الجمعة
إلتوت شفتي تلقائيا وأنا أقول بنفور :
- وإيه يعنى ماهم كل يوم عندنا ، جمعة ولا مش جمعة هما بيقعدوا فى بيتهم أصلا
قالت أمي مكررة:
- طيب يالا قومى بس ، مش عايزاها تيجى تلاقيكى نايمة هتقول عليكى كسلانة
قلت بعبوس وأنا أنهض بتكاسل:
- قال يعنى هى اللى نشيطة أوى

ورغم فضل يوم الجمعة إلا أنى كنت أصبحت أكرهه بشدة فلم أكن أحب بقائى بصحبتهم دقائق فمابالكم بيوم كامل !

أنجزت أعمال المنزل مع أمي من نظافة وطبخ ولم يدور حديث بيني وبين والدى سوى أن قلت له " صباح الخير " ولم يرد كالعادة سوى بـ" إعمليلى شاى "

وعند الغذاء إلتف الجميع حول الطاولة فشردت فى طبقى أعبث بطعامي وأفكر "طب قالى أسجل نمرتى عنده ليه طالما مش هيكلمنى " .. وفجأة دوى صوتها كصفارة إنذار فى أذني
- سرحانة فى إيه يا منى ؟
إلتفت مبهوتة إلى زوجة أخى بسؤالها المباغت :

- هااا ... مفيش حاجة
زوجة أخي بسخرية:
- مفيش حاجة إزاى إنتِ مش بتاكلى و سرحانة
- " الله يخرب بيتك أكتر ماهو مخروب إنتِ عاوزاه يقلق منى وخلاص" ..
مفيش حاجة يا ستى أصل الامتحانات قربت وأنا لسه مذاكرتش بجد يعنى
زوجة أخي بنظرة خبث :
- أهاااا
وجه "طارق" حديثه نحوى بانفعال :
- أومال بتعملى إيه من أول الدراسة هى مصاريف وخلاص
وأخيرا هتف أبي بانفعال أكبر أسكت الجميع :
- ششششش مش عاوز دوشه عاوز أسمع الماتش هاييجى إمتى

بعد الغداء قمت مسرعة إلى حوض المطبخ لتنظيف الأطباق ، ليس حبا بها ولا عشقا للصابون وإنما للهرب من أخى "طارق" وزوجتة اللزجة ! ولكنها لم تتركني لحالي فدخلت خلفي قائلة :
- منى ممكن شاى بعد ما تخلصى
كنت على استعداد أن أفعل أى شيء لتتركنى وتخرج فقلت بتأفف :
- اللهم طولك يا روح ، حاضر
- إعمليلنا كلنا
- حاضر هاعملكوا كلكوا فى حاجة تانية ؟
إستدارت لتخرج بلزوجة كما دخلت وهى تقول وتمط شفتيها رافعة إحدى حاجبيها :
- لا شكرا
وضعتُ أكواب الشاى أمامهم وعدت لغرفتي جالسة أمام شاشة جهاز الحاسوب العتيق أعبث بلا هدف مجرد تضييعا للوقت فتبعني "طارق" ومازال كوب الشاى بيده متسائلا بجفاف :
- بتعملى إيه يا منى على النت
- ولا حاجة
طارق :
- ما تذاكرى أحسن ،هتفضلى طول عمرك مش نافعة فى حاجة خالص كدة ؟
- متشكرة أوى فى أى شتيمة تانية؟
عنفني بعصبية وجفاف :
- إيه يا بت هتعمليلى فيها بنى أدمه ولا إيه أنا أقول اللى أنا عايزه و متفتحيش بؤك
نظرت إليه بقلة حيلة وأنا أقول بداخلي "هو أنت يعنى هتجيبه من بره من أنت إتربيت على كده"
خرج بحركات عصبية ثم دخلت زوجته وهى تستند إلى حافة الباب بتمايل سخيف قائلة :
- تاخدى بؤ يا منى الشاى بتاعك حلو بصراحة
- شكرا ما أنتِ عارفه إنى مش بحبه
خرجت وكأنها تزحف قائلة بدلال يجبر العاهر على العفاف والتقوى:
- براحتك
فى هذه اللحظة تذكرت سامح عندما سألنى فى منزلهم :
- منى تشربى شاى ؟
- لا شكرا
- ليه مش بتحبيه

- لا مش بحبه
- يا عذابه
ابتسمت بشكل عفوى وامتدت يدى بحنين لأطلب رقم هاتف سماح، لتجيب بعد ثلاث رنات وهى تضحك قائلة :
- آلو منى إزيك يا حبيبتى
- إيه يا بنتى هو أخوكى بيجى من هنا وإنتِ تنسينى من هنا
سماح بدلع :
- أنا أنساكى يا منى ده كلام ده إنتِ قلبى
شعرت أن الكلام موجه لشخص آخر غيري فقلت ساخرة:
- أه وكمان بقيت سلم على آخر الزمن ، إنتِ فين يا سماح؟
- فى وسط البلد بنتفسح وبنشترى شوية حاجات
ثم صمتت لثوان وكأن أحدهم يكلمها ثم عادت لتحدثنى مقترحة :
- ما تيجى معانا
ابتسمت بسخرية مريرة وأجيبها:
- وأقولهم بقى رايحة فين
قالت سماح بلا مبالاة :
- قولى أى حاجة
- بقولك إيه يا سماح أنا مش ناقصة قلق كفاية اللى عندى
أغلقت الهاتف بعد أن ودعتني بكلمة ممطوطة ذكرتنى بزوجة أخى فزفرت بضيق :
- هو أنا كنت ناقصاكى إنتِ كمان ترخمى عليا، هو يوم باين من أوله
وانتهى اليوم ببطء شديد وأنا لا أعلم الذى ينتظرنى فى الغد من مفاجآت

(٣)

فى اليوم التالى وعند إنتهاء المحاضرة الأولى وأنا أتعجب من نفسي، ها قد أصبحت طالبة أخيرا وأحضر محاضراتي كلها وقد أوشكت إختبارات نهاية العام على الإقتراب وبشدة ، خرجت للجلوس فى مطعم الكلية قبل أن تبدأ المحاضرة التالية وفى مفاجأة غير متوقعة إرتفع رنين هاتفى معلنا تعطف سماح أخيرا وموافقتها على التواصل معي :

- ألو يا هانم
قالت سماح سريعًا:
- إنتى فين
- هاكون فين فى الكلية طبعا
فتابعت وكأن أحدهم يلاحقها:
- إطلعي لى برة بسرعة .. بسرعة
- بره فين هو فى إيه؟
سماح :
- بطلى لماضة واطلعى برة بسرعة مستنياكى عند الباب ، المكان اللى بنتقابل فيه كل مرة
- يابنتى فى إيه بس قولى
- يالابقى يا منى خلصى هقولك لما أشوفك

لملت أغراضى بدهشة وتعجب وتوجهت نحو الباب المتفق عليه وهناك وجدتها تنتظرنى، ودون كلام جذبتنى سماح من معصمى وجرت بي لنعبر الطريق ، حاولت جذب معصمى والتراجع ولكنها لم تمهلنى وأصبحنا فى المنتصف تماما فلم أملك سوى الإسراع خلفها بأنفاس متلاحقة حتى لا تصدمنى إحدى السيارات المتتابعة هاتفة:
- فى إيه يا سماح فهمينى واخدانى فين ، طب حاسبى العربيات هتخبطنا حاسبى
بعد عبور الطريق جذبت يدى بحنق وعنفتها صارخة :
- كنتِ هتموتينا يا مجنونة ، بتسحبينى وراكى كده ليه مش هتبطلى جنان بقى

ضحكت سماح عاليا وهى تؤدى التحية العسكرية ناظرة خلفى وهى تقول :
- والله أنا ماليش دعوة أنا بنفذ الأوامر
إلتفت خلفى وقلبى ينتفض بشدة وأنا متوقعة ما سأراه ، وبالفعل وجدته يقف خلفي بابتسامته الجذابة ثم قال بتهمل وهو ينظر إلي بعمق :
- إزيك يا منى
تنحنحت ورددت بتعثر:
- الحمد لله

للمرة الثانية لم تمهلني سماح فجذبتني من يدي للوراء قليلا والتفتت إلى شاب يقف أمام سيارة حديثة الطراز مكشوفة وأشارت إليه وقالت:
- أعرفك ده بقى محمد صاحب أخويا
محمد بعد نظرة متفحصة قال بابتسامة:
- أهلا وسهلا إنتِ بقى منى
ومد يده للمصافحة وبدون شعور نظرت إلى سامح كأني أسأله المشورة فقال بتشجيع:
- ده محمد صاحبى يا منى متقلقيش
مددت يدى أصافحه فقال بمزاح:
- هو أنا هاخطفك يعنى
قال كلمته ثم ترك يدى واستدار سريعًا فتح باب السيارة وجلس خلف المقود هاتفا بنا :
- يالا يا جماعة هنتأخر كدة
سماح فتحت الباب الخلفى وتقريبا دفعتني للداخل وهى تصيح :
- إركبى يالا هنتمشى شوية
وجدت نفسي أجلس بجوارها فى الكنبة الخلفية وسامح فى المقعد الأمامى بجوار محمد والسيارة تنطلق فقلت لـ سماح بهمس خافت :
- إحنا هنروح فين دلوقتى
إلتفت سامح نحونا فى الخلف ووجه يده باتجاهى على هيئة سلاح نارى وقال بجدية مضحكة :
- إنتى مخطوفة يا آنسه نياااههاااا عملية نضيفة مية المية

علت الدهشة وجهي بابتسامة قلقة بينما علت ضحكات سماح ومحمد أكثر فأكثر، وبرغم هدوئى الظاهر إلا أن القلق كاد يقتلنى وأنا أفكر "يا ترى هنروح فين أنا خايفة حد يشوفنى يارب استر يارب، أنا إيه اللى خلانى أعمل كده لو حد شافنى هتبقى مصيبة"

وأخيرا ظهرت أمامى الأهرامات من بعيد فقلت دون وعي :
- إيه ده إحنا رايحين الأهرامات؟
قال سامح ملتفتا نحونا :
- إيه مش بتحبيها هى كمان ؟
إبتلعت ريقي ورددت متسائلة :
- يعنى إيه هى كمان دى؟
سامح مداعبا :
- إيه نسيتى الشاى المسكين اللى ساايباه يتعذب
محمد باستغراب:
- شاى ؟ شاى إيه ده اللى بيتعذب على آخر الزمن
دفعه سامح فى كتفه قائلا :
- خليك فى حالك

كانت المرة الأولى التى أزور فيها منطقة الاهرامات على أرض الواقع بعيدا عن شاشة التلفاز ، جذبتنى روعة المكان والهواء المندفع منه وإليه نحونا ونحن نسير بجوار الأحجار الضخمة وكأن هذا النسيم شعر بقلقي فقرر أن يداعبني ويحوم حولي ويتخلل رئتي بهدوء ولطف، قررت سماح فجأة أن تركب الجمل وجرت خلفه مثل الأطفال :
- إستنى يا عم إستنــــــــى

توقف الرجل بينما ذهب محمد خلفها يفعل مثلها وركب جمل آخر، بينما وقف سامح بجوارى وأخذنا نلوح لهما ثم إلتفت إلى متسائلا :
- تحبى تركبى زيهم؟
حركت رأسي بنفي قاطع:
- لالا مينفعش
سامح :
- ليه بس
- معلش أنا هتفرج بس
هتف سامح وهو يشير إلى رجلا قادم يجر حصانه :
- طيب إتفرجى بقى على صلاح الدين الأيوبى
إعتلى سامح ظهر الحصان بخفة ورشاقة وأخذ يدور حولي بهدوء وكأنه فارس قد أتى من الزمن البعيد
فقلت ضاحكة :
- إيه إنت بتحارب ولا إيه
سامح بنبرة جادة :
- فعلا أنا بحارب
- ها وبعدين كسبت المعركة ولا خسرتها
سامح بنفس النبرة :
- أنا عمرى ما أخسر أبدا
شعرت بالدوار فوضعت يدى على عيناي هاتفة :
- كفاية بقى أنا دُخت
سامح:

- مينفعش .. إنتِ خلاص وقعتى فى الأسر وبقيتي أسيرتي
لم أفطن فى البداية لمعاني حديثه فقد كنت أظنه يمزح فقلت مازحة :
- طيب معلش أطلق سراحى ومش هاعمل كده تانى
قال بنفس الجدية:
- بقى تحاربينى وتقولى معلش
- أنا ؟ وأنا معايا إيه بقى أحاربك بيه؟
أوقف سامح الحصان ومال للأمام قليلاً ناظرًا إلي بعمق وهو يجيب:
- معاكى عنيكى الحلوة دى
هاجمنى الدوار مرة أخرى وارتعشت أوصالى فلأول مرة يقول لى أحدهم كلمة غزل مباشرة هكذا وبتلك الطريقة التى جعلتنى أرغب فى الفرار من أمامه دون انتظار لحظة واحدة فقلت على الفور وأنا أحث الخطى للخلف وقد تورد وجهى تماما :
- أنا هروح أتمشى شوية
باعدت خطواتي ورغم أن الهواء حولي من كل جانب إلا أنني شعرت بسخونة شديدة وكأننى محمومة قلبي كان يدق بسرعة هائلة وفقدت السيطرة على أنفاسي تماما فلم يكن هناك بد من الجلوس على أحد الصخور لإلتقاط بعضها ، دقائق إرتفع رنين هاتفى وعندما أجبت هتفت سماح بقلق :
- إيه يا منى إنتى فين
- أنا بتمشى شوية
سماح :
- كده هانتوه من بعض إرجعى من نفس الطريق وقابلينا يالا
عدت من نفس الطريق حتى إلتقيت بهم ولكنى لم أستطع النظر إلى سامح مباشرة بينما قالت سماح بإنزعاج:
- كده يا منى قلقتينى عليكى إفتكرتك توهتى إيه اللى خلاكى تسيبى سامح وتمشى لوحدك كده
رد سامح بسرعة :
- منا قولتلك راحت تتمشى إهمدى بقى
قلت محاولة إخفاء توترى بالمزاح:
- أيوه بتمشى خلاص يا سماح متعمليش فيها بنت خالتى
أنهى محمد الحوار هاتفا وهو يضع يديه فوق معدته :
- يالا ناكل بقى أنا مت من الجوع

وفى نهاية الرحلة شعر محمد بالإرهاق فطلب من سامح أن يتولى هو القيادة فى طريق العودة ، جلس بجانبه بينما جلسنا أنا وسماح فى الخلف كالعادة ، شعرت بأن نظرات سامح تحاصرنى فى المرآة من كل مكان وفى صمت مطبق شقه صوت محمد المرهق قائلا بإعياء:
- آآآه الجمل ده مرهق أوى
سماح :
- أنا حاسة إنى لسه راكباه وباتمرجح ، بجد دوخت
محمد متابعا وهو يسألني :
- ها يا منى الأهرامات عجبتك
قلت بتردد :
- آه جميلة
محمد :

- ده إنتِ اللى جميلة
تورد وجهي مرة أخرى ، هل هذا هو يوم الغزل العالمي ؟!! كسر خجلي حدة صوت سامح وهو يوجه حديثه إلى محمد قائلا بجفاف :
- جرى إيه يا أمور .. إنت مستغنى عن لسانك ولا إيه
محمد ببراءة مصطنعة :
- إيه يا عم أنا قولت حاجة
ثم إلتفت نحوى مرة أخرى وكأنه سيعتذر ولكنه قال :
- خلاص يا ستى إنتِ مش جميلة ، إنتِ قمر بس
ضغط سامح مكابح السيارة وتكلم بنبرة أكثر حدة :
- أنا ما بهزرش يا محمد
ساد جو من التوتر داخل السيارة فتكلم محمد معتذرا :
- خلاص يا سامح أنا آسف يا سيدى مكنتش أعرف
سامح بحدة :
- مكنتش تعرف أيه
محمد :
- لا ولا حاجة
سماح تكلمت محاولة لتخفيف جو التوتر :
- يالا يا سامح بقى إحنا واقفين فى نص الشارع
ثم غمزت لي هامسة :
- يا جامد إنت

أدار سامح محرك السيارة وانطلق بها من جديد وهو لا يدرى أنه إنطلق أيضا بالقلب الذى يقبع خلفه وقد إبتلعني المقعد من كثرة إنكماشي فيه تعصف بي مشاعر عديدة بين التوتر والقلق .. والحب

دلفت فى ذلك اليوم إلى غرفتي وتدثرت بالكامل لأخفى تلك الإبتسامة التى أبت أن تتركنى منذ ترجلت من سيارتهم مودعة إياهم بعيدا عن منزلى قليلا وأغمضت عيني لدقائق طويلة وقد جفانى النوم حتى شعرت باهتزاز وسادتي فاحترت متسائلة ، ترى هل هو هاتفى أم ارتعاش قلبي وجسدى معه ؟! ، أخرجت الهاتف من تحت الوسادة لتفاجأني رسالة نصية منه لا تحوى سوى كلمتين فقط ..
" أيوا باغيير " ..

(٤)

الساعة الحادية عشر ظهرًا داخل الجامعة جالسة فى مدرج الكلية من ينظر لي من بعيد يظن أننى أكتب خلف أستاذ المادة ولكن من يقترب سيجدنى بمنتهى السذاجة أرسم قلوب على أطراف الصفحات كالفتيات المراهقات تماما ، مالت سماح نحوى وهمست :
- مالك يا منى سرحانة فى أيه؟
- هه بتقولى حاجة يا سماح
سماح :
- لاااااا ده أنتِ مش هنا خالص
بعد انتهاء المحاضرة التى لم أستوعب منها أى كلمة وخرجنا خارج مدرج الكلية أعادت سماح سؤالها باهتمام واضح :

- أيه يا منى كنت سرحانة فأيه طول المحاضرة مكتبتيش ليه دى الحاجات المهمة فى المادة
قلت بلا مبالاة :
- مش أنتِ كتبتى؟ ، خلاص
سماح وهى تجذب أول مقعد يصادفها فى الكافتريا :
- أقعدى هنا لما اروح أجيب حاجه ناكلها أنا هموت من الجوع
- متعمليش حسابى انا مش جعانه
سماح :
- لاااا ده أنتِ حكايتك حكاية النهاردة أستنى لما أرجعلك
جلست أنتظرها وأعبث بهاتفي حتى عادت واضعة حقيبتها فى المقعد الشاغر بجوارنا قائلة :
- أيه بقى يا هانم أيه حكايتك
- مفيش حاجة يا سماح أسكتى بقى
سماح وهى ترفع حاجبها للأعلى :
- منى أعترفى أحسنلك انا عارفاكى كويس
غلبنى التوتر وأنا أجيبها:
- انتِ هتعملى فيها مفتش المباحث بقولك مفيش حاجة، كل ده علشان مش عاوزة آكل خلاص يا ستى هااكل ها ارتحتى
ابتسمت سماح بخبث قائلة وهى تتعمق بملامحى:
- الله أكبر هو أنت وقعت ولا الهوى اللى رماك

زاد توترى وتوردت وجنتاي وأنا أهتف بانفعال:
- أنتِ غريبة أوى النهاردة
سماح :
- أنا برضه اللى غريبة ، أنتِ مش شايفة نفسك ولا أيه؟ ، سرحان ..شخبطة.. قلوب .. ملكيش نفس تاكلى
أبتلعت جزء من الشطيرة كاد أن يخنقنى وأنا أبتلع نظراتها الماكرة معه وقلت :
- ايه يعنى فيها أيه دى
سماح وهى تتمايل وتلحن كلماتها:
- فيها حب جديد ... وبشكل شديد
نهضت بعصبية هاتفة :
- أنتِ شكلك أتجننتى ، وانتِ بصى ......أنا ماشية
أوقفتني سماح وهى تقول :
- أقعد بس يا جميل متعصبش نفسك
جلست مرة أخرى وقد احمر وجهي بشدة من كثرة الانفعال بينما قالت سماح مهدئة للموقف:
- خلاص يا منى خالينا فى الامتحانات المحاضرة النهاردة كانت مهمة اوى
جذبت الكتاب منها قائلة:
- طب كلى أنتِ على ما انقل منك
أصطنعت سماح الخجل وهى تقول بدلال :
- طب خلصى بسرعة علشان انا ماشية .. أصلى عندى معاد مع محمد
رغما عني وجدتنى أستدرجها قائلة :

- امممم لوحدكوا؟
سماح بخبث:
- طبعا لوحدنا اومال أنتِ فاكرة هيكون معانا ميبين
وكأن الموضوع لا يشغلني قلت:
- لا أبدا بسأل بس أصلك أول مرة تخرجى معاه لوحدكوا يعنى
قالت بتنهيدة قوية:
- ااااه عاوزه اشوفه قبل ما يمشى ، بيوحشنى أوى
شعرت بقلبى يقفز وكأنه يود مغادرة مكانه بين أضلعي وسقط القلم من يدى وقلت بوجوم:
- هما أجازتهم خلصت خلاص
قالت بأسف وحزن:
- ماشيين بكرة بعد الظهر وشكلهم المرة دى هيتأخروا ، بيقولوا عندهم تدريبات ضرب نار حى والتدريبات دى رخمة أوى بيتأخروا فيها جدًا
أكملت سماح باهتمام مشوب بالقلق :
- تعرفى يا منى أنا ببقى قلقانة عليهم هما الأتنين لما بعرف انهم عندهم التدريبات دى ، كذا مرة سامح يقولى أن فلان أتصاب وعلان مش عارفة حصله أيه . ربنا يستر عليهم بقى
وكأن روحى غادرت جسدى بالفعل وعدت إلى الكتابة وأنا فى عالم آخر . القلق ينهشنى والصقيع يلف قلبى ويدمرنى فقدانا ووحشة وقلقا عليه.

بعد مغادرة سماح جلست أستمع إلى المحاضرة التالية وأنا أكثر شرودًا وعدت إلى بيتي هائمة على وجهى ودخلت فراشي أبكى دون سبب حقيقي للبكاء حتى سقطت فى النوم رغما عني

فى صباح اليوم التالى وقفت بوجه حزين أنتظر اللحظة المناسبة لعبور الطريق وقبل أن أتحرك شعرت بأحدهم يقترب مني من الخلف ويميل هامسا منادياً:
- منى
التفت بانزعاج فوجدته أمامي وملابسه الرسمية قد زادته جاذبية ووسامة
قال سامح بدون مقدمات :
- ماكنش ينفع أمشى من غير ما أشوفك
نظرت حولي محاولة أخفاء تعبيرات وجهي التى ظهرت عليه بقوة ولم استطع الكلام فقال برجاء:
- ممكن نقعد مع بعض شوية
قلت بتلعثم :
- مع بعض ازاى يعنى لالالا مينفعش
سكت سامح سكوت الواثق وشبك ذراعيه أمام صدره ثم ذهب بعينيه للأعلى وعاد إلي من جديد وهو يمط شفتيه بخيبة أمل قائلاً :
- أنا آسف ، أنا كنت فاكر أنى أفرق معاكى، عموما أشوف وشك بخير و آسف أنى ضايقتك بوجودى دلوقتى ، خلى بالك من نفسك
عندما التفت ليذهب وجدت يدى تمتد للهواء بتلقائية وكأني أوقفه وقلت بهمس وخجل :
- أستنى ... أنت رايح فين
سامح بنظرة مكسورة:

- ماشى
- أنت فهمت غلط أنااا .. أنا بس .. طيب هنروح فين
لم ينتظر كثيرا فقال بفرحة المنتصر :
- تعالى ..

دخلت سريرى ليلاً وأنا أتأرجح بين السعادة والحيرة ، أغمضت عيني وأنا أسترجع لقائي به وجلوسي معه فى ذاك المكان الراقي المطل على النيل بمياهه الجذابة والنسيم يداعب وجهي وسامح ينظر لي وكأنه يحاول الولوج لعمق أفكارى وأخيرا تحدث ليلفت نظرى بعيدا عن صفحة النيل مناديا :
- سرحانة فى اية
- أبدا بس بحب النيل
- يا بخته
شعرت بخجل شديد وأطرقت برأسي فسمعته يناديني مجدداً:
- منى؟
- نعم
- تعرفى أن دى أول مرة ازعل أوى كده لما الأجازة تخلص
- ليه؟
- مش عارفه ليه؟
حاولت تغيير مجرى الحديث قائلة:
- سماح قالتلى انك عندك تدريبات خطيرة .. خلى بالك من نفسك
- خايفة عليا؟
- طبعا
- ليه؟
- مش أحنا خلاص بقينا اصحاب
رد مستنكرا :
- أصحاب؟ بس كدة !!

قاطع النادل حديثنا وهو يضع المشروبات على الطاولة سريعا ثم انصرف فقلت محاولة تغيير دفة الحديث مجدداً:
- انت بتشرب شاى وقهوة بس ؟
زاد انفعاله ولم يستطع التحكم بأعصابه وهو ينقر بأصابعه فوق سطح الطاولة ثم قال فجأة بحنق :
- أنتِ كل شوية تهربى
حاولت تصنع المزاح قائلة:
- أهرب ، وانا أهرب ليه أنا معايا فلوس وهدفع تمن العصير بس القهوة دى متخصنيش ماليش دعوة
سامح بانفعال:
- طيب يا منى انا مش هضغط عليكى
تابعت بنفس طريقتي فى الفرار:
- سماح قالتلى أنك هتتأخر المرة دى
- ايوه
- أد أيه يعنى

- مش عارف شهرين ثلاثة على حسب
رددت خلفه متمتمة بتوتر:
- ايه شهرين ثلاثة؟
سامح بمرارة :
- قال يعنى هوحشك أوى
- طبعا ما أحنا ......
قاطعني سامح بمرارة أكبر :
- عارف أصحاب
قلت بتردد :
- هتبقى تكلمنى
نظر لي وقد استعاد هدوءه شيئا فشيئاً وقال :
- هكلمك كل يوم وكل ساعة
عدت بنظري إلى صفحة النيل الهادئة ودون أنظر نحوه شعرت بنظراته تخترقني من كل جانب وهويخرج من جيب بنطاله سلسلة مفاتيح فارغة يتدلى منها شكل قلب ذهبى يتوسطه مفتاح صغير ذهبى أيضا:
- أتفضلى
وضعتها فى راحتي وقلبتها أشاهدها بأعجاب من كل جانب وسمعته يقول:
- هدية بسيطة علشان تفتكرينى وانا غايب
- ليا انا ؟ ليه؟
أعتدل فى جلسته ومال للأمام وهو يقول بأهتمام :
- هاقولك ، سماح قالتلى أمبارح أنك كنتى سرحانة فى المحاضرة وبترسمى قلوب

تنحنحت وقلت متمتمة بانزعاج:
- أختك دى بتستهبل وحسابها معايا بعدين وانا مكنتش سرحانة ولا برسم حاجة
أكمل سامح وكأنه لم يسمعني:
- أنا قولت اديهولك فى ايدك بدل ما ترسميه
حاولت ألتقاط أنفاسي بصعوبة وأقول:
- هو ايه ؟
سامح بثقة :
- القلب.....
وتابع بنفس الأبتسامة وهو يشير إلى صدره موضع قلبه:
- كنتى بترسمى قلب غيران ؟
ثم وجه سبابته تجاهي وأكمل :
- ولا قلب لسه حيران؟
نهضت فجأة حتى كاد مقعدى أن يسقط خلفى وقلت بتلعثم:
- أنت مش قولت أنك هتمشى الظهر
- عاوزانى امشى؟
- مش انت اللى قولت الظهر
قال سامح بهدوء حزين :
- طيب ماشى بس كنت عاوز أستسمحك

- تستسحمنى من ايه؟
قال بأستعطاف :
- يعنى لو جرالى حاجه أبقى سامحينى
قلت بسرعة بدون وعي :
- متقولش كده بعد الشر عليك
نهض واقفا وعلى وجهه أبتسامة عريضة :
- خلاص أنا كده همشى وانا مطمن

ولم تغب ابتسامته تلك عن بالى حتى دخلت فراشي ، ضممت وسادتى أكثر إلى صدرى وابتسمت له وكأنه أمايمي الآن وأغمضت عيني لأحتفظ بابتسامته تلك لمدة أطول فأصدر هاتفى ذبذبة ضعيفة معلنا عن رسالة نصية جديدة
- (لا اله الا الله)
أبتسمت وأنا أكتب ردا عليها فى الحال :
- (محمد رسول الله)

(٥)

فى اليوم التالى فى كافتريا الكلية جلست بصحبة سماح أتحدث بحنق شديد معها :
- أنتِ بتستعبطى يا سماح ازاى تقولى لسامح أنى كنت سرحانة فى المحاضرة وبرسم.. مش دى حاجات بينا بتطلعيها برة ليه؟

سماح ببطء شديد:
- وأنتِ عِرفتى منين أنى قولت لسامح كده ؟
ثم ضحكت سماح بشدة عندما شاهدت تلون وجهي وهى تقول :
- متكسفيش أوى كدة .. اومال يعنى يا هبلة مين اللى قاله على معاد وصول سيادتك الجامعة ومين اللى قاله أنتِ بتنزلى فين وبتعدى منين ؟
أجبتها بتوتر شديد :
- لو سمحتى بعد كده الحاجات دى خاليها بينا
حاولت سماح كتم ضحكاتها:
- خلاص يا منى متزعليش انا والله مكنش قصدى أقوله حاجه بس هو لما سألنى على مواعيدك وانه عاوز يشوفك الكلام جاب بعضه يعنى مكنش قصدى ، بس قوليلى بقى هو كان عاوزك ليه
تصنعت الامبالاة قائلة:
- عادى يعنى بيسلم عليا قبل ما يمشى ما أحنا بقينا أصحاب بقى
غمزت سماح بخبث وهى تقول :
- أصحاب يا منمن؟
قلت بجدية:
- بصى يا سماح الامتحانات خلاص فاضلها أقل من اسبوعين ممكن نركز بقى

ووفى سامح بوعده وأصبح يهاتفنى كل يوم مكالمة لا تزيد عن خمسة دقائق يطمئن على أحوالي ثم يلقى عبارة غزل غير مباشرة قبل أن ينهى المكالمة وفى كل مرة كان ينتظر مني أى رد فعل أو كلمة صريحة ولكن لا حياة بمن تنادى وقبل النوم فى كل ليلة أحتضن هديته والقلب المتدلي منها وأذهب فى أحلامي السعيدة

آخر يوم فى الأختبارات وبعد أن انهينا الأختبار خرجنا لنجلس بالكافتريا قليلا ونتفق على مكان نذهب إليه للتنزة بعض الوقت ولكن قاطعنا رنين هاتفها الذى ما أن أجابته حتى هتفت وهى تحدث والدتها بفزع :

- أيه بتقولى أيه يا ماما ؟.. سامح ..أمتى ......أزاى

دقيقة وأغلقت الهاتف ولملت أغراضها سريعا وهى تقول بوجه شاحب :

- انا ماشيه يا منى سلام

لملمت أغراضى بعفوية وانا أقول بقلب وجل :

- فى أيه يا سماح

خطت سماح خطوات سريعة وأنا أكاد أعدو خلفها أحاول اللحاق بها وهى تقول بأنفاس متقطعة وقد أوشكت على البكاء :

- مش عارفه يا منى ماما بتقول سامح أتصاب فى التدريب ونزلوه أجازة

شحب وجهي أنا الأخرى :

- أيه أتصاب ازاى ؟، وهو عامل أيه دلوقتى ؟

سماح وهى تخرج من باب الكلية وتقف لتشير لسيارة أجرة :

- مش عارفة ، لما اشوفه هبقى اكلمك

حشرت جسدى بجانبها فى الكنبة الخلفية فى سيارة الأجرة قائلة :

- وانا لسه هستنى ، أنا جايه معاكى

وصلنا منزلهم والقلق يفتك بنا وصعدنا الطابقين هرولة حتى وصلنا لباب شقتهم ، طرقات قليلة وفتح لنا محمد الباب ونظر إلى وجهينا والشحوب يعتمل بنا فاندفعت سماح للداخل هاتفة به :

- فى ايه يا محمد سامح فين وحصله ايه

محمد:

- براحة شوية مالكوا كده

اقتربت والدتها تطمئنها قائلة :

- متخافيش هو بخير ، الحمد لله أنها جت على أد كده

دخلت سماح وبدون تفكير تبعتها للداخل بمنتهى اللهفة فدلفت لغرفته لأول مرة وشاهدتها وهى تجلس بجواره على طرف فراشه قائلة بجزع وهى تنظر ليدة المحاطة بضماضة طبية ومرفوعة إلى كتفه قليلا :

- سامح حصلك ايه يا حبيبي أيه ده دراعك ماله

أجابها وهو يخطف نظرة لي سامح وأنا أقف شاحبة بجوار حافة الباب :

- متخافيش يا سماح متخافيش انا كويس

دخل محمد خلفها وأدخلنى معه وقال بمزاح:

- متخافيش يا ستى أخوكى ده عامل زى القطط بسبع ترواح ، دى أصابة خفيفة فى دراعه، ايه هتعملوه قطز
أشارسامح إلى رقبته علامة الذبح وهو يقول لاخته بجدية مصطنعة بها بعض الإعياء :
- لو شوفتوه فى المعركة اقتلوه
تنهدت سماح براحة كبيرة قائلة:
- الحمد لله ده انا اتخضيت حتة خضة عليك...
ثم التفتت إلى محمد وقالت :
- طب هو اتصاب ، انت بقى نزلوك أجازة ليه ؟
محمد باستعراض:
- اومال يابنتى أنا محدش يقدر يقولى لاء هناك
أكتشفت فجأة أننى أقف صامتة منذ دخولى فقلت بصوت خافت :
- حمدالله على السلامة
قال سامح بنعومة :
- الله يسلمك
قالت سماح بابتسامة خبيثة وهي توجه حديثها إلى محمد :
- منى أول ما سمعت الخبر جات جرى قولتلها يا بنتى خاليكى وانا هطمنك قالتلى لاء هو انا لسه هستنى
عندما ضحك محمد شعرت بحرج بالغ ونظرت لها بعتاب وقلت:
- طيب أستأذن انا بقى
كاد أن ينهض من فراشه فتألم وهو يقول ليستوقفنى:
- بسرعة كده، طيب أستنى شوية
- معلش أصلى مقولتش لماما أنى هتأخر

شعرت بيد والدة سماح توضع على كتفي من الخلف وقد دخلت للغرفة للتو قائلة بود :
- أنتِ لحقتى تاخدى نفسك حتى يابنتى ؟
أطرقت برأسي وقلت بحرج :
- معلش يا طنط أصل ماما متعرفش أنى هتأخر
قالت مقترحة:
- طب ما تكلميها فى التليفون
تدخلت سماح قائلة:
- خلاص يا ماما أنا هتصرف
وأخذتني سماح خارج الغرفة وهمست لي:
- ماتكلمى مامتك قوليلها أنك هتتأخرى عندى شوية
- لا يا سماح هتقولى ليه ومش ليه أقولها ايه بقى
- قوليلها أنى تعبت بعد الامتحان وانتِ اضطريتى تروحى معايا البيت
قلت برفض وضميرى يكذبني :
- لا طبعا انا مش بحب أكذب على ماما
قالت ببساطة:
- دى كدبة بيضا مش هتضر حد
ثم أردفت بتصميم:

- والله يا منى لو مشيتى دلوقتى هزعل منك جدا وبعدين يعنى هو الواد اللى مرمى جوة ده مش يستحق انك تقعدى معاه شوية وتطمنى عليه
ترددت كثيرا وبداخلى رغبة قوية للبقاء وأخيرا حسمت قراري وهاتفت والدتي واستأذنتها للخروج قليلا مع صديقاتي بعد أن بذلنا مجهودا مضنيا فى الاختبارات ووعدتها بعودتى باكرا ، وافقت والدتي على مضض بعد أن أكدت على عودتي قبل أن يحل الظلام ، أغلقت هاتفى وأنا أشعر براحة ضمير زائفة وبداخلى يتردد سؤال مُلح " يعنى أنتِ كده مكدبتيش؟ !! "

(٦)

لم تدم الراحة لدقائق فقبل توجهى مع سماح للداخل مرة أخرى أستقبلت والدتها ضيوف جددا جيران لهم ، امرأة أنيقة للغاية وابنتها الجميلة والناعمة إلى درجة محبطة ! ، همست لي سماح بأنها جارتهم والفتاة تدعى ياسمين وهى تدرس فى الجامعة الأمريكية ولمحت لي سماح بأن ياسمين تحب سامح ومتعلقة به ووالدتها ترحب بالأمر بناء على رغبة ابنتها المدللة

دخلت والدة سماح فى البداية إلى غرفة سامح وتبعتها ياسمين ووالدتها فنظرت لي سماح بتسائل قائلة :
- أيه يا منى واقفة هنا ليه تعالى
أنتابني حرج شديد وقلت بتردد :
- لالا آجى فين هى صحيح الأوضة كبيرة بس مش للدرجادى يعنى
سماح :
- يعنى هتقعدى هنا لوحدك
- يوه بقى يا سماح مش انتِ اللى صممتى انى أستنى منا كنت عاوزة امشى علشان الأحراج ده
سماح بعتاب:
- ايه يا منى اللى بتقوليه ده هو انتِ غريبة ، خلاص يا ستى انا هقعد معاكى هنا ده حتى مبطيقش طنط أم ياسمين دى أصلها لزجة أوى
أبتسمت من التعبير الذى استخدمته سماح ورغم ذلك ظل القلق ينهشنى فبمقارنة بسيطة سقط قلبى فى أخمص قدمى والنتيجة فى غير صالحى بالمرة .

علا صوت رنين الباب مرة أخرى ، ألن تنتهى تلك الزيارات أبدا ؟! .. لم تكن عروس أخرى هذه المرة ، لقد كانت صديقة والدتها التى عادت من الداخل للتو لتستقبل صديقتها مرحبة بها بقوة فهمست لي سماح مرة أخرى :
- دى طنط هدى أنتيمة ماما بس أيه .. ألزج من اللى جوه ، خنقة ، وأيه بقى لسه خارجة من ليالى الحلمية طازة من عند نازج الصلحدار
لم أتمالك نفسي وحاولت كتمان ضحكاتى قدر المستطاع وأنا أقول :
- يخربيت عقلك يا سماح أنتِ شركتيها خالص
سماح :
- دى لما بتيجى ماما تنسانا خالص ، كل مرة تبقى جايبلها كاتلوجات كتير ، مرة ديكور ومرة أسكسسورات وبرفانات وميكب على كل لون يا بطسطا

قلت ضاحكة:
- أنتِ مش معقوله .. والله انتِ اللى لسه خارجة من ليالى الحلمية بس من عند العوالم
وفجأة جائنا صوت والدتها منادية :
- يا سماح أعملى لطنطك هدى النسكافيه بتاعها ومتنسيش الضيوف اللى عند اخوكى قدميلهم حاجة
سماح بتأفف :
- حاضر ما أنا الروم سرفيس النهاردة.. تعالى يا منى معايا لو سمحتى

قمنا بتحضير عدة مشروبات سريعا وسألتني سماح على عجلة من أمرها :
- منى تحبى تقدمى طلبات قسم الطوارىء ولا قسم نازج الصلحدار
قلت سريعاً:
- لا انا معرفش طنطك هدى دى ، روحى انتِ قدميلها
حملت المشروبات إلى غرفة سامح بفضول ودخلت ببطء وحذر وأنا أقدم لضيوفه العصير :
والدة ياسمين:
- شكرا يا حبيبتى
ياسمين :
- ميرسى
وعندما وصلت إلى سامح قال بابتسامة :
- ما انتِ عارفة أنا ماليش فى العصاير
ثم تابع بغمزة خفيفة لم يرها سوى محمد :
- أنا بحب الشاى
فضحك محمد وقال :
- هاتى كوباية العصير بتاعته يا منى ، خسارة فيه
وقبل أن أخرج من الغرفة دخلت سماح واستوقفتنى قليلاً عند الباب المفتوح وعندما استمعت إلى الحوار الدائر بينهم لم يعجبنى بالمرة ولم يخرج عن الآتي :
- يارب نفرح بيك قريب يابنى
- لسه بدرى يا طنط، عاوز أكون نفسى وأعمل بيت معقول الاول
- متقلقش أنوى أنت بس وهتشوف ده انت الف واحدة تتمناك

هززت رأسي وأنا أنظر إليهم بتفحص وعقلى يدور ويدور بلا توقف وكأني أشاهد مشهد من بعيد لا دخل لي به "الست باين عاليها عاوزة تجوزوا بنتها وتجهزوا كمان ..والبت كمان بتحبه عينها مش بتنزل من عليه.. و زى القمر ... جاتنا نيلة فى حظنا .. لا لا يامنى انتِ برضة حلوة متقلليش من نفسك كده .. صحيح هى أحلى وصحيح ناعمة وبسكوتة وصحيح جامعة أمريكية وصحيح شكلهم أغنيا وهيقوموا بالليلة كلها.. بس انا برضوااا .. لالا يا منى خاليكى واثقة من نفسك ... يا شيخه روحى كده" !

وعندما زاد الغليان بداخلى ولمحت باب شرفة فى زاوية من الغرفة همست بخفوت لـ سماح :
- سماح انا هقف فى البلكونة دى شوية لحد ما الناس تمشى
أومأت سماح لى بالموافقة فتحركت بصمت حتى دخلت الشرفة الخاصة بغرفته وكأننى دخلت عالم آخر جعلنى أنسى غليانى وضيقي ما يحدث فى الخارج ، أقل ما يقال عنها أنها رائعة ، بتصميمها ومساحتها وتكعيبة العنب أعلاها وقصاص الزهور المختلفة فى كل مكان فيها والنسيم يحمل لأنفى روائحها المختلفة وقفص لعصافير الكنارى تكتمل به اللوحة الفنية الرائعة واتسعت ابتسامتى عندما

أبصرت مقعدا هزاز فى أحد أركانها فأسرعت إليه كالأطفال لأجربه للمرة الأولى بحياتي ، لو كانت تلك الشرفة بمنزلى لما خرجت منه أبدا ! ابتسمت وأنا أجلس فوق المقعد الهزاز وأغمضت عيني بسلام أستمتاعًا بما حولي من جمال ،لم أشعر بالوقت الذى مر سريعا وأنا فى تلك الجلسة الممتعة، وفجأة شعرت بأنامل تلمس كتفي ففتحت عيني والتفت متفاجأة به وقد كنت أظنها سماح فحاولت النهوض بارتباك و لكنه أمسك كتفي وشدد عليه قليلا وهو يقول برجاء :

- أرجوكى خاليكى

أرتعش جسدى على أثر لمسته وتجمدت مكاني لا أعرف ماذا أفعل وسمعته يقول بهدوء:

- أنا واقف من شوية ... تعرفى لو كنت بعرف ارسم كنت رسمتلك صورة وانتِ فى حالة الاسترخاء الجميلة دى

وجدتنى أقول بأبتسامة خجلة :

- أنت قومت ليه من السرير كنت خاليك مرتاح

قال بهمس:

- أنا برتاح أكتر لما بشوفك

تسائلت بتلعثم:

- هى ...هى فين سماح

سامح بلوم وعتاب:

- بتسألى عليها ليه

حاولت أن أبدو طبيعية وقلت :

- لا ابدا عادى

أشار سامح إلى ديكور الشرفة وهو يقول:

- مقولتيش أيه رأيك فى ذوقى

- ذوقك حلو أوى

قال هامساً :

- مش أحلى منك

ثم تابع متسائلا وكأنه لم يقل شيئا :

- أنتِ جيتى قعدتى هنا لوحدك ليه؟

رغما عني كانت نبرتي حادة قليلاً وأنا أقول :

- أبدا عشان الضيوف ياخدوا راحتهم .. هما مشيوا ولا لسة

ألتقط سامح نبرة صوتى وترجمها سريعا فقال بنية الإستفزاز:

- مشيوا .. بس كنتى جيتى قعدتى معانا دى ياسمين قعدتها حلوة أوى

فانفعلت قائلة:

- اه منا عارفة علشان كده قولت اسيبك تشبع من الحلاوة براحتك

ضحك سامح ضحكة عالية زادت من انفعالي فقلت بعصبية واضحة:

- بتضحك على ايه ،على فكرة بقى انا ميهمنيش

سامح بثقة أستفزتها:

- منا عارف

أندهشت من نبرته الباردة الواثقة وبدون شعورقلت بانفعال أكبر:

- على فكرة بقى انت مغرور

أبتسم وهو يمد يده يسحب مقعدا آخر ووضعه فى مواجهتي وجلس أمامي مباشرة وهو يميل للأمام نحوى قائلا بنظرة ثاقبة :

- يااااه ده أنتِ شكلك مضايقة منى أوى
أدركت وقتها فخ الحوار الذى أوقعنى به فحاولت النهوض مرة أخرى ولكن لم تكن هناك مساحة كفاية فقلت بحرج :
- ولا مضايقة ولا حاجة وبعد أذنك بقى عدينى عاوزة أمشى
قال بعناد:
- مش هاعديكى انتِ نسيتى ولا ايه ولا كنتى فاكرانى بهزر
ذهب انفعالى أدراج الرياح و تسائلت:
- نسيت ايه؟
سامح:
- هو انا مش قولتلك انتِ بقيتى أسيرتى

(٧)

أرتبكت بشدة عندما أسر يدى فى راحته بقوة ولم يتركها رغم محاولاتى وقد تلون وجهي ولكنه لم يرحمني بل وظل يمعن النظر إلي بنظرات عميقة يكتسح بها روحى ويجتاح مشاعرى وأنا أتمتم بصوت مختنق من الخجل والقلق والتوتر :
- سيب ايدى لو سمحت
شد أكثر على يدي وقال :
- مش هسيبك يا منى أنتِ كل مرة تهربى منى وبسيبك وبقول معلش بلاش أضغط عليها ، المرة دى مش هسيبك، مفيش هروب المرة دى بالذات عارفه ليه، علشان أتأكدت ان القلب التانى اللى كان حيران بقى هو كمان غيران ، وطالما بقى غيران يبقى لازم تتحط نقطة ومن أول السطر.
أبتلعت ريقي بصعوبة وحاولت سحب يدي من بين أصابعه قائلة برجاء :
- سيبنى يا سامح
سامح بتصميم كبير :
- مش هسيبك .. يامنى أنتِ متعرفيش انتِ بقيتى أيه عندى
ثم تابع كمن يقر واقعا :
- أيوا اتعرفنا على بعض من فترة بسيطة وأيوا مشوفناش بعض إلا مرات قليلة وأيوا متكلمناش إلا مرات أقل ، لكن المشاعر مش بعدد المرات المشاعر حسابتها مختلفة ومقايسها مش عادية
حرارتي ارتفعت جدا ووصلت إليه من خلال ملامسته ليدى فأطرقت بوجهي أخفى ما يعتمل بداخلى على أثر كلماته التى خدرتنى بالكامل وكأنه سحر وقلت هامسة :
- سامح انت عاوز ايه دلوقتى
زاد ضغطه على يدي وقال بنبرة زاد فيها الحنان على الحسم:
- منى انا مش هلاقى وقت أنسب من الوقت ده علشان أعبر عن مشاعرى .. أنا فى الأول كنت قلقان علشان مكنتش متأكد منك لكن بعد ما شوفت لهفتك عليا وغيرتك من واحدة تانية بقيت متأكد خلاص ، وبعد كده زى ما قولتلك يبقى لازم نقطة ومن أول السطر .. و زى ما أتاكدت من مشاعرك لازم انتِ كمان تتأكدى من مشاعرى .. أنا اديتك القلب المرة اللى فاتت مش علشان هدية وبس لاء.. ده كان تعبير رمزى علشان تتأكدى أن قلبى معاكى وتعرفى أنى....

- أيه أتأخرنا عليكوا؟ ..
قاطعته سماح بتلك الجملة وهى تدخل على حين غرة من الجميع بل ومنها هى أيضا فلقد تسمرت بمكانها وقد أيقنت أنها أتت بوقت غير مناسب على الأطلاق ، جذبت يدى على الفور بقوة بينما تنحنحت سماح بتلعثم وهى تنظر إلى شرارات الغضب المتطايرة نحوها من عينيى أخيها قائلة بخفوت:
- جبت الجاتوه
حاولت مداراة موقفي المحرج وتحركت من مكانى على الفور نحوها قائلة :
- كنتى فين يا سماح سايبانى لوحدى كل ده ليه؟
قالت بنفس النبرة الخافتة :
- روحت مع محمد نجيب الجاتوه
خرج سامح من الشرفة وهو يتحاشى النظر للجميع بينما محمد يقول متسائلاً:
- مالك يا سامح ؟
سامح بعصبية:
- وانت مالك انت
محمد :
- لا مالى طبعا بتشخط فى خطيبتى ليه
سامح بتعجب :
- خطبتك!!
محمد وهو يرفع أصبعه مهددا :
- مفيناش من ضرب ما انا عارفك ايدك تقيلة
سماح بخجل:
- روق يا اخويا يا حبيبى علشان اقولك على المفاجأة
سامح بنفاذ صبر:
- قولى هاا سامعك
محمد أستوقفها بأشارة من يده :
- أستنى
ثم قال متابعا :
- تسمحلى يا عمى أطلب أيد أختك اللمضة ... فى الحقيقة يا عمى انا عامل حسابى على خطوبة.. أكتر من كده تبقوا طمعانين فيا
أبتسم الجميع وضحك سامح وهو يقول :
- وهتكلم ابوها امتى بقى
سماح:
- البركة فيك بقى يا سامح تفتح معاه الموضوع هو بيثق فيك
- ماشى ياختى لما نشوف أبوكى هيقول أيه
هتف محمد بحماس:
- طب يالا مش هتأكلونا الجاتوه بقى ولا ايه

وفى النهاية جلسنا فى صمت وقد كانت النظرات كفيلة بنقل المشاعر بيننا دون حديث و فى هدوء تام ، وضعت كل انفعالاتي فى قطعة الحلوى التى آكلها رغما عني بعد ألحاح شديد منهم فأنا لا آكل الحلوى ولا أستسيغها أبدا إلا إننى أضطررت إلى ذلك حتى أتحاشى النظر لهم وما أن ارتشفت بعدها عدة رشفات من كأس العصير حتى شعرت ببداية دوار و برودة شديدة تسرى فى جسدي وفجأة زاد

الدوار وترنحت وأنا جالسة وآخر شيء رأيته قبل سقوطى النظرات الغريبة التى تبادلتها سماح مع محمد وسامح ثم أظلم كل شيء وسقطت فى بئر سحيق !

جفوني ثقيلة لا أستطيع فتحها بسهولة ورأسي يدور بشدة فحاولت تحريك أصابعي وأجاهد لفتح عيناي ببطء وتثاقل وأخر شيىء تذكرته هو سقوط كأس العصير من بين أصابعي ثم سقوطي وهنا سمعت صوته وكأنه آتى من بعيد :
- حمد الله على السلامة
وعندما استطعت تمييز الوجوه من حولي رأيت سامح يجلس بجواري على طرف السرير ويمسح على كفي وينظر لي بترقب، وعندما حركت رأسي رأيت المشهد بوضوح أكبر وأنا مستلقية على فراشه والجميع ملتف حولي ... سماح .. محمد.. والدة سماح .. شخص غريب لا أعرفه والذى أتضح بعد ذلك أنه الطبيب
وأخيرا تكلمت سماح:
- حمدالله على السلامه يا منى
وأنا أحرك رأسي أكتشفت أنني بدون الحجاب وشعري متناثر بجواري فوق وسادته
فزعت بشدة وحاولت الجلوس ولم أستطيع من شدة الصداع هامسة:
- أنا ايه اللى حصلى
جلست سماح بجواري وقالت :
- أستريحى يا منى
وتكلم الطبيب قائلا:
- حمدالله على السلامه يا آنسة منى
قلت بخوف وأنا أمسك برأسي :
- حد يقولى ايه اللى حصل
جعلتني سماح أستلقى على السرير مرة أخرى وقالت :
- متخافيش يا منى أنتِ تعبتى شوية وجبنالك الدكتور
فهمت والدة سماح خوفي فتدخلت مطمئنة :
- متخافيش يا بنتى
بينما تابع الطبيب حديثه بعملية:
- متقلقيش يا آنسة ،عاوز أسألك سؤال بس أسترخى كده علشان الصداع ميزدش
تحرك سامح ووضع وسادة كبيرة مريحة تحت رأسي بمساعدة سماح والطبيب يتابع :
- أنتِ بتشتكى من أعراض السكر من أمتى ؟
أجبته بحيرة:
- سكر ؟ أنا معنديش السكر يا دكتور
الطبيب :

- لا انتِ معندكيش المرض نفسه أنتِ بتجيلك أعراضه لما بتاكلى أو تشربى سكريات .. في عندك فى العيلة حد عنده السكر؟ حركت رأسي ببطء أن .. نعم فقال على الفور شارحًا:
- شوفى يا آنسة منى كل الامراض اللى فى الدنيا دى جزء منها كبيرجدا أستعداد وراثى وانتِ عندك أستعداد وراثى لمرض السكر ..علشان كده الحلويات الكتير والسكريات ممكن تخالى السكر عندك يعلى بشكل ملحوظ ويؤدى للحصل ده... ولازم أنبهك لما إن شاء الله تتجوزى وتبقى حامل لازم تخالى بالك جدا جدا لانك بسهولة جدا ممكن يجيلك سكرحمل .. لكن عموما متقلقيش لو ظبطى أكلك هتبقى زى الفل

حركت رأسي علامة الفهم فاستئذن الطبيب وانصرف فخرجت معه والدة سماح ومحمد وهنا قلت بخجل :

- أنا متشكرة أوى يا جماعة على اللى عملتوه معايا

قالت سماح بضحك:

- أيه يا منى اللى بتقوليه ده عيب يعنى هنقتل القتيل ومنمشيش فى جنازته
سامح وكأنه لم يسمع سماح ويشعر بوجودها مال للأمام بأتجاه رأسي وطبع قبلة على شعري قائلا بحنان:

- حمدالله على السلامه يا حبيبتى
الشعور بالخجل والدهشة من تصرف سامح زاد من الصداع وعندها لمحت سماح واضعة يدها على قلبها بشكل مسرحي وهى تقول :

- ياسلاااااااام عينى عينك كده ولا كأنى موجودة

حاولت لملمت شعرى بحرج بالغ وقد امتقع وجهي بشدة وأنا أتسائل بتلعثم :

- أومال فين الطرحة
تابعت سماح وكأنها لم تسمع سؤالي:

- لو شوفتى نفسك يا منى وانتِ بتقعى وعنتر بتاعك بيجرى عليكى ولحقك فى آخر لحظة ومرديش يخالى محمد يسندك معاه ، وأنا طبعاً أخويا المريض صعب عليا فاضطريت أسندك معاه لحد ما نيمك على السرير

قال سامح ببساطة:

- اخرسى بقى وبطلى رغى ولعلمك لو كانت أيدى التانية سليمة مكنتش أحتجتلك أصلا
ثم تابع بنظرة ذات معنى:

- متروحى يا سماح تشوفى ماما ومحمد أتأخروا ليه كده
لم تفهم سماح نظرة أخيها فقالت :

- بينى وبينك شكل محمد بيفاتحها فى موضوع الخطوبة
فقال بتصميم :

- طب ما تشوفيه كده ليكون بهدل الدنيا
فهمته سماح أخيرا فقالت بخبث:

- آآه معاك حق هروح اشوفه
بحثت عن حجابي سريعا باعصاب مشدودة فوجدته بجانبي عن يميني قليلا وقبل أن تصل يدي إليه تفاجأت بسامح يحول بيننا قائلا:
- عاوزاها ليه
- هلبسها

- أستنى شوية

ثم أمسك بأطراف شعري قائلا بإعجاب:

- لسه مشبعتش من السواد الجامد دة
تعرفى أن الشعر الاسود زادك جمال على جمالك

بخجل شديد سحبت شعري من بين أصابعه بهدوء:

- سامح لو سمحت بطل تحرجنى قدام سماح كده
قال ممازحا:

- خلاص ينفع أحرجك بينى وبينك
- يا سامح لو سمحت بطل الكلام ده

- معاكى حق انا زودتها شوية بس أعمل ايه مش قادر أمسك نفسى والله
وأكمل بشغف :

- ها قوليلى بقى انا ايه اخر حاجه كنت بقولهالك فى البلكونة قبل ما اختى المجنونه تدخل علينا كده ...اه افتكرت

قاطعته بابتسامة ممزوجة بالخجل :

- على فكرة هتلاقيها دخلت دلوقتى تانى هى مظبطة نفسها عليك
سامح أكمل قائلا بنظرات عميقة وبثقة:

- برضه مش هيهمنى لو الدنيا كلها دخلت برضة هقولها

قلت برجاء:

- سامح متحرجنيش اكتر من كده الله يخاليك انا موقفى بقى صعب اوى والمفروض اقوم امشى انا اتأخرت اوى
فى هذه اللحظة دخلت سماح وهى تضحك قائلة:

- تعال شوف صاحبك وماما مظبطاه ، أومال هيعمل أيه مع ...

قطعت حديثها عندما لاحظت ملامح سامح الحانقة فقلت على الفور:

- لو سمحتى يا سماح ممكن أروح أظبط هدومى عندك
سماح بترحيب:

- آه يا منى تعالى أوضتى فاضية

وقفت أمام مرآتها فى غرفتها أهندم ملابسي وأرتدى حجابي وأنا أشعر بالضيق والحرج وألوم نفسي

على استسلامي لاقتراح سماح والبقاء فى منزلهم منذ البداية ، بداخلي شيء يعاتبني بقوة ويعذبني ويشعرني بذنبي ويدفعني للرحيل سريعاً من هذ المكان الذى لا أنتمى إليه بأى شكل من الأشكال ، أستندت سماح على الجدار المقابل أمامي وهى تكاد تقرأ صفحة وجهي ثم قالت بهدوء:

- يابنتى مش كنتى تقولى موضوع السكر ده ، مكنتش ضغطت عليكى علشان تاكلى

- هو انا أصلا كنت أعرف يا سماح ، أنا أساسا مبحبش الحلويات لوحدى، كنت هعرف منين
تنهدت قائلة:

- الحمد لله أنها جت على أد كده
انتهيت من إحكام حجابي قائلة:

- طب يالا أنا ماشية

- كده لوحدك
قلت بإصرار والإحساس بالذنب يقتلني :

- أه لوحدى، أنا خلاص عرفت السكة ....

خرجت من الغرفة فوجدته يقف أمامي مباشرة مستنداً إلى الجدار المقابل لغرفة سماح مباشرة و كأنه كان يتوقع هروبي السريع منه ، واعتدل متسائلاً:
- رايحة فين ؟

- ماشية، أنا أتاخرت أوى

- مينفعش أسيبك تمشى لوحدك خصوصا وانتِ تعبانه كدة

- أنا خلاص بقيت كويسة
فقال بتصميم :

- مش هتمشى لوحدك ده قرار نهائى
تدخلت سماح مقترحة :

- خلاص يا سامح ، محمد ماشى دلوقتى هخليه يوصلها فى سكته
فقال على الفور بحسم:

- ومين قالك أنى هاسيبها تركب مع محمد لوحدها

- هو هياكلها يعنى
شعرت باختناق وأنا أراهم يقررون مصيرى بالنيابة عني وكأننى غير موجودة ، لماذا يحاول الجميع اتخاذ قراراتي دون الرجوع إلي ؟! فوجدتني أقول بانفعال وأنا أتحرك فى طريقي للمغادرة :

- أنا ماشية لوحدى ، ولا محمد ولا غيره
أستوقفتني قبضته التى التفت حول معصمى هاتفاً بغضب:

- أنتِ عنادية ليه كده؟ .. بقولك مش هتمشى لوحدك مفيش سمعان كلام خالص ولا انا مش راجل قدامك
غضبه جمدنى مكاني وانتابتنى رجفة توتر مشوبة بفرحة خفية لغيرته الشديدة فقلت باستسلام:

- طيب ايه الحل دلوقتى هبات هنا يعنى
سامح :

- لا طبعا هاجى معاكوا
سماح :

- يا سامح انت لسه تعبان

- مش عاوز ولا كلمه أنا داخل ألبس علشان أروح اوصلها .. قولى لمحمد يجهز نفسه
سماح باستعطاف :

- طب ممكن آجى معاكوا
نظر لها مفكراً فاستدركت:

- علشان أبقى معاك يعنى هسيبك ترجع لوحدك وانت تعبان كده
اومأ برأسه موافقاً وأسرع إلى غرفته لتبديل ملابسه وبعد مداولات كثيرة مع والدة سماح غادرت مع سماح وانتظرنا سامح أسفل البناية حتى لحقنا محمد الذى ما أنر رأته سماح حتى قالت متسائلة:
- فين سامح يا محمد؟

- نازل ورايا
- أتأخر كدة ليه؟

- جاتله مكالمة منرفزاه مش عارف يخلصها..

وهمس لسماح فى أذنها:

- فاكرة البت اياها .. مش عاوزة تسيبوا فى حاله .. هاتك يا عياط فى التليفون ومش عاوزه تقفل

أستطعت التقاط كلماته التى كانت همسا مرتفعا وصل إلي بسهولة وانا أقف بجوارهما وهنا لمحت سامح يعبر باب منزلهم متوجهاً نحونا على عجلة من أمره وهو مازال ممسكاً بالهاتف واضاعاً أياه على أذنه ويتحدث بحنق ويشير لـ محمد بتشغيل السيارة ولنا بالركوب ، وكأن سماح استغلت الموقف واستقلت السيارة فى المقعد الامامي بجوار محمد وكأن أمر خطبتهما باتت محتومة وتلقائيا فتح سامح الباب الخلفي ليركب بجوارى ، وفى الطريق أرهفت سمعي لحديثه على الهاتف وهو يقول بضيق:
- طب عاوزة أية دلوقتى؟

- كل اللى بتقولية ده قولتيه قبل كدة

- مبقاش ينفع

- أنتِ اللى أخترتى

- قولتلك خلاص مبقاش ينفع

-أحنا بقالنا ربع ساعة بنلف فى نفس الحوار دة

-لا مقدرش أقابلك ......

- ولا حتى خمس دقايق......

- أرجوكى بقى كفاية، لو سمحتى كفاية عياط

- أنا بره البيت ----- لاء معلش لازم اقفل دلوقتى

- انتِ شايفه ايه ---- لاااا تبقى غلطانة جدا --- ولا حتى اصحاب ----- سلام

وأغلق الهاتف وهوينفخ بحنق

- أيه يا سامح من امتى وانت قاسى كدة؟

زفر بقوة هاتفاً:

- أسكتى يا سماح لو سمحتى .. قال قاسى قال

قال محمد ونظراته مصوبة نحو الطريق أمامه:

- بجد يا سامح العلاقات مبتنتهيش بالشكل ده .. لازم برضة يفضل بينك وبينها شويه تفاهم ... ولو حتى يا أخى كأصحاب وخلاص

سامح بعصبية:

- أحنا مش هنخلص .. هى عاينتك المحامى بتاعها

محمد :

- خلاص يا عم متزوقش.. ايه ده شر تعمل شر تلقى!

سماح :

- طب أعمل حساب للعشرة .. طب كلميه انتِ يا منى يمكن يقتنع.. البت مقطعة نفسها وكل اللى عاوزاه يرجعوا اصحاب على الأقل

الغريب أننى لم أشعر بالغيرة بل شعرت بتعاطفى مع الفتاة ووجدتنى أقول ببساطة:

- أه ومالة مفيهاش حاجة يرجعوا أصحاب

نظر لي سامح نظرة نارية وقال بغضب مكتوم:

- هو أيه اللى و مالة... هو حضرتك أصلا تعرفى مين دى؟
قلت بارتباك:

- مش بالظبط يعنى بس الكلام باين

- يعنى سيادتك فهمتى الموضوع ورغم كده بتقولى ومالة!!
زاغت نظراتي وقلت بخفوت:

- هو انا قولت حاجه غلط
سامح بعصبية:

- لاااا ابدا هو انتِ بتقولى حاجة غلط خالص

(٨)

بعد ثلاثة أيام هاتفتني سماح وأبلغتني بمقابلة محمد لوالدها وأنهم حددوا موعد للخطبة بعد أسبوعان حتى يكون سامح قد شُفي تماما وبدأ فى تحريك ذراعه بسلاسة ، الخبر أسعدني للغاية وأنا أرى قصة الحب هذه تتوج بارتباط رسمي يكللها بنجاح وتعلق قلبي الحالم بسامح أكثر وأنا أتصور علاقتنا تأخذ نفس المنعطف الرسمي الذى أحلم به رغم انقطاعه عني منذ آخر مرة كنا فى السيارة وغضبه مني ومن كلماتي ، وبدات استعدادتي على الفور بالبحث عن مكان أؤجر منه ثوب لهذة المناسبة على قدر ميزانيتي التى لم تكن تسمح بشراء شيء سوى حجاب بنفس لون الفستان وفى كل اتصال هاتفى وبين سماح كانت تؤكد علي للحضور باكراً للذهاب معها إلى الكوافير فأنا سأكون الوصيفة الأولى !. ، وبعد الألحاح على أمى أعطتني إذنًا مفتوحا للخروج باكرا والعودة الساعة التاسعة مساءاً وككل الأمهات كانت ترجو أن أعود لها من حفل الخطبة بعريس مناسب !

وفى الكوافير حصل مني أكبر تنازل ورضخت لرغبة سماح وخلعت حجابي ! ، ورغم نظرات سامح المتأملة إلا انه كان لا يزال غاضباً مني ويتجنب الحديث معي حتى وصلنا إلى قاعة الفندق التى سيقام بها حفل الخطبة ، وفى تلك القاعة اكتشفت بأن ثوبي محتشماً للغاية بجانب ما رأيته على الفتيات والنساء هناك وعلى خلاف ما كان متوقع مني اتخذت جانباً منزويا قليلاً وانا أرقب تحركات الحضور وبالأخص أقتراب سامح الدائم من ياسمين وهو يتعمد أن أراهما سويا فى وقفة حميمية للغاية

وفجأة انخفضت الانوار قليلاً واتخذت ألوانًا هادئة وتسربت من زوايا القاعة الموسيقى البطيئة وقام أفراد الفرقة الموسيقية بدعوة الحضور للرقص البطيء على الانغام الحالمة ، نظرت إلى سامح الذى كان يحرص على أغاظتى وهو يلف ذراعه حول ياسمين ليرقص معها وشعرت بوخزات الدمع فى

عيني وهى تنذرنى انها ستهبط بقوة وبلا توقف ، شعرت بوحدة طاغية وتجمعت برأسي كل ذكرياتي المؤلمة فى تلك اللحظة واختنق حلقى بغصته وضاق صدرى فوجدتنى أتسلل للخارج أنوى الرحيل دون أن يشعر أحداً بي ، ومنذ متى وأنا يشعر بي أحدهم من الأساس ؟.
خرجت من القاعة ونزلت السلم ووصلت لحديقة الفندق وكل ما كان يشغل بالي هو كيف سأعود إلى منزلى ، فتحت حقيبتي وأخرجت منها حجابى وأنا أبحث بعينى عن مكان أرتديه فيه، وهنا استمعت إلى نداء لاهث من خلفى:
- منى ...
ألتفت خلفي لأجده آتى نحوى بخطوات سريعة أقرب إلى الركد :
- رايحة فين قطعتى نفسى
وقفت أنظر إليه حتى توقف أمامى مباشرة ويدقق النظر بدموعي مضيقًا ما بين حاجبيه بتساؤل:
- أيه ده ..دموع .. ليه ؟
- مفيش بس مخنوقة شوية
- طب ليه ؟ و ماشية دلوقتي ليه ؟
حاولت تجفيف دموعي قائلة بجمود:
- كفاية كدة هاروح
سامح :
- هو انتِ لحقتى ، مش كفاية قاعدة لوحدك ، كمان ابص ملقاكيش كدة
قلت بسخرية :
- معلش أصل محدش فاضيلى .. روح يلا ..تلاقى ياسمين بتدور عليك
بابتسامة قال:
- ااه علشان كده مشيتى ..
قلت باندفاع:
- لاء طبعا أنت حر فى تصرفاتك ..أنا ماشية علشان مش عاوزه أتأخر، لسه مش عارفة هاروح ازاى
قال معاتبًا:
- ده كلام ؟، وانا رحت فين
- لا مش عاوزة اعطل حد معايا
- أولا انا مش حد ، ثانيا انا مفيش ورايا حاجة تعطليني عنها
قلت بسخرية مريرة:
- ليه هى العروسة دى مش أختك .. بلاش دى ..مش خايف ياسمين تسأل عليك
سامح ببرود:
- متسأل وانا مالى بيها ..
فقدت أعصابى هاتفة بانفعال مفاجىء :
- يعنى أيه مالك بيها أومال كنت بترقص معاها ليه وحاطط أيدك عليها وواخدها فى حضنك ليه وعمال تضحك وتهزر معاها من الصبح ليه؟
هااا ما تكلم ..طبعا مش لاقى حاجة تقولها .. طبعا هتقول ايه ..علشان كدة مكلمتنيش ولا مرة من ساعة ما كنت عندكم تلاقيك كنت عايش حياتك معاها طبعا
والهدية بتاعتك دى هروح اكسرها مليون حته ولا اقولك هرجعهالك شكلها وصلتنى غلط و بص بقى انت ملكش كلام معايا تانى ورقمك همسحه من عندى و.. أنت مبتسم أوى كده ليه شايف أراجوز قدامك ؟!

قال بابتسامة ارتياح كبيرة:

- بحبك ... وبحب غيرتك عليا
تحول اندفاعي وغضبي إلى نوبة بكاء شديدة وبدأ هو فى تجفيف دموعي بأنامله قائلاً:
- متعيطيش يا حبيبتى.. قلبى بيتقطع لما بشوفك كده
دفعت يده بحنق فقال بابتسامة خبيثة:
- بصراحة انا كنت قاصد.. فاكرة آخر مرة واحنا فى عربية محمد لما قولتى آه ومالة يبقوا أصحاب؟
... أضايقت منك أوى وحسيت انى مش فارق معاكى و مش غيرانة عليا
واتوقعت انك تفهمى ده وتحاولى تكلمينى تقوليلى أى حاجة لكن انتِ معبرتينيش طول الأسبوعين اللى فاتوا
قلت بعصبية متوترة :
- يعنى كنت عاوزنى اقول ايه قدام محمد وسماح يعنى .. أقولك متكلمهاش تانى ومتردش عليها .. أختك وخطيبها يقولوا عليا ايه
قال بهدوء وبساطة:
- يقولوا عليكى بتحبينى
أبتعدت من أمامه هاتفة بحنق:
- أنت مستفز
لحق بي وقبض على معصمي ليديرني إليه مجدداً قائلاً :
- وانتِ خوافة .. خايفة ليه هه.. خايفة تعترفى بالحب ليه ؟.. فاكرانى بلعب بيكى .. فاكرانى بتسلى ...مالك يا منى مرعوبة مني ليه كدة!
هطلت دموعي غزيرة وأنا أهتف من بينها بغصة وحيرة لا أعلم مصدرها :
- معرفش ..انا كده ..انا عمرى ما اتعاملت مع رجالة ..ومش عارفة اللى انا فيه ده صح ولا غلط .. مش عارفة أصدق الأفلام والمسلسلات اللى بشوفها واللي بتقولى أن اللى انا فيه دة عادى وصح ولا أصدق حاجة جوايا مش عارفاها بتقولى ان ده غلط وان ربنا غضبان عليا

أقترب مني أكثر وهو يحسم الأمر هامساً ويمسح على شعرى:
- سيبيلى قلبك وانتِ عمرك ما هتندمى ..أوعدك ، بحبك والله العظيم بحبك
وضمني إليه فى غفلة مني فدفعته قائلة بارتباك :
- ايه ده يا سامح انت ازاى تعمل كده؟
أرتسمت على وجهه أمارات التعجب:
- وفيها ايه .. هو أحنا مش بنحب بعض
- بس مش بالطريقة دى
سامح :
- اومال ايه .. هنحب بعض من بعيد لبعيد
قلت متعجبة:
- يعنى هو ده الحب من وجهة نظرك؟!
قال ببساطة:
- لا مش هو ده الحب طبعا لكن الحب ده نبته لازم نرويها
- يعنى انت توافق لاختك بكدة؟
- ايه يا منى الكلام القديم ..أنتِ من أيام الابيض واسود ولا أيه؟
قلت بحرج :
- لو سمحت بلاش تريقة.. انا كدة
سامح:

- وانا بحبك فى كل الاحوال بس خاليكى متفتحة شوية عشان نقدر نفهم بعض
- اللى انا اعرفة ان الحاجات دى بتحصل بين المتجوزين بس
سامح بتعجب:
- حاجات ايه ..انا كنت عاوز اخدك فى حضنى بس !
- بس انت مش جوزى علشان تحضنى
قال ساخراً:
- انتِ آخر مرة شوفتى فيها فيلم كانت أمتى؟
- قولتلك متتريقش عليا

أستخدم سامح كل أساليب التأثير الممكنة و معها كل أسلحته وفي النهاية قال وكأن الأمر لم يعد يعنيه:
- خلاص يا منى براحتك انا مش هقرب منك تانى لحسن تفتكرى انى مش عاوز منك غير كده وبس ..
ممكن نرجع القاعة بقى ؟

(٩)

- مفيش خروج بعد كده أنتِ فاهمة ولا لاء ؟.. علشان تبقى بعد كدة ترجعى بيتك نص الليل كويس يا هانم
- أنا كنت فى فرح وماما سمحتلى أتأخر
- شوفى بقى .. أنا صبرت عليكى كتيرلكن توصل لحد انك ترجى البيت نص الليل لااا أحمدى ربنا ان امك واقفة بينا
حاولت أمى قدر المستطاع الدفاع عنى ووقفت بوجه أخي طارق تقول برجاء :
- خلاص يا ابنى مش هتعمل كده تانى معلش حقك عليا أنا
- أسمعى يا ماما من هنا ورايح البت دى مالهاش خروج تانى إلا لما الدراسة تبدأ وانتِ المسؤلة قدامى
.. كبيرها أوى تروح عند "حياء " جارتنا وبس سامعانى ولا لاء؟
اندفعت نحو غرفتى أبكى وبداخلى يتمزق ألماً "معقولة الليلة الرومانسية دى تنتهى النهاية البشعة دى،
انا عارفة محدش هيقدر على طارق ده ابدا، لو مكنتش ماما موجودة وخاف بابا يصحى كان مد ايده عليا ،كان أيه بس اللى جابه عندنا النهاردة كان يوم منيل"

لم أجد متنفس منذ هذا اليوم إلا زيارات صديقتى "حياء" والجلوس على الأنترنت لفترات طويلة وأخبرت سامح بالهاتف بما حدث فأعطانى بريده الألكترونى وأصبح كلامنا كله من خلال برامج المحادثة الكتابية فقط فلقد أصبح من الخطر الكلام حتى لا يستمع أحدا إلينا

فى هذه الفترة توطدت علاقتى بـ"حياء" ووثقت بها أكثر وقصصت عليها تفاصيل علاقتى بسامح من البداية وحتى ذلك اليوم
وكان مما قصصته عليها حديث دار بيني وبين سامح على برنامج المحادثة وأنا أسألها بسذاجة"هو كدة حرام؟ "

سامح :
- وحشتينى يا منى قلبى
- وأنت كمان
- أنا قولت نتكلم دلوقتى أكيد الناس عندك نايمة
- اه فعلا كده احسن
- أعملى قبول للطلب دة وغمضى عينيكى
ابتسمت عندما ظهرت صورته أمامى على شاشة الحاسوب وكانت المرة الاولى التى آراه منذ حرمت من الخروج فكتبت بسعادة:
- ايه ده انت جبت كاميرا؟
سامح :
- عمرى ما فكرت أستعملها قبل كده.. بس واضح ان معاكى هستعمل حاجات كتير أوى
- أول مره أشوفك من أسبوعين.. أيه ده انت كنت نايم ولا ايه
سامح :
- اه يا حياتى نمت شوية أول الليل علشان اعرف أسهر معاكى براحتى
ثم استدرك بخبث وهو يميل للأمام ليواجه الكاميرا عن قرب وكأنه يقترب مني:
- آاه يا ما نفسى السهرة دى كانت تبقى فى بيتنا
- هو حد مانعك ..فى ايدك تخلى علاقتنا رسمى
سامح :
- والله يا حبيبتى ده يوم منايا لكن أنتِ عارفة لسة فاضلى شهرين وأخلص الجيش ويدوب هدور على شغل آجى اقولهم أيه بس
كتبت بتأفف:
- حاول تستعجل شوية يا سامح انا خلاص مش قادرة على الحبسة دى
سأل بنظرات مكتسحة:
- وحشتك يا منى؟
- اه
قال بعد تنهيدة طويلة حارة :
- مش قادر انسى الثانية اللى خدتك فيها فى حضنى .. بذمتك مش نفسك تيجى فى حضنى تانى
كتبت بخجل وتوتر :
- سامح قولتلك مبحبش الكلام ده
قال حانقاً:
- ليه هو انتِ بتكسفى من الكتابة كمان هو انا شايفك يعنى ولا حتى سامع صوتك
كتبت معترضة:
- لا برضه مش هينفع
سامح معاتبا:
- يا منى أى اتنين بيحبو بعض بيقولوا الكلام اللى مش عاجبك ده .. انتِ كده مبتحبنيش
ثم ظهرت علامات الحزن الممزوج بالغضب على وجهه وتابع :

- انا عمال اثبتلك حبى وانتِ مش عاوزة حتى تدينى ريق حلو .. انا بجد مبقتش متأكد من مشاعرك..
بصى يا منى لو حاسه انك أتسرعتى فى العلاقة دى قولى متكسفيش وأوعدك اننا هنبقى اخوات حتى لو كان قلبى هيموت عليكى حتى لو اتعذبت فى بُعدك لكن مقدرش اكمل بالشكل ده وانا شايفك حاطه حاجز بينا دايما

بلهفة كتبت بسرعة:
- متقولش كده والله بحبك ومقدرش استغنى عنك
- اللى بيحب حد بياخده كله على بعضه مش بياخد حاجة ويسيب التانية علشان كدة انا عاوزك كلك على بعضك علشان بحب كل حاجة فيكى لكن انتِ عاوزة صوت سامح قلب سامح من بعيد لبعيد وده مش حب يا منى دى أنانية
حزنت لرؤيته حزينا ولكلماته الأكثر حزنا فكتبت:
- لا يا سامح متزعلش مني كدة.. أنا والله مش عارفة اعمل أيه علشان ارضيك
قال مؤكدًا :
- قولتلك قبل كده سيبيلى قلبك اسمعى كلامى هتحسى بالحب الحقيقى
- حاضر هحاول
قال بتصميم:
- مش بالكلام
- طب اعمل ايه؟
أضاف بعض النعومة الى كلماته :
- متحطيش بينا حواجز انتِ ملكى وانا ملكك
باستسلام كتبت :
- حاضر
فقال بجرأة :
- منى شغلى الكاميرا بتاعتك .. نفسي أشوفك بهدوم البيت أكيد زى القمر

أنتهيت من سرد تفاصيل ما حدث بيننا من حوار فى تلك الليلة على أذن " حياء " التى أنتفضت على أثر سماعها سؤالي الأخير الساذج " هو كده حرام ؟" فقالت بأنفعال:
- أنتِ عبيطة ولا بتستعبطى؟ .. لسه بتسألى هو كده حرام ولا لاء ، طبعا حرام .. حرام جدا والموضوع كله من أوله للآخره حرام .. أوعى تعملى كدة أوعى تجاريه وكويس أنك اتهربتى ومشغلتيش الكاميرا.. هو انتِ فاكرة انه عاوزك تفتحي الكاميرا علشان يشوف جمال عيونك !.. انتِ أيه؟ معندكيش عقل ، الواد ده مش بيحبك يا منى .. الواد ده عاوز منك حاجة معينة مش أكتر من كدة
هتفت معترضة بخفوت:
- يا سلام ! .. يعنى هو هيتعب نفسه كل ده علشان عاوز مني أنا الحاجات دى ؟ .. طب ليه ما الحاجات دى كتيرة فى الشوارع وهو ألف واحدة تحب تصاحبه
لم تصدق حياء سذاجة حديثي وقتها ونظراتها نحوى كانت عاجزة لأبعد حد وكأنها ترانى قد وقعت فى فخ محكم وقد أنزلق إليه دون ارادتي فحاولت أن تقصيني قائلة:
- لا يا ماما الصنف ده بيحب يصطاد اكتر ما بيحب يشترى جاهز
لما يروح يشترى جاهز مش هيحس بأى مكسب أهى واحدة بايعة نفسها للكل .. لكن لما يصطاد واحدة كانت بتخاف ولد يقولها ازيك .. يحس بانتصار ويرضى غروره ومش بعيد يكون عامل عليكى رهان
قلت بأنزعاج:
- رهان يعنى ايه

حياء:
- معرفش الله أعلم .. صحصحى كدة للناس وراقبى ربنا قبل ما تراقبى أى حد تانى

كلما زادت صلابتي كلما زاد عناده وظل يبحث بشتى الطرق عن وسيلة تذيب صلابتي الواهية تلك وتبعد خوفي منه عن مسار رغباته.. وظل الوضع على ماهو عليه مجرد حديث كتابى فقط حتى انتهت العطلة الدراسية وبدأ العام الدراسي الثانى بعد أن نجحت بتقدير مقبول وسماح كذلك
وأنهى هو فترة خدمته العسكرية وعمل مع أبيه فى نفس المكتب الهندسي
وكان يوم السبت هو اليوم المثالى للمقابلات وكانت دائما المقابلات تكون جماعية فى البداية ثم نتفرق فى اتجاهات مختلفة ومن شدة أهتمام سامح وبحثه عن طرق كتيرة يذيب بها جسورى نسى أن له أختاً يراها بعينه تتأبط ذراع خطيبها وتميل عليه بميوعة وهى واثقة أن أخيها فى عالم آخر!

وكانت ضمن هذه المقابلات ..مقابلة فى السينما التى دخلنا إليها معا ولكن عندما انطفأت أنوارها انشغل كل شاب بفتاته.. كان فيلم عاطفي رومانسى بنسبة مئة بالمئة حتى أننى انفعلت جدا مع الأحداث وتخيلت نفسي مكان البطلة وسامح هو البطل وهما يتبادلان الغرام .. وذُبت مع الكلمات المُخدرة "حبيبى يا عاشق يا حر زى الطير.. شاور هقول حاضر للحب قلبى أسير" وأخذت تراودني نفسي كثيرًا
" إذن هذا هو الحب فعلا .. البطلة والبطل يتعانقان بشكل حميمى ، يعنى سامح معاه حق ولا ايه؟.. هو ده الحب فعلا ؟! ايوه هو قالى كده الحب فيه كل حاجة ..أهو البطل والبطلة لسه متجوزوش ورغم كدة بيحصل بينهم كل حاجة وفى آخر الفيلم اتجوزها ومقالش عليها حاجة وحشة ، يعنى انا فعلا متعصبة أوى معاه وممكن يكون معاه حق"..!!
وكأن سامح قد قرأ أفكاري في تلك اللحظة فمد يده يعبث بيدي فلم يجد ما كان يجده فى السابق من صد
فعلم أن الطريق بات مفتوحًا أمامه وأن الفيلم فى وقت قصير جدا أثمر بنتيجة معي أكثر من كل محاولاته فيما مضى ... فحاول أن يتطاول أكثر فأنتفضت مكاني وكأنني كنت أحلم وأبعدت يده وأنا أتزحزح بعيدا عنه .. فكان العقاب منه سريعًا وقام منتفضًا وبدل مكانه مع سماح.. لم تتوقف دموعي فى الوقت القصير المتبقى من الفيلم حتى انتهى وقد اتفقنا سابقاً على الذهاب إلى مكان آخر بعد انتهاء فترة عرض الفيلم
ولكن سامح أكمل عقابه وأستأذن وانصرف بدون تبادل كلمة واحدة معي
تنحت سماح بي جانباً بعيداً عن محمد متسائلة بدهشة لتغير أخيها المفاجىء:
- فى ايه يا منى ماله سامح ؟
قلت بدموع حبيسة :
- انا خلاص يا سماح مش عارفه ارضيه
وعرفت سماح كل ما حدث فى داخل القاعة السينمائية وحاولت أن تقنعني بالبقاء معهما ولكني رفضت وانصرفت
محمد :
- فى ايه يا سماح حصل ايه؟
سماح :
- تعالى واحكيلك واحنا ماشيين
أستمع محمد إلى سماح وهى تسرد عليه تفاصيل ما دار بين سامح ومنى وقد كان تعليقه غريبًا ومن الواضح انه تسرع به :

- معاها حق هى كده بنت محترمة
سماح بصوت عالى ونظرات حادة:
- نعمممم يا سى محمد يعنى انا بقى اللى مش محترمة
أحتوى محمد الموضوع وعالجه سريعا:
- لا يا حبيبتى مش قصدى أحنا حاجة تانية احنا مخطوبين وهنتجوز قريب
- اه افتكرت
محمد بخبث:
- طب بقولك ايه طالما مشيوا .. ما تيجى
سماح بدلال :
- لا يا سيدى المرة اللى فاتت ربنا ستر
محمد :
- متقلقيش انا خلاص بقيت حريف

قاطعني سامح لمدة طويلة بعد هذا اليوم فحاولت كثيرا الأتصال به بكل الطرق وعندها كان يجيب بإقتضاب شديد :
- أنتِ اللى خالتينى ابعد عنك
حاولت أن أجلب عاطفته بكلمات الحب عن طريق الرسائل لكن مهما كتبت له كان كل مرة أجابته واحدة
- مش بالكلام
كانت وحدتى لا توصف حتى و أنا بين الناس ،قلبي منشق نصفين بين حبيبي وبعده عني وبين خجلى وضميرى والشىء الذى أعرفه بداخلى والذى يؤكد صحة صدى له
والذى زاد من وحدتي أكثرغياب سماح المتكرر عن الكلية والمحاضرات ، فقد كانت سماح تأتى نادرًا جدًا وعلاقتنا اصابها الفتور وحتى عندما التزمت سماح بالحضور قبل أمتحانات نصف العام كانت غير طبيعية بالمرة ، ليست هذه سماح التى أعرفها أبدًا..! ، دائما فى شرود وتفكير وقلق وفي يوم ميلادها جلبت لها هدية بسيطة :
- كل سنة وانتِ طيبة يا سمسم
سماح بحزن:
- وانتِ طيبة يا منى
- قوليلى بقى العربية الحلوة دى هدية بابا ولا محمد؟
سماح :
- محمد
قلت متعجبة:
- وزعلانة ليه كدة.. المفروض تفرحى
سماح بشرود :
- أفرح ؟!
اجتاحنى قلق شديد وأنا أرى نظرات الضياع بعينيها :
- مالك يا سماح احكيلى .. ده انا صاحبتك الانتيم مالك يا حبيبتى فضفضى معايا
بدأت دموعها تنساب رغما عنها :
- أسكتى يا منى سيبنى فى حالى
مسحت على يدها بحنان قائلة:

- لو مقولتليش انا طب هتقولى لمين اتكلمى يا سماح فرجى عن نفسك
سماح ببكاء وصوت مخنوق :
- سامح مش هيعرف ؟
غاص صوتي فى حزن شديد :
- سامح ! ..هو سامح بقى بيكلمنى أصلا من يوم خروجة السينما
سماح بقلق:
- أوعدينى الكلام ده يبقى سر بينى وبينك

(١٠)

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أضرب على صدري من شدة الانفعال والألم:
- ينهار أسود بتقولى ايه يا سماح
سماح ببكاء:
- ارجوكى يا منى كفاية.. انا فيا اللى مكفينى
- معقولة ... طب وهتعملى ايه دلوقتى
جففت سماح دموعها وتكلمت بأصرار:
- لازم يوافق يتجوزنى مفيش حل تانى
صعقت من عبارتها:
- يوافق !! يعنى ايه هو مش عاوز ولا ايه

عادت سماح إلى بكائها وهى تقول:
- بقاله فترة بيتهرب مني وكل ما أفتح معاه موضوع الجواز يقولى مش فاضى ويأجل الكلام لبعدين لكن انا المرا دى مش هسكت انا هروحله بكرة ولازم يحدد موقفه معايا .. مش هو كان بيقولى (حبنا نبته لازم نرويها) أهى النبتة كبرت وبقت شجرة وفروعها لفت حوالينا ومينفعش حد يسيب التانى

شردت بعيداً والكلمات تتردد داخلي (حبنا نبته لازم نرويها) .. ! ياه .. كان سامح دايما بيقولى الجملة دى معقولة ..معقولة هو كان يقصد كدة معقولة سامح يطلع هو كمان كده .. معقولة؟!

بعد مرور عدة أيام توجهت لزيارة جارتي حياء وكنت قد قرأت إعلان معلقًا فى الكلية عن أن بعض الأسر الطلابية سيقيمون ندوة دينية ثقافية والحضور مفتوح لمن يرغب فشعرت برغبة قوية لتوجيه دعوة لـ حياء فى عزم صادق على التقرب منها أكثر وقد هوت سماح من عليائها بنظرى ، وعدتني حياء بحماس فاتر بالحضور فألححت عليها أكثر وطلبت منها أن تصحبنى إلى هناك لأضمن حضورها ووافقت

أما هناك داخل شقة محمد الخاصة والقريبة جدا من الجامعة كانت هناك معركة دائرة بين محمد وسماح التى كانت غاضبة للغاية:
- يعنى أيه الكلام ده؟
محمد بتأفف:
- يعنى مش هينفع كل ما تشوفينى تكلمينى فى موضوع الجواز ده ..أنا زهقت
سماح بذهول:
- دلوقتى زهقان منى يا محمد..فاكر لما كنت تتمنى بس نظرة رضا ولا نسيت
قال بضيق:
- شوفى يا بنت الناس لو فضلتى كل ما تشوفينى تعملى الفيلم ده يبقى انتِ كدة بتنهى علاقتنا..
سماح أقتربت منه ووضعت يدها على يده وتكلمت بتوسل:
- أنت مش وعدتنى اننا هنتجوز قبل الامتحانات
أبتعد عنها قائلا :
- مش هينفع يا سماح
سماح بتوسل أكبر :
- ليه؟
محمد بتأفف:
- بصى يا سماح انا لحد دلوقتى مخلفتش أى وعد معاكى ... خطوبة وخطبتك شبكة وجبتلك شكبة مفيش بنت فى مصر تحلم بيها ... طلبتى عربية هدية عيد ميلادك جبتلك ..عاوزة أيه تانى؟
سماح برجاء:
- عاوزة نتجوز .. نكتب كتابنا طيب
محمد ببرود:
- أنتِ بقيتى زنانة أوى على فكرة .. جواز أيه وبتاع أيه.. هنعمل أيه بالجواز يا حبيبتى ما أحنا كده حلوين
لطمت وجهها وصرخت :
- يعنى أيه مش هتجوزنى...

أخدها بين ذراعيه مهدئاً :
- أهدى بس يا حبيبتى .. أنتِ طلبتى حاجة وأنا معملتهاش؟ .. لو عاوزة أجيبلك نجمة من السما أجيبلك..
دفعته عنها هاتفة :

- انا مش عاوزه نجمة أنا عاوزاك تسترنى
محمد بسخرية:
- أسترك أيه بس ، أيه الكلام القديم ده؟!
أنتحبت وبكت بشدة :
- ده جزاتى يا محمد .. ده جزاتى انى حبيتك تضحك عليا وتخدعنى طب راعى أنى أخت صاحبك ..ياريته ماكان صاحبك ياريته ما كان دخلك بيتنا
محمد بسخرية وبرود:
- وانتِ كنتى متخيلة واحد زى اخوكى ده هيصاحب مين يعنى غير واحد شبهه
سماح بصراخ:
- أخرس متتكلمش على اخويا كلمة واحدة
محمد :
- أخوكى مين ده اللى اتكلم عليه يا ماما .. أخوكى اللى كان عاملنى بنك التسليف بتاعة .. أخوكى اللى كان بيقعد طول الليل يحكيلى حواديت أزاى أوقع البنات.. وأدينى اهو طلعت تلميذ شاطر
تفطر قلبها وكادت تختنق :
- بقى بتعمل فيا كدة علشان حبيتك
قال وهو يلوح بيديه بحركات مسرحية ساخراً:
- لالالا متصدقيش نفسك أوى كدة ..أنتِ اللى كنتى معندكيش مانع من الأول ولا نسيتى
صرخت سماح :
- انا كنت فاكراك بتحبنى مكنتش اعرف انك ندل
محمد باستهزاء:
- يا سلام طب ماهى صاحبتك بتحب أخوكى ... لاء وأيه أخوكى ده الأستاذ كمان .. رغم كدة مش عارف يطول منها حاجة.. يبقى يا أموره انا اللى ندل ولا أنتِ اللـــى...
وضعت كلتا يديها على رأسها وأخذت تبكى بشدة :
- يعنى طلعت فى الآخر انا اللى مجرمة
أقترب منها وأمسك يديها وتكلم بنعومة:
- سمسمة يا حبيبتى ليه بس كدة.. ليه دخلتينا فى المتاهات دى ما احنا كنا حلوين وعايشين حياتنا كويس
نظرت له نظرة حقد متسائلة من بين دموعها:
- أنت ازاى بتحط عينك فى عين اخويا وانت نيتك قذرة كدة من ناحية أخته؟
محمد بتعجب:
- زى ما انتِ بتحطى عينك فى عينه بالظبط وانتِ بتبقى لسة فى حضن صاحبه

خرجت من شقته والحقد يملأ قلبها ووقفت أمام السيارة وقبل أن تفتح بابها تذكرت أنها كانت ثمن علاقتهما الملوثة وقفت مترددة ثم حسمت أمرها:
- لاء مش هسيبهاله .. يعنى أيه .. هياخد كل حاجة ببلاش وانا هطلع من المولد بلاحمص
أستقلتها وقادتها بسرعة عالية لا تكاد تفرق بين خطوط الطريق ودموعها وهى يتردد فى عقلها جملة محمد
(طب ماهى صاحبتك بتحب أخوكى لاء وأيه أخوكى ده الأستاذ كمان .. رغم كدة مش عارف يطول منها حاجة .. يبقى يا أموره أنا اللى ندل ولا أنتى اللـــــى ..)
وبدلاً من أن توجه طاقة الكره تلك تجاه محمد وجهتها تجاهي وأخذ شيطانها يردد لها جملة واحدة "منى مش أحسن منك مش لازم تبقى أحسن منك "

أنتبه سامح من عبثه على جهاز حاسوبه الشخصي على صوت طرقات باب غرفته فقال منادياً:
- أدخل
دخلت سماح بابتسامة زائفة وهى تقول:
- مساء الخير
قال بعبوس:
- عاوزة أيه يا سماح؟
تصنعت الجدية قائلة :
- عاوزة أتكلم معاك شوية .. ممكن
ترك ما كان يفعل وأستدار لها :
- نعم عاوزة ايه
- بجد يا سامح أنت بتحب منى ولا لاء
سامح بضيق :
- وأنتِ مالك بتدخلى ليه فى خصوصياتى
سماح تخلط صوتها بالأهتمام:
- أنت اخويا ولازم أهتم بأمورك
سامح بتأفف:
- وبعدين بقى ..خلصى عاوزة ايه من سؤالك ده
وضعت يدها على كتفه بحنان:
- عاوزاك بس متضايقش لما تعرف أنها نسيتك

أنزعج بشدة وهو يقول:
- أيه نسيتنى ..أنتِ بتقولى ايه وعرفتى منين.. هى اللى قالتلك كده؟
قالت بشفقة :
- هى مقلتش بالظبط يعنى بس أى واحدة بتحب واحد لما بيبعد عنها بتبقى مضايقة .. زعلانة .. مخنوقة
لكن منى شايفاها ولا على بالها
صمت سامح لثوان بتفكير ثم قال :
- معقولة.. انا مكنتش عامل حساب كدة أبدا
قالت بفضول:
- يعنى ايه مكنتش عامل حساب كده .. هو انت كنت قاصد تبعد عنها
سامح بتفكير :
- بصراحة آه .. كان ليا هدف كدة بس اللى بتقولى عليه ده بوظلى كل حاجة
تسائلت بلهفة:
- هدف ايه؟
كاد أن يسترسل فى الحديث لكنه تذكر أنه يتحدث إلى أخته فقال بانزعاج:
- أيه ده وانتِ مالك انتِ
سماح باهتمام:

- متخابيش عليا ده انا اختك ولو طلبت مساعدتى مش هتأخر أنت أهم عندى منها.. قولى بصراحة أنت بتحبها ولا لاء
أجاب بعصبية:
- مش عارف
- يعنى ايه مش عارف ماهو يا بتحبها يا لاء
قال بتردد:
- بصراحة.. أنا فى الأول كنت حاسس انى ممكن أكون بحبها .. لكن أول ما ابتدت تسيبنى امسك أيدها وبقينا نخرج مع بعض وانا بقيت احس انها زيها زى أى واحدة سهلة وبقت متفرقش معايا

وعندما سمعت سماح عبارة (بقت متفرقش معايا) لمعت عيناها بانتصار وقالت:
- يعنى بتبعد عنها دلوقتى علشان ناوى تسيبها؟

أجابها بتردد قلق :
- لاء ..أنا بس شايفها كدة عين فى الشرق وعين فى الغرب فقولت أبعد عنها شوية كدة أخلى قلبها يغلى شوية وتأنب نفسها على صدها ليا فلما أرجعلها تبقى زى العجينة أشكلها فى أيديا زى ما أنا عايز
وساعتها متقدرش تقولى لاء أبدا علشان هتبقى عارفة اللى هيحصل بعدها
لكن اللى انتِ بتقولى عليه ده معناه ان الطريقة دى كمان فشلت معاها ولازم ألحق قبل ما تنسانى خالص

شعرت بقلبها يعتصر بداخلها (هى دى بقى الخطة اللى علمتها لمحمد وأهو نفذها معايا يا سامح ونجحت نجاح باهر ولازم أساعدك علشان تنجح كمان معاها علشان مبقاش لوحدى الآقى حد تختلط دموعى بدموعه وذنبه بذنبى هى مش أحسن مني فحاجة)
- أيه مالك سرحانه فى أيه؟

أنتبهت سماح :
- هه لا مفيش بفكر فى مشكلتك
أمسك هاتفه وفتح الرسائل وظل يكتب رسالة طويلة
سماح :
- بتعمل أيه
قال دون أن ينظر لها:
- ببعت رسالة لمنى .. مش أنا اللى أتنسى كدة بالساهل يا سماح
(سامحينى ليس بيدى ..عندما أراكى حبيبتى لا أمتلك نفسى فأنا أشعر أنك زوجتى ..قطعة مني .. فقررت أن لا أضايقك بعد الآن وأبتعدت عنكِ ولكنى لم أستطع ..قلبك لى وقلبى لكى)

كان سامح يعلم مداخلي جيدا الرومانسية والتضحية ، وعندما انتهى وقرأت سماح الرسالة أيقنت أنني لن أتحمل الفراق بعد هذه الرسالة وسأعود إليه بمجرد رؤيته
نظرت لسامح نظرة شيطانية ونفثت فى سمعه مقترحة بحماس:
- أسمع يا سامح منى دى صاحبتى وأنا عارفاها كويس بصراحة مبتجيش إلا بالأمر الواقع
عقد بين حاجبيه قائلا :

- تقصدى ايه؟
سماح :
- أصل بصراحة كده منى بعد ما كانت معاك فى السينما .. قعدت تكلمنى وتحكيلى وتعيط وتقول انا مش عارفة بصده ليه أنا مش عارفة انا بعمل كدة ليه أنا بحبه وعاوزاه أكتر ماهو عاوزنى بس مش عارفة ليه لما بيكون فى حد معانا بقفش كده وببعد عنه يمكن لو لوحدنا يبقى عندى الجرأة
نظر لها سامح بشك:
- منى قالت كده..
أومأت برأسها إيجابًا فأخذ يفكر فى كلامها بصوت عالٍ:
- يعنى هى بتصدنى علشان مش لوحدنا!!
تابعت سماح وهى تعمل على أقناعه بتلك الأكاذيب:
- أنت عارف يا سامح لما كانت بتيجى هنا وانت مش موجود وكنت بسيبها وادخل المطبخ كنت برجع القيها فى اوضتك .. واخدة هدومك فى حضنها وبتبوسها وبتشم ريحتك فيها بشوق
ولما كانت بتشوفنى كانت بتتلخم وتخرج بره وكان بيبقى وشها أحمر أوى كأنك انت اللى كنت فى حضنها مش هدومك

أبتسم سامح ونظر لأخته وقال لها ساخرا بتوجس :
- أنا كنت فاكرك بتحبى صاحبتك
عبثت سماح بشعرها وقالت بلامبالاة:
- أنا مش قصدى حاجة وحشة والله انا بس عاوزاكوا ترجعوا لبعض وبعدين يعنى أنت مش هتأذيها لكن هى منى كده مبتجيش إلا بالأمر الواقع خصوصا لو محدش شايفها.. صدقنى

لم يجد شيطان سامح فرصة أكبر من هذه لأقناعه بمجاراة شيطان أخته فأقنعه بالفكرة بسهولة مستخدماً جملتها (أنت مش هتأذيها انت بس هتخاليها تاخد عليك)
نظر إلى أخته وقال بشرود:
- هتخاليها تيجى هنا أمتى
أبتسمت فى مكر:
- انت اللى هتخاليها تيجى
- أزاى؟
سماح بثقة:
- زمان رسالتك عاملة عمايلها .. أول ما هتشوفك بعد بكرة عند باب الكلية هتنسى كل حاجة .. خد معاك عربيتى وفهمها أنى تعبانة فى البيت ومحتاجة أشوفها ضرورى
سامح بتسائل:
- طب وماما
سماح بأبتسامة نصر:
- هقعنها تروح تزور جدتك وكريم أخوك فى المنصورة .. هى كانت قالتلى من فترة ان جدتك بقت كويسة وكفاية بقى كدة كريم لازم يجى يعيش معانا
رفع حاجبيه متعجباً وقال :
- ياه ده انتِ مجهزة كل حاجة أهو
- علشان تعرف بس غلاوتك عندى

(١١)

فاجأتني حياء بمرورها ببيتي لتصحبنى هى للندوة بدلاً من انتظارها لي ببيتها وبمجرد ان رأتها والدتى حتى شاركتها فرحتنا قائلة بسعادة كبيرة :
- هشام ابنى جاى من السفر أول الشهر علشان يتمم موضوع جوازه
سعدت حياء جدا بالخبر فهى تعلم مدى تعلقي بـهشام وحبي له وشوقى لعودته إلى الوطن ولقد كانت على يقين من أنه سيستطيع ملىء الفراغ الكبير الذى أشعر به ببيتنا وفى حياتى بصفة عامة بروحه المرحة وعندما تسائلت والدتى عن موعد انتهاء الندوة أجابتها حياء مطمئنة أياها بأنها ستعيدنى بيدها إلى البيت كما أخذتنى منه فلا داعى للقلق

وفى داخل قاعة الندوات شعرت حياء بالتوتر المفاجىء والمشوب بالفرحة الذى ظهر بقوة على ملامحى وحركاتي وأنا أمسك بالهاتف بيدى وأقرأ رسالة وصلتنى للتو

حقيقة الندوة كانت أكثر من رائعة وتعرفت بداخلها على فتيات يظهر عليهم الألتزام الدينى وقالت احداهن لي بود وتعجب:
- معقولة انتِ معانا فى سنة تانية.. أول مرة أشوفك!!

لم تخرج حياء من القاعة بعد انتهاء الندوة حتى جعلتني أتبادل رقم هاتفي معهن فلقد حرصت جدا أن تكون لي صحبة صالحة تعينني على الخير وأستبدلهم بصحبة سماح .. وحدثت لـ حياء مفاجأة أخرى حيث وجدت صديقة قديمة لها كانت قد فقدت أثرها لفترة طويلة وجمعتهما الأقدار فى هذه الندوة وعلمت منها أنها تم عقد قرانها على أحد معيدين الكلية وان زفافهم قريب
جلسنا معاً فى الكافتريا بعض الوقت ولم يكن هناك محاضرات هذا اليوم ، فقلت لها وأنا أحاول ألا أظهر السعادة والترقب المرتسمان كلوحة زاهية الألوان على وجهي بوضوح :
- انا مش عاوزة أروح دلوقتى لو عاوزة تمشى أنتِ أمشى أنا قاعدة شوية
حياء بتساؤل :
- ليه انتِ معندكيش محاضرات
قلت بتلعثم:
- أصلى مستنية جماعة اصحابى
- مين دول
أجبت بتردد:
- سماح
لم تقتنع حياء بكلماتي وأصرت على البقاء معى أو عودتى معها للمنزل كما وعدت والدتى .. أصابتنى

خيبة كبيرة وأنا أتحسر على اللقاء الذى لم يكتمل وخرجت بتردد بصحبتها من باب الجامعة ووقفنا للبحث عن وسيلة مواصلات تقلنا إلى البيت وعينيى تدور حولي وكأننى اتوسل حتى رؤيته من بعيد دون لقاء حقيقى حتى سمعته يناديني من مكان قريب :
- منى
ألتفتت هى الأخرى بتوجس نحو مصدر الصوت وفى نفس اللحظة ومالت على أذني قائلة بهمس:
- مين ده أنتِ تعرفيه؟
قلت بتلعثم:
- آه ده .. ده سامح أخو سماح صاحبتى
أقترب هو منا فى هذه اللحظة بابتسامة جذابة:
- صباح الخير
أجبته بخجل :
- صباح النور
حياء بحذر:
- وعليكم السلام
أشرت نحوها بتلعثم معرفة أياها له وقلت:
- أعرفك يا سامح دى حياء صاحبتى وجارتى
مد يده للسلام بتلقائية قائلا :
- أهلا وسهلا
بالطبع لم يكن يعلم أن حياء لا تصافح الرجال ففوجىء بها تنظر إلى يده الممدودة ثم تنظر إليه وتقول ببرود:
- أهلا بيك .. آسفة مبسلمش
شعر سامح بالأحراج ومسح بيده على شعره بينما نظرت شذرا وحاول سامح تغيير مجرى الحديث مديراً دفته نحوى قائلاً :
- ايه يا منى انتِ كنتى ماشية؟!
وقعت فى موقف لا أحسد عليه فقلت بارتباك :
- آه .. قصدى لاء ... انا كنت بوصلها
نظرت لي حياء بدهشة وهى تلمح مدى تأثيره في إلى تلك الدرجة فتابع سامح حديثه قائلا ببساطة:
- طيب يلا نوصل صاحبتك مع بعض وبعدين نروح مشوارنا
ثم أشار إلى السيارة وقال موجها حديثه لـ حياء :
- أتفضلى نوصلك فى سكتنا
أبتسمت له حياء أبتسامة صفراء وهى تقول بهدوء:
- سورى مش بركب عربيات مع حد معرفوش..
حاول سامح أن يمزح قائلا:
- خلاص نتعرف
حياء باستفزاز:
- مبتعرفش على ولاد
نظر لها قليلاً بتأن وعلى ما يبدو كان يقيمها على أنها أحد زوار كوكبنا من الفضاء الخارجى فقدرتها على " الرخامة " تفوق البشر ! ثم قال ساخراً ومشككاً:
- مبتتعرفيش على ولاد خالص..
ثم بنظر الى ملابسها الفضفاضة قال باستخفاف وكأنه قد حدد للتو الكوكب الذى تنتمى إليه :

- ليه حرام؟
قالت حياء باستفزاز أكبر:
- بالظبط كدة أى أسئلة تانية؟
سامح ببرود :
- حرام ليه بقى
ثم تابع باستخفافه المعهود:
- آآه .. علشان الوضوء صح !
فأجابته وكأنها قد حددت هى الأخرى درجة البرود الذى يتحدث به فقررت أن تصل بالدرجة إلى التجمد الكامل وقالت بنظرة استخفاف أكبر وببرود مماثل:
- لاء علشان رسولك الكريم بيقول " لأن يطعن أحدكم فى رأسه بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له"..عارف حضرتك يعنى أيه لا تحل له؟
تغير وجهه وقال بحنق:
- عارف طبعا انتِ فاكرانى جاهل ولا ايه
قتلنى التوتر وانا أتابع تلك المعركة الباردة الساخرة الدائرة أمامى فقمت بتغيير مجرى الحديث وأنا أقول له :
- هى سماح فى العربية ؟

قال سامح وهو ينظر لحياء بحدة:
- لاء سماح تعبانة وكانت عاوزة تشوفك
- تعبانة مالها ..طب هى فين؟
بنفس النظرات الحادة قال:
- فى البيت.. هتيجى تشوفيها ولا هتسيبيها كده
ألتفت إلى حياء وتكلمت برجاء:
- لازم اروح اشوفها شكلها تعبانة أوى

شعرت حياء باختناق وهى ترى ضعفي أمامه إلى هذا الحد فقالت بعصبية مكتومة وقد ذابت ثلوجها دفعة واحدة:
- بقولك ايه يا منى زى ما خدتك من بيتك هرجعك بيتك تانى

شددت على قبضتها وأنا أقول بصوت منخفض :
- أوعدك مش هتأخر هشوفها بس .. دى تعبانة وعاوزة تشوفنى
حياء بانفعال:
- اللى تعبان بيودوه للدكتور ولا بيودوه مستشفى
قلت باستعطاف :
- دى صاحبتى لازم اطمن عليها
حياء بسخرية :
- بسيطه كلميها فى التليفون
سامح كان يتابع المناقشة بيننا ومنتظر النتيجة وكأنه متأكد من أنتصارى فى النهاية .. فأخرجت هاتفى من حقيبتي وحاولت أن أتصل بها مرارًا وتكرارًا ولكنها لم ترد بالطبع وهنا قال سامح مصطنعًا التأثر:

- أصلها تعبانة أوى وصوتها رايح خالص
قالت حياء بجمود وهى تضغط مفاتيح هاتفها القابع دوما براحتها :
- بسيطه .. مليني رقمها يا منى
وضعت الهاتف على أذنها وماهى إلا ثلاث رنات فقط وأجابت سماح بصوت خالى من الأوجاع :
- ألوو

مدت حياء يدها بالهاتف نحوى وقالت باستفزاز وهى تنظر إلى سامح قائلة :
- واضح انها مبتردش عليكى انتِ بس

تناولت الهاتف من يدها وتحدثت إلى سماح وحياء تتابع الموقف بترقب وسامح ينظر لها نظرات عدائية للغاية حتى أنهيت حديثى معها وقد دمعت عيني لما وصلنى من صوتها المتعب وقلت بتأثر:
- دى شكلها تعبان أوى
حياء بحسم :
- شوفى يا منى من الآخر كدة .. زى ما أخدتك بيتك هرجعك بيتك تانى .. أنسى
قال سامح بانفعال مفاجىء :
- هو حضرتك بقى وليت أمرها ولا أيه...
قالت حياء وكأنها تقر واقعاً ببساطة :
- أيوا بالظبط كده أنا وليت أمرها
توقعت أن يثور إلا أننى تفاجأت به يضحك فجأة وبدون أسباب وكأن مبالغتها قد أعجبته :
سيطر على ضحكته فى ثوان ثم نظر نحوى وقال بلهجة آمره تفوح منها رائحة التهديد وهو يهم بالانصراف:
- يالا يا منى هتيجى معايا ولا لاء..
تهديده أتى بثماره على الفور فقلت سريعاً وبنظرات متوسلة وأنا أهم بالأنصراف معه :
- معلش انا مش هتأخر.. ماشى؟
ساعتها أستدعت حياء كل الحزم بداخلها وأمسكتنى من يدي وقالت بتوعد حقيقى :
- بصى يا منى لو أمك سألتنى منى فين هقولها اللى حصل ده ماشى ؟
هتفت بها بفزع:
- ايه .. ليه طيب؟
لم تهتم حياء بوجود سامح فى ذلك الوقت ولكن كل ما شعرت به هو خوف حقيقى تملكها لا تعرف له مصدر سوى أنقباض شديد بقلبها وقالت:
- منى.. انتِ عارفة انى معنى قسمى كويس ... أقسم بالله .. والله.. والله.. لو أمك قابلتنى وأكيد هتقابلنى لهقولها أنتِ مرجعتيش معايا ليه وانتِ عارفانى يا منى لما بحلف بالله

سقطت أدرعي وانكسر أملى الأخير فى استعادت قلب سامح و انصعت مرغمة لرغبة حياء وذهبت معها وفى سيارة الأجرة هتفت بها بحنق :
- كده تحرجيه بالشكل ده
حياء براحه كبيرة:
- ايووووون .. أحرجه وأحرج اللى خلفوه كمان
- متكلميش عليه كده ..أرتحتى أهو أتحرج ومشى ..زمانه زعل منى حرام عليكى
حياء:
- يا منى وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والواد ده شكله الشر ذات نفسه

- خلاص أرتاحى ..أدينى مشيت معاكى غصب عنى .. خلاص

وهكذا فشلت خطة سماح فلم أذهب للفخ الذى كانت تنصبه لي بينما عادت والدتها بصحبة أخيها الأصغر وجدتها لتقيم معهم بالمنزل وبذلك فقد استحال مخططها إلى ركام .

(١٢)

مر أسبوع بعد هذا الموقف وفشلت كل محاولات حياء للحديث معي فلقد كنت غاضبة منها وبشدة وفى بداية الأسبوع التالى بدأت أتصالات غريبة تأتى لرقم حياء من أرقام غريبة غير مسجلة لديها وهى فى العادة لا ترد على أرقام غير مسجلة ولكن مع الاتصالات المتوالية والتى سببت لها بازعاج شديد اضطرت للرد أخيرا وبجفاء وقسوة قائلة:

- أيوه ... نعم

المتصل :

- ياه ده أنتِ رخمة على طول بقى مش معايا انا بس

قالت حياء بحدة:

- مين حضرتك

المتصل :

- كمان رخمتى على ناس كتير لدرجة مش فاكرة انا مين فيهم

حياء:

- لو مقولتش انت مين وعاوز ايه وجبت رقمى منين هقفل السكة

المتصل :

- ايه ده ايه ده هو انا بكلم وكيل نيابة

حياء:

- أوف اللهم طولك ياروح ..أخلص

المتصل :

- خلاص خلاص هقولك ..بصراحة من غير لف ولا دوران أنا عاوز أعبرلك عن مشاعرى

هتفت بانفعال قبل أن تغلق الهاتف بوجهه :

- مشاعرك دى تروح تقولها لخالتك

بعد قليل أتتها رسالة نصية من نفس الرقم فحواها (يا جامد أنت يا شرس) ..ملحوظة.. (أنا معنديش خالة)

حذفت حياء الرسالة ولم تعرها اهتمام كأى رسالة معاكسة لا أكثر ودون أن تهتم بمعرفة هويته ، ولكن لكنه لم يتوقف عن الأتصال ولم يمل من عدم ردها ومر أسبوع ثاني وثالث ومازالت ثورتى تتحكم بي وأتجنب اللقاء بـ حياء قدر المستطاع وهى أيضا كفت عن محاولات التصالح معي فقد انشغلت بالتواصل مع صديقتها نهلة التى صادفتها فى الندوة بعد طول غياب .. كانت نهلة هى وزوجها

مهتمين بالنشاط الدعوى فى الكلية عن طريق الندوات الثقافية وحاولت أشراك حياء معها بدعوتها لأكثر من لقاء .. تحمست حياء لأفكار نهلة واندمجت معها أكثر

و يوما ما كانت فى الجامعة بصحبة صديقتها نهلة وزوجها الذى كان يشرح داخل أحد المدرجات الشاغرة أهمية العمل الدعوى داخل الجامعة لأنه أكثر مكان تتعرض فيه الفتيات للفساد الأخلاقى وخصيصًا فتيات الفرقة الأولى
لم يصمت هاتف حياء أبدا وظل يتصل بشكل مزعج للغاية فقامت هى بتشغيل خاصية الصامت ولكن ظلت أهتزازاته مزعجة أيضا .. مالت نهلة على أذن حياء وقالت بخفوت:
- ردى بقى أنا اتروشت
حياء :
- ده رقم غريب بقالة فترة مزهقنى
نهلة :
- طب هاتى وانا أعرفه شغله
أبتعدت نهلة قليلا حتى لا تزعج بقية الحضور وأجابت المتصل بسيل منهمر حانق من الأسئلة " أنت مين وعاوز أيه ..أنتوا ايه مفيش وراكوا حاجة ..مبتخافوش من ربنا "
المتصل بهدوء ورصانة:
- ممكن أكلم الآنسة حياء ......
نظرت لها نهلة باندهاش وهمست :
- ايه ده .. ده قال أسمك الثلاثى يابنتى
تعجبت حياء وتناولت الهاتف من يدها وتنحت جانبًا وقالت بحنق :
- ألو نعم أنت مين وجبت أسمى منين
المتصل بسخافة:
- حتى اصحابك كمان رُخمة زيك
زفرت بشدة :
- اللهم طولك يا روح .. يا تقولى انت عاوز ايه يا أما متتصلش بيا تانى وتزعجنى كدة انا مش فاضية
المتصل بنبرة أنتصار:
- بجد يعنى انا زهقتك .. طب كويس دى نقطة فى صالحى
زفرت بقوة هذه المرة وقالت بعصبية:
- يا ربى ايه البنى آدم ده ، ممكن تخلصنى بقى حرام عليك هتخالينى أبيع الموبايل بسببك
المتصل بثقة:
- لو بعتى الموبايل ولا حتى غيرتى الرقم هجيلك عند بيتكوا
صمتت حياء وقد شعرت بقلق وخوف حقيقى ثم قالت :
- عند بيتنا ازاى يعنى أيه السخافات دى
تابع بنفس بثقة:
- مش سخافات ولا حاجة وبالأمارة انتِ ساكنة فى......
لم تخف حياء بحسب وأنما نجح فى أن يصيبها برعب حقيقى ولكنها حاولت أن تبدو متماسكة وهى تقول بحذر :
- وبعدين؟
المتصل :

- ولا قابلين ..هتسمعينى لآخر المكالمة ولا لاء

قالت بنفاذ صبر:
- نعم خلصنى عاوز ايه
المتصل:
- بصراحة كده انا معجب بأخلاقك أوى عمرى ما قابلت بنت زيك
قالت بسخرية:
- اه حضرتك معجب بأخلاقى فقولك تبوظهالى مش كده؟ خلصنى عاوز ايه
المتصل:
- عاوزك تطلعى بره المدرج
زاغت عينيها حولها قلقًا وقالت بريبة:
- ليه؟
أجاب على الفور بثقة :
- لما تطلعى هتعرفى .. بسرعة لو سمحتى
نظرت حياء إلى نهلة نظرة سريعة فوجدتها قد عادت إلى الحضور واندمجت مرة أخرى فى المناقشات الدائرة مندمجة مع المناقشات .. شعرت بتردد هل تخرج لترى من هذا المتطفل أم لا .. وفى النهاية حسمت أمرها قائلة" أطلع ايه هو هياكلنى يعنى"

****

خرجت حياء من المدرج وهى تتلفت باحثة عن شخص لا تعرفه... خطت خطوات للأمام لعلها ترى هذا المتطفل حتى سمعته يقول من خلفها :
- أقول صباح الخير ولا السلام عليكم
ألتفتت للخلف وقد اتسعت عينيها من المفاجأة وهى تقول بدهشة:
- أيه ده .. أنت؟!
قال بأبتسامة عريضة :
- أيه رأيك فى المفاجأه دى
تسمرت مكانها كأنها تحولت الى تمثال من الجبس .. لم تتكلم وظل صامتا وهما ينظران إلى بعضهما البعض وفى النهاية قالت بجمود:
- عاوز أيه وبتضايقنى فى التليفون ليه ؟
حاول سامح الدفاع عن نفسه قائلا :
- أولا انا مكنش قصدى أضايقك فى التليفون ثانيا كل اللى عاوزه أنك متخديش عنى فكرة وحشة
قالت بأنفعال:
- كلام غريب وعجيب .. بتعمل كل ده علشان تقولى متخديش عنى فكره وحشة ..وده يخصك فى ايه اصلا اخد عنك فكره وحشة ولا لاء
قال بهدوء :
- حقيقى أنا مش عارف ..كل اللى فكرت فيه انى لازم اقولك أنى كويس والله ارجوكى متخديش عنى فكرة غلط ..انا من جوايا كويس بس كل أنسان فيه الوحش وفيه الحلو
زاد أنفعالها وهى تقول :
- وحضرتك ترجمت كلامك ده فعلا لما فضلت كام أسبوع تضايقنى فى التليفون
- على فكرة انا مكنش قصدى أضايقك خالص ..أنا لما أتصلت أول مرة أتصلت علشان أقولك كده ولما حسيت انى اتكلمت غلط حاولت أتصل تانى لكن انتِ مردتيش عليا من ساعتها

عمل حديثه على أستفزازها وقالت بعصبية :
- وانا مالى كويس ولا وحش..لو كنت بتقول كده علشان منى دى حاجة تخصها انا ماليش دعوى فى حكمها عليك
تابع بنفس النبرة الهادئة :
- انا بتكلم على حكمك أنتِ ..عاوزك تعرفى انى كويس ومتقوليش ليه علشان انا نفسى معرفش وعلى فكرة انا بقالى أسبوع باجى هنا وبشوفك وكل ما آجى اكلمك بتراجع

زفرت حياء محاولة كتم غضبها :
- أنت ايه يا أخى مش مكفيك اللى بتعمله فى منى كمان جاى تعملى غسيل مخ أنا كمان

قال محاولا تهدئة الموقف:
- أدينى فرصة أتكلم..أنا معملتش فيها حاجة وحشة ولا غصبتها على حاجة
أستفزها أكثر فقالت بحدة:
- صح مغصبتش عليها فى حاجة مخلتهاش تسيب كليتها وتخرج معاك انت وأختك ومش فارقة معاك انها ممكن تسقط ومستقبلها يضيع .. مخلتهاش تركب معاكوا عربيات ومعملتش فى حسابك ان ممكن حد من أهلها يشوفها وتروح فى داهية.. وانت مالك تفكر فى كده ليه انت راجل عاوز تتبسط وخلاص مجتش هنا تاخدها بطريقة غريبة ومريبة علشان تشوف أختك اللى انا واثقه انها مكانتش تعبانة ولا حاجة والله أعلم كان ايه اللى هيحصل لو سبتها تروح معاك
والاهم من كل ده وده انك خلتها تبعد عن ربنا وتسيب صلاتها وتتنازل عن مبادئها وتعيش على طول قلقانة ومتوترة وبتفكر يا ترى هترتبط بيها ولا بتلعب بيها ، وأنت هتغصب عليها ليه كفاية غسيل المخ اللى عملتهولها انت وأختك
ظل يستمع وهو ينظر للأرض كالطفل المخطىء حتى أنهت حديثها وتحركت فى أتجاه المدرج لكنه أستوقفها قائلا :
- لو سمحتى أستنى انا مقبلش أن حد يكلمنى كده وميدينش فرصة أدافع عن نفسى ويسيبنى ويمشى ..انتِ بتتكلمى كده كأنى أنا الغلطان لوحدى .. يعنى صاحبتك مش غلطانة.. يعنى أنا عملتلها سحر وخالتها تتغير كده ولا هى معندهاش عقل تفكر بيه؟..مبادىء أيه اللى بتتكلمى عنها.. منى كانت بتسمع كلامى وبتتأثر بيه من أول لقاء بينا .. منى لو كانت قبلت أى راجل غيرى وقالها الكلام ده كانت هتحبه برضة ..هو أنتِ فاكرة أنها بتحبنى انا؟.. لاء دى بتحب الاهتمام بتحب انها تتحب ولو قعدت مع نفسها وفكرت شوية هتلاقى كلامى صح ، رغم كده انا منكرش انى غلطان وانى طول عمرى كنت بتصرف بطيش بس لازم أعقل بقى ولازم الاقى اللى يساعدنى على كده
حاولت أن تنهى هذا الحوار السخيف :
- أسمع يا ابن الناس ربنا يهديك.. لو سمحت بلاش تضايقنى فى التليفون تانى أما بقى بخصوص منى فأنا هقولها اللى حصل ده وأعتقد أن كده يبقى الموضوع أنتهى بينك وبينها
أومأ برأسه موافقا وهو يقول:
- موافق قوليلها وفعلا يبقى كده الموضوع أنتهى بينى وبينها .. بس ما أنتهاش بينى وبينك
نظرت له بأندهاش وهتفت منفعلة:
- أفندم.. موضوع ايه اللى بينى وبينك؟ أحنا مفيش بينا مواضيع
سامح:
- أومال يعنى انا كنت بتصل بيكى كل ده ليه وجيت النهارده ليه..علشان أجى أسمع رأيك فيا وأمشى
قالت بتأفف:
- يارب نخلص

سامح:
- قد كده بتكرهينى؟ ..أنا عاوزك تساعدينى.. أنا زى ما أكون كنت ماشى فى طريق ضلمة وفجأة جيتى أنتِ وفتحتى النور وشوفت كل اللى مكنتش شايفة ..أنا محتاج لواحدة زيك ترجعنى لنفسى اللى فقدتها من سنين
قالت ساخرة:
- تصدق شكلى أتأثرت أوى ..لحظة بس أطلع المنديل، أنت ايه يابنى فاكرنى ايه..كل الفيلم ده علشان تقنعنى بالاسطوانة المشروخة دى.. يالا كمل وقولى أنك حبيتنى من أول نظرة ولا أقولك أستنى لما اجيبلك الكامنجة علشان تعرف تغنى عليا كويس
نظر للأعلى ثم عاد بنظره إليها قائلا:
- شكلك كده هتتعبينى أوى لحد ما تفهمينى صح

نظرت له بتقزز واسدارت لتعود أدراجها فاصطدمت بصديقتها نهلة التى خرجت للتو من المدرج تبحث عنها ويتبعها زوجها ولقد كانت ملامحها أكثر من شارحة للموقف فقال الدكتور أحمد زوج نهلة بصرامة وهو ينظر إلى سامح بحدة :
- فى حاجة يا آنسة حياء؟.. لو حد بيضايقك قولى
حياء:
- لا ابدا يا دكتور مفيش موضوع سخيف كده وخلص خلاص
***

كنت في غاية السعادة وأنا أعانق أخى هشام الذى عاد للتو من غربته وأبثه شوقي لتواجده بيننا كما كنا فى السابق وهو يحتضننى بشوق وحب ومرح كعادته وأمى على الجانب الآخر تتمسك بصدر قميصه وتبكى فرحاً .. دلف هشام إلى غرفة أبى ليسلم عليه وجلس معه قليلا ثم خرج إلينا وحده يجلس فى المنتصف بيننا وهو يربت على رأسي مداعبا ويقول :
- أزيك يا بت يا منى وحشتينى أوى ..والله كبرتى ده انا كنت سايبك مقروضة
هتفت معترضة أشاغبه :
- متلغبطش بس علشان خطيبتك يدوب أكبر مني بكام سنة بس
ضحك وهو يتوجه بالحديث لأمى:
- بجد يا ماما منى كبرت بقى وعاوزين نفرح بيها
نهضت أمى لتعد المائدة بسعادة وهى تقول:
- والله أيدى على كتفك يا هشام يابنى
حاولت تغير مجرى الحديث وأقول:
- ها يا هشام ناوى تعمل الفرح أمتى
ضرب كف بكف وهو يقول بنفاذ صبر:
- هو بأيدى يعنى.. حمايا هو اللى واقف فى الموضوع.. بنته الوحيدة بقى ومش عاوز يسيبها
عادت أمى إليه قائلة بثقة :
- ولا يكون عندك فكر يا حبيبى.. بكره هروح أزورهم وانا ليا كلام مع أمها
نهض هشام وقبل رأسها بمرح قائلا:
- يا سلام عليكى يا ست الكل صحيح مفيش أحن من الام يا ناس
قلت بشغف:

- اروح معاكى يا ماما بقالى كتير مشوفتش منال
ردد ممازحا:
- اروح معاكى يا ماما بقالى كتير مشوفتش منال
علت ضحكاتنا لأول مرة منذ زمن فى هذا البيت فخرج والدى من غرفته متأففا وقال بخشونة:
- وطوا صوتكوا شوية مش عاوز وجع دماغ.. مبحبش الهرجلة فى بيتى
عبس هشام وهو يقول باقتضاب :
- حاضر يا بابا

(١٣)

فى منزل منال خطيبة هشام كان جميع النساء يضعن الطعام والمنزل ملىء بالسعادة ابتهاجاً بموافقة والد منال على موعد الزفاف بعد ضغط من منال ووالدتها ووالدتى ولقد كنت أضع معهن الطعام على المائدة ويدى تتلمس ملابسي الجديدة التى أحضرها لي هشام كهدايا ولقد كانت جميعها محتشمة وفضفاضة ذات ألوان هادئة ورقيقة يعلوها حجاب يغطى منطقة الصدر، كنت فى طريقي عائدة إلى المطبخ فتوقفت مبتسمة ومستمتعة عندما استمعت إلى صوت ضحكات هشام المرتفعة القادمة من الصالون مختلطة بضحكات والد منال الهادئة يليهم صوت ضحكات رجولية صاخبة للغاية قبل أن يدوى صوت والدة منال من بين الضحكات وهى تقول بتبرم موجهة حديثها لأخى:
- قوله يا هشام يابنى أحسن واجع قلبى أوى .. كل ما أجيبله عروسة يقولى مش وقته لما الصغيرة تتجوز الاول
هشام :
- ايه يا عم الشيخ مالك واجع قلب امك ليه ..طب الصغيرة هتتجوز اهي لما نشوف بقى هتتحجج بأيه تانى

"الشيخ" !!.. ومتى أصبح " أدهم " شيخاً كما نعته أخى منذ قليل ؟ .. لقد تعجبت للغاية عندما خطفت نظرة سريعة إليه عندما دخلنا بيت منال .. لقد تغير تماما عن آخر مرة رأيته فيها منذ سنوات فى حفل خطوبة هشام ومنال .. نبتت له لحية خفيفة وواظب على الصلاة فى المسجد وأصبح يوقظهم لصلاة الفجر وزيادة على هذا .. لقد أصبح مرحا للغاية عما سبق ! ، سمعت من منال منذ قليل ونحن نعد الطعام فى المطبخ بأن أخيها أدهم قد تركته خطيبته عندما أصرت هى أن يحلق لحيته ولكنه رفض بشدة فتعاظمت الخلافات بينهم لشهور وفى النهاية حدث انفصال هادىء للغاية .
أنتبهت فجأة عندما لاحظت خروجهم من غرفة الصالون فتظاهرت بتعديل الأطباق على المائدة ..
وخرجت منال ووالدتى من المطبخ وبدأ الجميع يلتفون حول المائدة وهنا سمعت صوت والد منال يقول لأدهم
بتعجب :
- ما تيجى يا أدهم واقف ليه
أرتفع حاجباى بدهشة عندما سمعت أدهم يقول موجها حديثه لـ هشام :

- بقولك ايه يا هشام ما تيجى ناكل فى الصالون علشان البنات ياخدوا راحتهم
عبس وجه هشام وهو يخطف نظرات الأسى نحو منال التى تظاهرت بالعبث بطبقها وكأن الأمر لا يعنيها وفى لحظات تدخلت والدته قائلة بحسم :
- أقعد يا أدهم مفيش حد غريب والبنات مش مضايقة وواخدين راحتهم

وأثناء تناول الطعام حاول هشام فتح الحديث عن تفاصيل الزفاف والمتطلبات المادية وخططه نحوها ، توجست وأنا أنتظر ردود فعل والد منال ووالدتها وأخيها ولقد جاءت كلماتهم واحدة تقريبا وتحوى نفس المضمون "أحنا أسرة واحدة يابنى متشلش هم ، هات اللى تجيبه يا هشام يابنى المهم البركة ، أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة" ، أبتسمت ونظرت إلى والدتى فوجدتها منشرحة الصدر والتفت إلى هشام فوجدته مازال يخطف النظرات إلى منال ولكنها هذه المرة بهجة وسعادة أما نظرات منال له فقد كانت كمن تقول له بفخر " مش قولتلك " .

وفى اليوم التالى مباشرة أنهمك هشام فى وضع لمساته الخاصة بالطلاء فى شقته الخاصة بدأ التجهيز للزواج على قدم وساق وزادت زيارات منال ووالدتها لنا وانشغلت معهم وغرقت بتفاصيل إعداد زواجهم وتلهيت تماما عن مشكلتى الخاصة ، انقضت الأيام سريعا وهاتفتنى منال لأذهب معها فى الغد لاختيار فستان الزفاف ووافقت بحماس شديد وقالت بأن أدهم سيذهب معنا ليصطحبنا بسيارته نظرا لانشغال هشام فى تجهيز آخر ما تبقى فى شقته .
فى اليوم التالى انتهيت من ارتداء ملابسي وهاتفت منال مرة بعد مرة ولكنها لم تجب على الهاتف وبعد دقائق حدثتنى على عجلة من أمرها وكأنها كانت تخوض معركة ما وانتهت منها للتو قائلة :
- معلش يا منى أدهم أخويا مكنش راضى يجى معانا لوحدنا لما عرف أن هشام مش هيجى وبقالى نص ساعة عمالة أعمل فى مداولات مع هشام فى التليفون لحد ما وافق اخيرا يفضي نفسه ساعة واحدة بس .. يالا اجهزى بسرعة.
ابتسمت وأنا أغلق الهاتف متمتمة بسخرية :
- ايه خايف على نفسه من الفتنة ولا أية !

وفى سيارة أدهم ساد جو من المرح وهشام يتبادل النكات والضحكات معنا ومن وقت لآخر يرسل مشاعره لمنال عن طريق بعض الكلمات الخفية التى قطعها عليه أدهم قائلا:
- ايه يا هشام راعى وجودى يا أخى
لوح هشام بيده معترضا وهو يقول:
- يا عم دى مراتى أنت ناسى أننا كاتبين كتابنا ولا ايه
قال أدهم بمشاكسة:
- أنا بقى بعتبرك خطيبها .. لما تبقى فى بيتك أبقى قولها براحتك
ربط هشام على كتف أدهم بتهديد مصطنع :
- بقولك أيه ركز فى الطريق ملكش دعوى بينا متخالينيش أدعى عليك تتجوز واحده أخوها رخم زيك كده
قالت منال بابتسامة :
- معلش يا هشام ما انت عارف أدهم غيور أوى
قال هشام بمرح:
- أنتِ هتقوليلى؟ .. ده طلع عينى قبل كتب الكتاب.. فاكرة لما كنت بتصل بيكى ..تقوليلى أيوة يا أستاذ هشام

علت ضحكات أدهم الصاخبة أختلطت بها ضحكات هشام وابتسامة منال بينما كنت أنا أتابع الحديث بملل شديد ودهشة من تصرفات أدهم الغريبة والمتملكة نحو أخته .
بشق الأنفس استطعنا العثور على فستان مناسب لحفل الزفاف ولقد تعلقت به منال فور رؤيته وكأنه كنزها الصغير التى كانت تبحث عنه وهو كان كنزا بالفعل بتفاصيله الرقيقة والرائعة فى آن واحد ولكن أدهم وهشام هتفا دفعة واحدة :
- شوفى غيروا ده عريان
تدخلت صاحبة المكان قائلة بلباقة :
- فى حل وسط.. الفستان ممكن يتقفل بطريقة معينة وهيبقى أحلى كمان

*****

حاولت سماح أن تعيد الكرة مرة أخرى وتوددت إلى أخيها لكى تعرف سر هدوءه المفاجىء ولماذا يغلق أى حديث عني بمجرد أن تبدأ سماح بفتحه وهذه المرة أجابها بحسم :
- أنا قررت أتجوز يا سماح
قالت بتوتر :
- هتجوز منى ؟
قال متعجباً:
- ومالك أتخضيتى كده ليه
رفعت كتفيها بلا مبالاة زائفة وهى تقول:
- ولا اتخضيت ولا حاجة بس يعنى انت كنت بتقول عمرى ما هتجوز واحدة خرجت معايا وسمحتلى ألمسها
قال بشرود:
- مش انتِ اللى عرفتيها عليا؟.. وبعدين أنا قولت قررت أتجوز مقولتش أنى هتجوز منى
- أومال هتجوز مين ... ياسمين ؟
قال بابتسامة ساخرة:
- هو أنا مفيش فى حياتى غير منى وياسمين
قالت بحيرة :
- انا مشوفتلكش حد تانى من ساعة ما خلصت الجيش
قال بجدية:
- أنا قررت أتغير يا سماح وبصراحة كدة أنا مينفعنيش فى التغير ده غير واحدة بمواصفات معينة.. المواصفات دى ولا هى فى منى ولا هى فى ياسمين
- أنا مش فاهماك بس على العموم ياسمين أهلها شاريناك ومش هيكلفوك حاجة وأنت محتاج ده
ثم تابعت بتلعثم :
- معنى كلامك ده أنك خلاص صرفت نظر عن أنى أجيب منى هنا فى البيت ؟
نظر لها نظرة مطولة وقال:
- هو أنتِ ليه كل شوية تفتحى الموضوع ده .. فى حاجه انا مش فاهمها .. ساعات بحس أنك مستفيدة بس مش عارف أزاى
قالت بعصبية :
- خلاص يا سامح.. أنا كان قصدى مصلحتك لكن هطلعنى غلطانة خلاص براحتك
أرادت أن تغير مجرى الحديث بعد صمتت لثوان وهى تستشعر نظراته المتشككة وقالت :

- مقولتليش بقى مين اللى عليها العين؟
أجابها بتأن :
- لما أخد منها الموافقة هبقى أقولك
قالت باندهاش:
- أيه ده هى مش موافقة ؟.. بقى فى واحدة متتمناش تتجوز أخويا ..مش مصدقة!
ضحك رغما عنه وهو يقول:
- دى بقى متتمناش تشوف أخوكى أساسا

****

بمعرفته لجميع مفاتيحها استطاع أن يعيدها إليه مجددا واستمرت المقابلات بينهما كما كانت بالسابق بشقته الخاصة واستمرار بالخطوبة الى ما لا نهاية ،وفى أحدى المقابلات الحميمية تلك وبعد أن نفضت يدها من أخيها بقرار زواجه المفاجىء ، بدأ سماح فى دس الأكاذيب فى أذن محمد عني أنا وأخيها وأن علاقتنا أصبحت تماما مثل علاقتها بـ محمد وبدون ارتباط رسمي من أى نوع وأن سامح يتكتم الأمر حتى لا يفضح علاقته بي فيستطيع التنصل وقتما شاء ، لكن الغريب أن محمد لم يصدق سماح وكذب حديثها فاشتعلت النيران بقلبها واستماتت باقناعه بالأمرواستغلت دخان المخدر الذى عبق المكان من حولهما وانحراف رغباته وسطوتها واستطاعت أن تقنعه بأنها لا يوجد مانع لديها لأقامة علاقة ثلاثية فقط ليتأكد بنفسه صدقها ! ، لم يستطع محمد الرفض أمام تلك الوليمة المقدمة له على طبق من ذهب دون تكلفة وقال بنبرة ممطوطة من أثر المخدر:
- وليه لاء ...ماشى .. حد يقول للمزاج لاء

****

وقبل أيام قليلة من زفاف أخى هشام ، ذكرتنى والدتى بأننى لم أدعو جارتنا "حياء" ووالدتها لحضور الحفل فقررت الذهاب إليها هى ووالدتها لدعوتها و جلست معها فى غرفتها وقد كانت :حياء" على ما اعتدته منها مرحة ومتسامحة معى ورغم ذلك شعرت بأنها مترددة ومتوترة وكأنها تود مصارحتى بشىء ولكن تخشى الصدمة التى ستسببها لي فتعود وتصمت من جديد إلا أنها فى النهاية حدثتنى متسائلة عن تطور علاقتي بسامح وكأنها تختبر كيف هى مشاعرى نحوه الآن فأجبتها بتردد وحيرة:
- الأول كنت بحس أنى هتجنن عليه وكده بس بقالى فترة مشفتهوش وحاسة عادى..مش مهتمة زى الأول
- يعنى أنتِ مش بتحبيه يا منى ولا بتحبيه فهمينى؟
قلت دون تفكير:
- لا طبعا بحبه .. بس مش عارفة فى أيه
وفجأة قفزت فكرة إلى ذهنى وقلت لها بحماس :
- أنا هعزمه على الفرح
أبتسمت حياء بسخرية وهى تقول:
- وهتقوليلهم أيه بقى .. واحد بحبه ولا البوى فرند بتاعى
- تعرفى يا حياء لو مكنتيش جارتى كنت قولت أنه أخوكى
قالت حياء ساخرة:
- شوفى بقى يا منى ياختى أنا صحيح أخواتى ميتخيروش عن اخواتك ومش بطيقهم بصراحة بس

مش للدرجادى
دفعتها بخفة معترضة على حديثها عنه ولكني تابعت بنشوة تملكتنى وقتها :
- أنا هعزمه .. الفرح فى قاعة والناس هتبقى كتير وزحمة محدش هيسأل ، هيسألوا على مين ولا مين
زفرت حياء وهى تقول متعجبة:
- أنتِ بقيتى مجرمة والله ..لاء انا مش موافقة طبعا.. وهو لو فيه شوية عقل مش هيوافق لأنه طبعا مش هيعرف يكلمك قدام أهلك .. يعنى من الآخرمش هيوافق علشان مالوش مصلحة .

حاولت حياء أقناعى وتخويفي ولكننى اتخذت الأمر تحدى معها وقلت له بأنه سيأتى لرؤيتي ولو من بعيد ثم ينصرف كأى عاشق حزين وكأننى أحاول فقط أن أثبت لها حبه لي وتضحيته من أجلي بأي طريقة كانت .
وبالفعل هاتفته ودعوته لحفل زفاف هشام ثم عاتبته متسائلة:
- مش بتسأل عليا ليه؟
قال ببرود:
- هو أنتِ يعنى اللى بتسألى
- المفروض الراجل هو اللى يسأل مش البنت
قال بمرواغة:
- بس أنتِ بتعزمينى بقلب جامد .. مش خايفة من أهلك؟
قلت مدافعة وقد كنت قد نسيت سماح تماما وتذكرتها للتو:
- لا ما أنا هعزم سماح برضة وطبيعى أنك تيجى معاها
قال رافضاً:
- طب وأنا كده هاجى أعمل أيه.. أبارك وأتفرج وأمشى .. لالا ماليش لازمة
قلت بأحباط:
- لا لازم تيجى متكسفنيش قدام صاحبتى
- صاحبتك مين
- صاحبتى اللى كانت معايا اليوم اللى جيت تاخدنى فيه من الجامعة لما كانت سماح تعبانة
شعرت بنشاط بنبرة صوته بشكل مفاجىء وهو يقول بعبث :
- اااااه ومالها بقى صاحبتك ؟
- قالتلى أنك مش هتوافق تيجى علشان ملكش مصلحة
فقال بعناد وحسم :
- طب أنا هاجى بالعند فيها

****

كن حفل الزفاف فى غاية الروعة ومنال تتألق بفستانها الأبيض يعلوه حجاب صغير من نفس اللون أضاف إليها لمحة ملائكية للغاية ، كانت قاعة الزفاف تمتاز بموقع يطل على النيل مباشرة مما شجع حياء على الأبتعاد عن الصخب قليلا ، كان منظر النيل الهادىء وسكونه الصاخب يبعث بداخلها السكون والتأمل حتى أنها لم تدرك كم قضت من الوقت تتأمل فيه وتستمتع بالهواء العليل وصوت زغاريد النساء قادم إليها من بعيد ، ولكن هادم اللذات أقتحم عليها تأملاتها بكلماته المستفزة قائلا:
- الله .. الله.. سايبه الناس كلها وجاية تسرحى هنا .. أيه بتحبى ولا ايه؟
لم تكن فى حاجة للألتفات لترى محدثها " الجواب باين من عنوانه وصوته" فقالت ببرود:
- وأنت سايب الناس كلها وجاى تضايقنى هنا
قال وكأنه لم يسمعها:
- بتحبى النيل أوى كده؟
أجابته ساخرة :
- اااه هقولك اه بحبه هتقولى يا بخته.. هقولك لاء مش بحبه هتقولى يا عذابه ، قديمة ألعب غيرها
وقد كان رده عبارة عن ضحكات متواصلة بلا توقف حتى هدأ أخيرا ثم قال :
- وحافظة كلامى كمان
قالت حياء بنفس النبرة الساخرة:
- اه حافظاه .. من أول "ايوا بغير" لحد "حبنا نبتة ولازم نرويها".. يعنى من الآخر ريح نفسك وابعد عني
علت ضحكاته أكثر وهو يقول بإعجاب:
- مش قولتلك هتتعبينى
ثم تابع وهو يحاول استعادت مقاليد الحديث بيده مجددا:
- بس على فكرة دى علامه كويسة أوى ..أصل محدش بيحفظ كلام غير لما يكون معجب بيه.. ومش بعيد يكون أعجاب بصاحب الكلام نفسه
قالت بنفاذ صبر :
- يا ابن الناس أبعد عنى أحسن لك أنا معنديش أوبشن الأسطوانات دى خالص .. وبدل ما أنت قاعد تغنى على كل واحدة شوية ياريت تخلص موضوعك مع منى..وعلى فكرة لسه مامتها كانت بتقولى أن فى عريس كويس أوى ناوى يتقدملها فياريت بقى تحدد أنت ناوى تعمل أيه علشان تشوف مستقبلها مع واحد تانى يكون بيحبها
قال سامح بجدية:
- بغض النظر عن أتهامك ليا .. لكن انا فعلا كنت ناوى أصارحها بكل حاجة علشان متفضلش متعلقة بيا وأهو الحمد لله أنا لما دخلت دلوقتى شوفتها مبسوطة وكويسة وواضح أنها نسيتنى
نظرت له حياء بطرف عينيها وهى تقول:
- لو كانت نسيتك مكنتش عزمتك .. ولا ايه ؟
أجابها بخبرة وثقة:
- لا هى عزمتنى بس علشان تثبت لك انى بحبها وهاجى علشان أشوفها وبس
تعجبت حياء للغاية من موقفي وكيف تأتى لي أن أحكى له ما دار بيننا من مناوشات كلامية بخصوص دعوته للزفاف ؟ ثم قالت بتشكك:
- يعنى انت جاى علشان تشوفها وبس ؟!
ضحك بطريقة طفولية وهو يقول بعناد:

- لاء جاى علشان أغيظك
تركت المكان وغادرت على الفور بدلا من أن تلقى به فى مياة النيل الباردة لتتخلص من أستفزازه الدائم لها

****

وخلال الأسبوع التالى مباشرة حدثت مصادمات كثيرة بيني وبين والدتى وطارق وهشام بعد أن زارتنا والدة منال وعرضت على والدتى طلب أدهم للزواج بي ، قائلة :ورغم حماس الجميع للموافقة وخصيصا هشام ، رفضت بشدة وببكاء مرير وعندما لجأت لصديقتى حياء أقترحت أن أعرض الموضع على سامح مقترحة:
- طب ايه رأيك تقوليله على موضوع العريس ده .. والله لو كان بيحبك هيتقدملك لكن لو كان غير كده هتعرفى من كلامه
قلت بعند:
- ماشى هكلمه وهحاول أقابله وهتشوفى انه هيجى يتقدملى تانى يوم
حياء بشك:
- أتمنى
هاتفته على الفور وطبلت رؤيته للضرورة القصوى واتفقت معه على موعد بعد عدة أيام ، انهيت الأتصال والتفت إلى حياء وقلت بدهشة:
- أول مرة يقولى خالينا نتقابل فى الكلية علشان متتأخريش على محاضراتك
قالت حياء ساخرة:
- سبحان الله أخيرا أفتكر أنك طالبة وعندك محاضرات

كنت سأهم بالرد عليها ولكننى تذكرت فجأة حلم يراودنى منذ أيام ويفزعنى بشدة فقصصته على حياء قائلة:

- شوفت نفسى فى أوضة كلها قاذورات ومقفول عليا ومش عارفة أخرج وبصوت بأعلى صوتى وفى بره الأوضة عقرب وحية منعنى من الخروج وفجأة الحيطة اتكسر جزء منها وشوفتك وبعدين شفت سامح واقف وراكى
حاولت حياء طمأنتي وطلبت مني المحافظة على أذكار الصباح والمساء وأن أتوخى الحذر فى مقابلتى المرتقبة مع سامح ومن شدة قلقها من هذا الحلم ظلت تهاتفنى كل يوم تسأل عن أحوالى برغم انشغالها اليومى مع صديقتها نهلة في تنظيم ندوة جديدة خلال أيام داخل الكلية .

****

كانت حياء بداخل المدرج مع صديقتها نهلة وهى تعلم أننى فى هذه اللحظة أجلس على أمتار منها فى الكافتريا بصحبة سامح أخبره عن العريس وما حدث من عائلتى وأنا أبحث عن أى بادرة للغيرة على ملامحه ولكنه هادىء جدا وفور أن انتهيت من حديثي قال متسائلا ببساطة :
- هو بيشتغل ايه؟
أرتفع حاجباى بدهشة عارمة وأنا أقول بشحوب:
- ده ردك ؟!
قال ببرود:

- وفيها أيه ؟..عاوز أطمن عليكى
حاولت أن أغضب ، أن أثور فى وجهه ولكننى وجدت نفسي أقول بانكسار وخفوت:
- كلامك ده مالوش غير معنى واحد .. انك كنت بتتسلى بيا ..انك مش بتاع جواز
تابع بنفس النبرة الباردة:
- بصى يا منى انا فعلا أعجبت بيكى ومش عارف لو كنت حبيتك فعلا ولا لاء .. لكن تجاوبك معايا خلانى أبصلك بنظرة مختلفة
شعرت بكلماته تصفعنى فقلت بحسرة:
- مش انت اللى أقنعتنى ولا نسيت كلامك .. ولا نسيت زعلك مني لما كنت بصدك
قال بجدية:
- مفكرتيش انى بختبرك؟ بشوفك تنفعى زوجة تشيل اسمى ولا لاء
قلت بغضب:
- أنت حقير
أحتقن وجهه وقال مهددًا:
- متخاليش علاقتنا تنتهى بأسلوب مش كويس .. أنا لو كنت حقير كان زمانك بتتحايلى عليا علشان اتجوزك ولو ليوم واحد
لم أفهم ماذا يقصد بكلماته وهمهمت من بين دموع الإنكسار والمهانة اللذين شعرت بهما فى تلك اللحظة الكاشفة:
- مش فاهمة؟
صمت قليلا وهو يستعيد هدوءه من جديد ثم قال بود:
- مفيش داعى نتكلم فى الحكاية دى .. المهم دلوقتى
- دلوقتى ايه؟ خلاص دلوقتى انا طلعت مستاهلش أشيل أسمك ..دلوقتى طلعت فاشلة فى الاختبار..كل ده علشان صدقتك ..أستغليت طيبتى وسذاجتى وضحكت عليا
أومأ برأسه وكأنه يؤكد كلامى وهو يقول ببساطة:
- معاكى حق انا فعلا استغليت طيبتك وسذاجتك بس لو رجعتى لنفسك شوية هتلاقى انك مدتيش لنفسك فرصه تقولى فيها لاء ولو مرة واحدة وتصممى عليها..كل مرة قولتى فيها كلمة لاء معملتيش بيها .. ورغم كده انا بعترف انك بنت محترمة وانى ملمستش منك غير إيدك ويوم ما حضنتك فى الفرح غصب عنك
لكن انا يا منى فى الآخر راجل شرقى عاوز أحب وأتحب .. لكن لما آجى أتجوز هدور على واحدة تقفل الباب فى وشى من البداية.. متحطش نفسها فى أماكن شبهه وبعدين تقول غصب عني

هطل الدمع الغزير من مقلتاي وهو ينهى كلماته .. لم تكن دموع الفراق .. كنت أبكى نفسي وما وصلت إليه من انحدار بسبب ضعفى وترددى وسذاجتى وعنادى .. بكيت تفريطي فى حق نفسي وأهلي و كذبي عليهم وخيانتي لهم.. ولابد أن يكون الجزاء من جنس العمل .. وها أنا الآن أتجرع كأن الخيانة والمهانة نقطة نقطة وأرتشف الذل رويدا رويدا .. ها أنا قد وصلت للنهاية الطبيعية .. من تعجل شىء قبل أوانه عوقب بحرمانه.
فكرت أن أنتقم منه وأخبره بفضيحة أخته بتشفى.. لا .. تكفي الخيانة إلى هذا الحد .. لن أفضحها والأيام كفيلة بتسديد جميع الديون
حاول سامح معالجة الموقف قائلا :
- أنا آسف يا منى ..حقيقى انا آسف من قلبي
لفنى الدوار وشعرت بروحى تنفر مني هاربة وأطرافى تتخاذل فتناولت الهاتف واتصلت برقم حياء

فهى الأقرب لي الآن واحتاج دعمها بشدة .. لم ينصرف وهو يسمعنى أحدثها وعندما أنهيت المكالمة قال مبرراً:
- شكلك تعبانة .. هفضل معاكى لحد ما صاحبتك تيجى
وظل واقفا بجوار مقعدى بصمت حتى أتت حياء بخطواط سريعة وملامحها شاحبة وقلقة وهى تنظر لى بتفحص وكأنها كانت تعلم بنتيجة المقابلة من قبل .. ومن الوهلة الأولى علمت ماذا حدث وطلبت من سامح ان يغادر بجمود فأخبرها بأنه سيكون بالجوار لو احتاجت إليه ..غادر سامح ببطء وهو ينظر خلفه ربما يساوره أحساسه بالندم على ما قال أو ما فعل
أستطاعت حياء أن تهدىء من روعي وتدفعنى للنهوض من كبوتي تلك ومواصلة حياتى بشكل صحيح هذه المرة وأن الله سبحانه وتعالى قد أختار لي الأفضل

بعد ثوان من اختفاء سامح عن الأنظار فوجئت بسماح قادمة نحوى شعرها مشعث قليلاً وخطواطها مترنحة ، جلست بجوارى فهالنى ما آراه فيها من شحوب ونسيت ما كان بينى وبين أخيها فالتفت إليها بجزع متسائلة عما أصابها ففاجأتنى قائلة وهمس حتى لا تستمع حياء التى كانت تقف قبالتنا بحاجبين منعقدين بشك وقالت بوهن :
- ألحقينى يا منى حاسه أنى هموت .. وقعت واقعة جامدة من شوية وشكلى كده بنزف !
أصيبت بالحرج من شدة همس سماح فاستدارت تولينا ظهرها قليلاً بعد أن قرأت الصدمة على وجهى وسماح تتابع بهمس ميت :
- أنا اتجوزت محمد فى السر بعد اللى حصل بينا لكن حملت غصب عنى ومكنتش أعرف .. ومن شويه وانا جايه هنا وقعت وقعة جامدة حسيت بعدها بنزيف ومش قادرة أقف على رجلى
حاولت تخطي صدمتي وقلت بشحوب :
- طيب يالا نروح مستشفى ولا نشوف دكتور
همست على الفور:
- لالا دكتور ايه ومستشفى ايه ساعتها أهلى هيعرفوا انى كنت حامل واروح فى داهية
ظهرت الحيرة على وجهي فقالت مستدركة بضعف وانكسار:
- أنا كنت بقابل محمد فى شقته .. ومعايا مفتاح الشقة.. هى قريبة من هنا خالص .. ممكن تيجى معايا أغير هدومى وبعدين أمشى أنتِ .. معلش يا منى وصلينى بس للشقة محتاجة حد يسندنى وجميلك عمرى ما هنساه.
أشتدت حيرتى لثوان أخرى ولكنى لم أستطع خذلانها وهى مريضة وتحتاجنى فقررت مساعدتها ، تحركت من مكانى أساعدها على النهوض فالتفتت حياء إلينا بنظرات متسائلة فقلت على الفور أطمأنها :
- حياء انا هوصلها بيتها بس علشان تعبانة شوية وهرجعلك على طول والبيت قريب خالص من هنا مش هتأخر عليكِ
عرضت حياء عرضا لا يقبل المناقشة بأن تأتى معنا وعندما همست لها بأن الأمر خاص جدا ورأت أمارات الرفض واضحة على ملامح سماح بشكل غريب ،قالت بحرج مختلط بالقلق:
- هاوصلكوا وارجع تانى على طول علشان نهلة مستنيانى .
وعندما وصلنا إلى هناك وأسفل البناية تنحت بي حياء جانبًا وهى تقول بحيرة:
- ايه يا بنتى هو ده بيتهم ؟!
- لاء ده بيت جوزها
قالت بحيرة أكبر :
- هى اتجوزت امتى ؟
- هقولك بعدين .. خالينى بس اوصلها فوق الأول وارجعى انتِ الجامعة وانا شوية وهبقى عندك

أنهيت عبارتى وقبل أن استدير وجدتها تقبض على معصمى والقلق ينهش وجهها وحركاتها وشاردة وكأنها ترى مشهد ما فى عقلها وقد علمت بعد ذلك أنها استعادت الحلم الذى قصصته عليها فى السابق فأمتدت يدها إلى حقيبتي وأخرجت هاتفي منه خفية وجعلت رقم هاتفها يتصدر شاشتة على وضع الأستعداد ودسته فى يدى وهى تقول بريبة وحذر:
- أنا مش مرتاحة يا منى وحاسة أن فى حاجة غريبة بس عموما خلى التليفون فى أيدك ولو حسيتى بأى حاجة أضغطى اتصال .. فاهمانى
أبتسمت لشدة قلقها علي وشعرت المبالغ فيه وأومأت برأسي بتفهم وأنا أربت على يدها وأعود إلى سماح التى كانت تستند إلى ثلاجة المياة الغازية المقابلة للبناية التى تقطن شقة محمد بها، مشت بجوارى بخفة على عكس الوهن الذى كان يعتريها منذ قليل وصعدنا إلى الشقة وقد كنت أظن فى تلك اللحظة أن حياء قد غادرت وعادت إلى نهلة ولكنى لم أكن أعلم أن الخوف كان يلتهمها وهى تقف أسفل العقار تتخيل أبشع ما يمكن حدوثه، فتمشى خطوة وتقف الأخرى ثم تنظر للأعلى ثم تكتف يديها فوق صدرها وهى تدعو أن يكون ما بقلبها الآن مجرد وساوس لا أكثر ، مضت لحظات طويلة فى عمرها قليلة فى عمر الزمن ، وفجأة أعلن هاتفها عن اتصال من هاتفي وعندما أجابتنى بلهفة كان ردى أشبه بالقذائف الحارقة ، همسة ضعيفة بصوتى وكأنه آتي من أعماق بئر سحيق وبكلمة واحدة " ألحقيني "
أنهمرت دموعها دون وعي وهى تضغط الهاتف الذى كان مازال موضوعاً على أذنها وقد تبين لها مدى بشاعة موقفها فى تلك اللحظة وهى تخطو خطوات متعثرة نحو البناية مجدداً وهى تفكر ، هل تصعد إلى نفس الطابق الذى رأت أضاءته عندما دخلنا المصعد، حاولت الأتصال بي مرة أخرى ولكن الهاتف أصبح غير متاح ، وعندما اقتربت من مدخل البناية مر بجوارها رجلاً يقصد نفس الأتجاه وهى يتحدث فى الهاتف على عجلة من أمره قائلاً
- خلاص يا سماح أنا تحت البيت أهو وطالع على طول .. متأخرتش ولا حاجة انتوا اللى جيتوا بدرى
هاجمها الحلم مرة أخرى بقسوة والمشاهد تمر بعقلها تذبحها ودون تفكير وجدت نفسها تبحث عن رقمه فى هاتفها دون منطقية و بدموع تهطل دون أرادة وما أن أجابها حتى هتفت ببكاء :
- ألحقنا يا سامح .. أرجوك بسرعة
اجابها بفزع متسائلاً عما بها فأرشدته إلى العنوان دون تفاصيل والذى كان من نعمة الله علينا أنه فى الجوار ولم يكن قد ابتعد كما قال سابقاً قبل أن يغادر.
ألتفتت إلى مدخل البناية فوجدته مازال واقفًا يتحدث إلى حارث العقار وبجوارهم رجلاً أشيبًا يبدو أنه قد تخطى العقد الخامس من عمره ، الحديث كان حانقاً وعندما اقتربت قليلاً سمعت الرجل الأشيب يهدد محمد بأنه سوف يتحدث إلى أبيه عما يفعله فى شقته فى البناية من استقدام فتيات إليها وان الجيران مستنكرين أفعاله تلك وبشدة ، أستمر الحديث الحانق بينهما ومحمد يحاول ترضية الرجل حتى لا يخبر والده وهاتفه لم يتوقف عن الرنين ، رفعت حياء رأسها إلى السماء بدموع وهى تستند إلى الجدار وتدعو أن يستمر الحديث حتى يأتي سامح .
دقائق أخرى مرت فى عمرها قليلة وفى عمر الزمن طويلة حتى استطاع محمد تهدئة الرجل فانصرف مغادراً البناية بصحبة حارس العقار الذى ذهب معه ليعد له السيارة للمغادرة وشق محمد طريقة إلى المصعد ، أنارت شاشة المصعد بنفس رقم الطابق مما أكد لها هواجسها فسقط قلبها بين قدميها وهى تعدو لمنتصف الشارع منتظرة قدومه وهى تعيد الأتصال به مجدداً فأجابها بانفاس لاهثة :
- أنا عند الكافتريا اهو على أول الشارع .. أشرأبت برأسها للأعلى تراقب زاوية الشارع لدقيقة كاملة كافية لقتلها حية ، حتى رأته آتي من بعيد يعدو وهو ينظر يمنة ويسرة حتى وجدها فى منتصف الشارع تماماً تنتظره وتشير له أن يسرع ، وبمجرد أن وصل إليها انحنى مستنداً إلى ركبتيه وهو يلهث بقوة قائلاً بأنفاس متلاحقة:
- فى ايه .. و أيه اللى جابك هنا

لم تشعر إلا وهى تجذبه الى البناية وتجرى به الى المصعد وهى تهتف به:
- ألحق منى يا سامح .. أختك خدتها هنا ومحمد جه من شوية
لم يستطع أن يفهم منها شيئا وهو يهرول بجابنها هاتفاً:
- محمد .. سماح !   انا مش فاهم حاجة ..!!
لقد كانت لحظة مجنونة بكل المقاييس ، فليس من العقل أن تستعين به وهو من هو، ولكن هذا ما حدث وكأن المنطق لم يعد له وجود . وعندما وصلا إلى الطابق المنشود وكان هو قد استرد أنفاسه فتوجه بتلقائية تجاه اليمين إلى شقة محمد الذى كان يعرف بها مسبقاً نظراً لصداقتهما الطويلة ، وأخذت حياء تدق الباب بشدة وقلبها يكاد يتوقف من فرط الأنفعال ولم يكن لديها فى كل الاحوال حل آخر.

(١٥)

فتح محمد الباب وبدت على وجهه علامات الذعر حينما رأى سامح أمامه مباشرة ، دخلت حياء سريعاً ودلف هو خلفها بدهشة وحيرة وما أن خطا بقدمه للداخل حتى شاهد سماح تخرج من الممر المؤدى للغرف الداخلية وهى ترتدى منامة شفافة تبدى أكثر مما تخفى وفوق شفتيها ابتسامة لعوب ، وعندما وقع نظرها على سامح تجمدت مكانها وشحب وجهها فصار كالأموات ولطمت خديها وهى تنطق بأسمه بهلع ، تجمد محمد مثلها تماما وبعينيه نفس النظرة المذعورة بينما اندفعت حياء تجاه مقعد فى الزاوية فوقه حقيبتي وهاتفى ، لم تنتظر كثيراً فهرولت مجدداً ولكن هذه المرة إلى الممر الذى ظهرت منه سماح ، دفعتها ومرت بجوارها تفتح كل غرفة تجدها وأخيراً وجدتني فى أحدهم ملقاة على فراش الغرفة وتغطيني ملاءة السرير وعندما اقتربت مني اكتشفت أننى غائبة عن الوعى وعارية ! ، حاولت تمسيد وجهى لأستفيق بيدان مرتعشتان وهى تستمع إلى الصراخ الآتى من الخارج وسماح تصرخ :
- والله أنا مراته يا سامح .. انا مراته ..
وتوسلات محمد ليتركه وسيصلح خطأه وسيتزوجها رسمياً وبأنه لم يكن يعلم بأنها ستخدرني له !،
ظل صوت الضرب والصراخ والتوسلات وحياء تموت فى كل دقيقة تمر عليها بالداخل بجواري وانا لا أستجيب ولا أفيق ، وأخيراً سمعت باب الشقة يصفع بقوة بينما زادت صرخات سماح المتحشرجة وكأنها تختنق ، خرجت حياء من الغرفة فزعة فرأت سامح يخنقها وصوت صرخاتها ينخفض شيئا فشيئا ، ولون الحياة يختفى من وجهها مع صوت حشرجتها المتألمة ، فاندفعت إليه محاولة قبضته التى كانت وكأنها قد ماتت على عنقها ، وعندما يأست من تخليص عنق سماح أنهارت تماماً وظلت تصرخ فيه دون وعى:

- أنت اللى عملت فيها كده أنت السبب .. أقتل نفسك قبل ما تقتلها وتجبلنا مصيبة كلنا.. حرام عليك هتضيعنا معاك
بدأت قبضته ترتخى وبدأت سماح تهوي إلى الأرض وهى لا تستطيع التنفس فمالت حياء نحوها وحاولت أنعاشها وهى ترجوها أن تقول لها ماذا فعلت بي ، نظرت لها سماح بضعف وهى تتنفس بصعوبة وقالت :
- هتفوق كمان ساعة
ثم تحاملت على قدميها وأسرعت الى غرفة أخرى وأغلقتها خلفها بقوة وظلت تصرخ وتبكى من وراء بابها وأخيراً خرج صوته من حلقه كالأموات العائدة إلى قبورها متسائلاً:
- حصلها حاجة؟
بكت حياء وهى تقول بلوعة :
- مش عارفة .. بس مفيش أثر لحاجة
جلس على أقرب مقعد وكأن قدمه رفضت أن تحمله ، جلس وكأنه يسقط من السماء ودفن راسه بين كفيه وأخيرًا بكى ، بكى بحرقة وظل يبكى حتى تحول بكاؤه الى شهيق طويل ثم يعود فيبكى بصوت منخفض ، أنهارت البقية الباقية من أعصاب حياء ولم تعرف ماذا تفعل ، كيف تواسيه وهو الجانى الحقيقى ، ولكن كل جانى وراءه دوافع ، ربما تكون من وجهة نظره دوافع قوية لكنه فى النهاية أنسان .. يخطىء ويصيب ويتعلم من الاخطاء ، ولكن هل نترك دوافعنا وحقدنا على من ظلمونا تجعلنا نظلم غيرنا دون سبب .. فتنغلق دائرة الظلم علينا إلى ما لا نهاية ؟!
هدأ الوضع قليلاً ولكن بعد مرور الساعة أشتعل مرة أخرى عندما أستفقت من غيبوبتى ووجدت نفسي عارية ، لم يتوقف صراخي وضربي لوجهي وصدرى وحياء تمسك بيدى محاولة طمأنتى بثقة واهية وصوت مرتعش بأنه لم يحدث ما أخافه ، فلقد تدخل سامح فى الوقت المناسب .
ساعدتنى على ارتداء ملابسي وأنا اترنح وأسندتني إلى كتفها وخرجنا من الغرفة ، وجدناه مازال واضعاً يديه على رأسه فى صمت مطبق كأنه تمثال أشارت لى حياء أن أصمت فهو فى حالة لا تسمح له بكلمة عتاب من أى نوع، ناولتنى حقيبتي وهاتفي وخرجت بي من الشقة واسندتنى إلى المصعد وقبل أن تضغط الزر توقفت يدها فى الهواء بتردد وكأنها قد تذكرت شيئاً.. لقد خشيت أن تترك سماح بالداخل معه وحدها فيعيد كرته فيقتلها فى لحظة غضب ، همست لي أن أنتظرها هنا ولا أتحرك حتى تعود وعادت للداخل مجدداً متوجهة إلى الغرفة التى دخلتها سماح وقد ارتدت ملابسها وجلست خلف الباب منتظرة مصيرها المحتوم طرقت حياء باب الغرفة وهمست بحزم وهى تسمع أنفاس سماح المتلاحقة من الجهة الأخرى :
- أفتحى الباب متخافيش .. تعالى معانا .. لو سبناكى معاه هيقتلك

أطلت نظرة رعب من عينيها المتورمتان من أثر البكاء وقامت لتفتح باب الغرفة ومنها مهرولة إلى خارج الشقة وكأن الشياطين تلاحقها، مرت بي ولكنها لم تستخدم المصعد ، هبطت تقفز الدرج بهستيرية واضحة.
ألقت عليه حياء نظرة أخيرة وهو مازال على جلسته المتصلبة دافناً رأسه بخزي بين يديه وفي عالم آخر لا يشعر بما حوله ، تركت الباب مفتوحًا وأخذتني وغادرنا المكان وتركناه خلفنا مثل ما نترك الأموات فى قبورهم وننصرف فى صمت ونحن ندعو لهم بالرحمة.

***

أخذتنا أقدامنا إلى أقرب مسجد أطلت مأزنته بشموخ من بعيد تنادينا إلى الراحة والسكون ، لم يتواجد بمصلى النساء إلا امرأتان وانصرفا مباشرة بعد انتهاء الصلاة ، حكت لي حياء ما حدث بإيجاز ثم ساد

صمت مطبق ذابل بذبولى وشردت بحيرة لا أعلم لماذا تفعل بي سماح ما فعلت ، بماذا آذيتها لتهلكنى بتلك الطريقة البشعة وتقدمني لقمة سائغة لعشيقها ، ماذا لو لم أضغط على الهاتف عندما شعرت بالدوار بعد تناولى للعصير الذى قدمته لي وأنا أتصورها نوبة سكر جديدة ؟ ، ماذا لو لم يستجيب سامح لنداء حياء ، وهل انقذنى بالفعل أم أنهما قد تأخرا ؟ ، وكيف ستأكد ؟ ، هطلت دموعى غزيرة بقلب مرتعد فشعرت بيدها تلتف حول كتفى لتضمنى إلى صدرها ونحن جلوس ، تربت على رأسي وتهدىء روعى ، شعرت بصدرها يختلج وكأن كلمات ما تتردد فى الخروج وأخيراً شق صوتها الخافت صمت المكان بهدوء وهى تقول متوترة:

- لازم نروح لدكتورة علشان نطمئن عليكِ

ذبحتنى نبرتها الخائفة ولكنى أنا أيضا كنت بحاجة للشعور بأننى بخير ،للشعور بالأمان ، أنتظرنا ساعة أو أكثر ثم اتجهنا إلى أقرب مركز طبي وأملنا متعلق بالله الستير وعندما حدثنا الطبيبة نظرت لنا بريبة و بنظرات متفحصة مقيمة فعالجتها حياء باقتضاب قائلة :

- أنا أختها الكبيرة وعاوزة أطمئن عليها مش أكتر

مرت الدقائق ثقيلة للغاية وبرغم من أنها لم تتعدى الثلاث دقائق إلا إنها مرت كالدهر، شعرت بأننى أحمل مستقبلي بين يدي وأخشى عليه من السقوط ، وأخيراً نطقتها الطبيبة بروتينية معتادة:

- كله تمام مفيش داعى للقلق .. أختك صاغ سليم

خرجنا من عند الطبيبة وكأننا قد ولدنا من جديد وقد سترنى الله بستره ، أتجهت بي حياء إلى أحد الكافتريات الشاغرة قليلاً واقتربت مني بمقعدها وهى تتنفس وكأنها قد حُرمت التنفس طويلاً وأمسكت بيدىوهى تميل نحوى تنظر لي بجدية قائلة:

- شوفتى يا منى ربنا سترنا ازاى .. رغم كل التفريط رغم كل شىء ربنا سترنا ..لازم نبدأ من جديد بقى .. أرمى كل اللى فات ورا ظهرك وأنسى كل الناس دول وأبدأى من جديد.. أفتحى صفحة جديدة مع ربك وعاهديه انك مش هتخالى حد حبه فى قلبك مهما كان أكتر من اللى خلقك وسترك.. أبدأى مع ناس محترمة أبدأى مع راجل زى أدهم ..صدقينى هينسيكى سامح وكل اللى حصلك معاه

قلت بدموع وبصوت مرتعش:

- مبحبوش ..مبحبوش

شعرت وقتها بأنها قد استحالت إلى أحد عملاء المخابرات وتنوى تجنيدى وغسل مخى وهى تقول بثبات مستغلة كل نقط الضعف التى تعرفها عني وعن سامح :

- صدقينى هتحبيه .. ده راجل بجد وبيخاف عليكى ..اعملى كدة مقارنة سريعة بينه وبين سامح .. واحد مكنش يفرق معاه سمعتك ولا دراستك ولا أى حاجة ...وواحد مرديش يخرج معاكى انتِ واخته إلا فى وجود أخوكى

واحد كان بيدخل عليكى أوضة صحبتك ويقعد يهزر معاكوا .. ووواحد كان عاوز يطلع ياكل بره علشان تقعدى براحتك رغم وجود وأمك وأخوكى وأهله ..صدقينى يا منى هتحبيه ...أعملى خطوبة طويلة واتعاملى معاه وهتشوفى ولو يا ستى محبتيهوش أبقى افسخى الخطوبة

الموقف لم يكن يحتمل العناد فأومأت برأسي أوافقها وعندما عادت بي إلى والدتي فى المساء بشرتها بموافقتى لتسد أى طريق للتراجع وكأنها تلقي بهمومى على كتف غيرها فلقد بذلت أقصى ما فى وسعها بل وعرضت نفسها بتهور إلى أن تلقى نفس مصيرى الذى كنت سألقاه لولا ستر الله علينا ، بل توجهت بعدها إلى منزلها لتنام يومين كاملين لا تنهض إلى للصلاة فقط ثم تعود لتنام من جديد ، نامت كما لم تنم من قبل ، ولا تسألوا عن عائلتها فهم لا يختلفون كثيرًا عن عائلتي ! ، ولم تستيقظ إلى على

مكالمتى عندما كنت أخبرها بتحديد موعد حفلة خطبتي على أدهم ! .

***

الحفل كان رقيق ورائع وعائلى فقط ، والتف الجمع حولي بسعادة، نظرت نحو أدهم بريبة واحتقن وجهى عندما سمعته يقول لوالدته:
- لو سمحتى يا أمى لبسيها الشبكة.. أنتِ عارفة .. انا مش هينفع
أقتربت حياء وانحنت نحوى متسائلة ماذا حل بي فقلت لها بعصبية هامسة:
- بيقول لأمه لبسيها انتِ الشبكة .. هو خايف يلمسنى ولا ايه؟

شدت حياء على يدى هامسة:
- يابنتى علشان انتِ مش مراته ومش عاوز يمسك ايدك علشان كده .. الله يخاليكى اضحكى شوية الناس مركزين معاكى شكلك كأنك مغصوبه عليه
أبتسمت بعصبية أنظر حولى ، أقتربت والدته لتمسك بيدى وهى تفتح علبة الذهب باليد الأخرى وقبل أن تمس خاتم الخطبة ظهر أخى هشام وهو يصيح بشغف وابتسامة مشاكسة عريضة ممسكاً بيده المأذون قائلاً:
- أستوووب العريس هو اللى هيلبس الشبكة.. بس بعد كتب الكتاب
علت الزغاريد من حولي بينما تجمدت مكانى وقد أدركت الآن لماذا كانت والدتي تبحث عن بطاقتى الشخصية وصوري بالأمس ، لقد وقعت بمكيدة ما ! ، ألتفت إلى أدهم لعله يعترض إلا أننى وجدته وقد تألق وجهه أضعافاً مضاعفة ووالده يخرج من جيب سرواله صوراً شخصية لأدهم وقد بات واضحًا أنه أحد المشاركين فى تلك المفاجأت التى هزتني وجعلت مقعدى يبتلعنى وبات أمرى محتومًا بموافقة الجميع ، شعرت بدوار خفيف ووالدته تحتضننى وتبعتها منال ثم والدتى التى بكت على كتفى بدموع فرح أصابتنى بالخرس ، وتم عقد القران بسرعة شديدة وأنا مصابة بالذهول .. لقد أصبح زوجى على حين غرة !، كتمت شهقة خافتة صدرت مني رغمًا عني عندما أمسك بيدى ورفعها إلى شفتيه وقبلها بحنان ثم قال وكأنه قد تبدل لشخص آخر فى ثوان معدودة:
- مبروك يا حبيبتى ربنا يجعلنى نعم الزوج الصالح ويجعلك نعم الزوجة الصالحة ليا واقدر أسعدك
ثم قبل جبيني أمام الناس .. ما هذا ؟ ! إنه قليل الحياء !

شعرت حياء بيد والدتها تجذبها نحوها وتقبلها وهى تقول باكية بطيبة شديدة:
- ربنا يابنتى يرزقك الزوج الصالح يارب
أتسعت عينيها وهى تنظر إلى دموع والدتها قائلة بمشاكسة:
- خلاص يا ماما خلاص أمسحى دموعك عاوزة الناس يقولوا عليا معنسة ولا أية ؟

(١٦)

اليوم التالى مباشرة كان يوم الجمعة وهو اليوم الذى تذهب فيه حياء إلى مقرأة أسبوعية للقرآن فى أحد المساجد القريبة ، أخبرتنى والدتي بموعد قدوم أدهم زيارتنا فأومأت برأسي بلامبالاة ووقفت فى النافذة متسائلة ماذا ستكون طبيعة علاقتى به وكيف سأستطيع التواصل معه وأنا لا أعرفه بل وأخافه

! ، وعندما التفت برأسي إلى منزل حياء القابع أمام بيتنا مباشرة وجدته يقترب من باب البناية بابتسامة صغيرة ويدلف للداخل بخطوات واسعة ، أتسعت عيناي غير مصدقة ، ماذا جاء به إلى هنا وماذا يفعل فى منزل حياء ، شعرت بالنار تضرم فى قلبى وعدت للداخل ملتقة هاتفى وهاتفتها بوجه محتقن وما أن سمعت صوتها يرد بهدوء حتى انفجرت بها بانفعال غير مبرر :
- سامح بيعمل أيه عندكوا يا حياء ؟
أجابتنى ممازحة:
- مين ياختى ..سامح مين.. أنتِ شاربة أيه على العصر !
أجبتها بعصبية شديدة:
- أنتِ هتستعبطى .. أنا لسه شايفاه داخل عندكم
نبرة صوتى جعلت مزاحها يطير فى الهواء وأجابتنى بنبرة قلقة:
- أنا مش فى البيت يا منى أنا راجعة من المقرأة وقربت أدخل شارعنا أهو
هدأت قليلاً وأنا أشرأب برأسي وأميل بجزعى للأمام أنتظر ظهورها عند المنعطف والهاتف مازال على أذنى أستمع إلى أنفاسها المتعثرة ، بدأت تتضح صورتها وهى تتقدم بخطواط واسعة ووجه شاحب متوتر فتابعت متسائلة :
- بردة مقولتيش جاى عندكوا يعمل أيه يا حياء ؟.. مش معقول متعرفيش !
- والله ما أعرف حاجة ربنا يستر .. أقفلى دلوقتى
أنهيت الأتصال وتابعتها بنظرى وهى تدخل بنايتهم وتُتمتم حانقة . طرقت حياء باب شقتهم فإذا بوالدتها تفتح لها الباب بوجة اتحتلته علامات البشر والسرور وجذبتها لتنخفض قليلاً وتهمس لها :
- مبروك يا حبيبتى .. جالك عريس زى القمر.. والله ده كل البنات هتحسدك عليه
غاص قلبها بين أضلعها وهى تهمس بحنق :
- عريس ايه وبتاع ايه .. مين ده اصلاً ؟
جذبتها والدتها لتدخل بها غرفتها ثم أغلقت الباب خلفهما واستدارت إليها قائلة بحماس:
- أول ما جه أعتذر أنه زارنا من غير معاد لأنه مكنش عارف يوصل لرقم التليفون علشان يتصل الأول .. وقال انه شافك فى الجامعة وأعجب بيكى وجه يدخل البيت من بابه
زفرت بقوة وهى مازالت غير مصدقة لتهوره ونظرت للأعلى وهى تُتمتم بداخلها " منك لله يا سامح "
فقرأت والدتها الرفض فى وجهها فلكزتها بمرفقها وهى تقول :
- ده من ساعة ما شافنى وهو بيقولى يا أمى .. وهيئته عاجبة أبوكى ..عارفة يعنى ايه؟
قالت حياء بنبرة الساخرة:
- طب والله كويس على خيرة الله طالما بيقولك يا أمى وعاجب أبويا هنعوز أيه تانى .. هنفترى يعنى
لكزتها والدتها مجدداً فى اللحظة التى فتح والدها الباب بخشونة واقترب منهما وقال :
- أمك قالتلك ؟
أومأت حياء برأسها بصمت فقال متابعاً:
- أنا عرفت منه شوية تفاصيل عنه وخدت عنوانه وبياناته وقولتله هنسأل عليه ونبقى نرد.. اطلعي يالا أقعدى خمس دقايق كده تشوفيه ويشوفك
ما هذه الكارثة ياربى ! ، قالت بنزق وهى تشعر بأطرافها تكاد تتخلى عنها :
- لاء مبقعدش مع حد لما تبقوا تسألوا عليه أبقى أقعد معاه
قال والدها بصرامة لا تقبل النقاش:
- خلصيني مش عاوز وجع دماغ .. اطلعي
لم يكن فى المقدور أن ترفض دون ان تبدى سبباً منطقياً فرضخت لرغبتهم وخرجت إليه تضغط أسنانها تكاد تهشمها، جلست بعيداً نسبياً عنه واستأذنت والدتها لتعد له مشروبة ، رفعت رأسها إليه

فرأت نظرت الإنكسار مازالت بعينه وكأنها قد أصبحت جزء من ملامحة، نظر إليها وقال بهدوء:
- أزيك يا آنسة حياء
- الحمد لله
وعندما اطمانت أن والدها لن ينضم إليهم وقد بات الطريق خالياً لتعنيفه حاولت حياء أن تتكلم بصوت خفيض لا يسمعه إلا هو قائلة بانفعال:
- أنت حصل فى مخك حاجة ولا ايه؟
أجابها بخفوت:
- ليه ؟
- أنت ازاى تيجى هنا .. وأيه حكاية جاى تتقدملى دى .. قصدك ايه يعنى؟!
رفع حاجبيه مندهشًا وقال:
- هيكون قصدى ايه ...عايز أتجوزك طبعاً.. وزى ما قولت لوالدك داخل البيت من بابه
زفرت بغضب وقالت وهى تحاول كتم غيظها:
- انت بتستهبل ؟
قال بهمس :
- لاء بحبك
قالت بضيق:
- قولى هو بالنفر ولا ملاكى
- هو ايه؟!
- قلبك
قال بأنكسار:
- انا عارف قصدك أيه .. أنا مش هعرف افهمك دلوقتى .. و معاكى حق فى كل اللى بتقوليه عليا دلوقتى .. بس والله انا محبتش حتى أحاول أكلمك قبل ما آجى البيت علشان أثبتلك أنى جد معاكى وأنى أتغيرت فعلا.. وكمان خفت ترفضى دخولى بيتكم من الأساس علشان كده جازفت وجيت من غير معاد.
وقبل أن تجيبه دخل والدها مرة أخرى مرحبا به وجلس بجواره . نهضت هى لتدخل غرفتها بحركات عصبية بينما أنهى هو جلسته سريعاً وانصرف فى أنتظار مكالمة من والدها !
لحقتها والدتها للداخل وهى تقول بوصدر منشرح :
- ها ايه رأيك .. زى القمر صح .. وشكله مؤدب وابن ناس
تنهدت وقالت ساخرة :
- اه فعلا شكله مؤدب جداااا
- موافقة .. مش كده
قالت حياء وهى تداعب والدتها:
- بالله عليكى يا ماما ..انتِ عاوزة تجوزينى أسرع ما بتسلقى البيض؟
قالت والدتها بعبوس:
- عاوزة افرح بيكى قبل ما أموت .. وهو عيب يعنى يا بتاعة الحلال والحرام .
- خلاص يا أمى خلاص سيبينى بس أفكر وبعدين انتوا مش لسه هتسألوا عليه أستنى بقى يمكن يطلع سوابق ولا حاجة
ألتفتت إليها والدتها بغيظ قائلة:
- نعم سوابق.. بقى ده شكل سوابق.. ده انتِ اللى سوابق
- ايه يا ماما من أولها كده هتقفى فى صفه.. أومال لو وافقت واتجوزته هتعملى ايه ..هتتبنيه هو وتطردينى من البيت !
- والله يا بنتى نفسى اطردك بس على بيت عدلك

- أيه الأمهات دى يا ناس .. أومال فين حنان الأم اللى بيقولوا عليه؟!

بعد مغادرة سامح انطلقت إلي منزل حياء والشرار يتراقص فى عيناي ، رحبت بي والدتها وكأي أم طيبة عفوية أبلغتنى منشرحة عن زيارة سامح وطلبه للزواج من ابنتها وانهت كلماتها الفرحة قائلة :
- لا وأية .. زى القمر وابن ناس .. طول بعرض .. شاب يشرح القلب
أصتكت أسناني وأنا أقول بابتسامة صفراء:
- والله..مبروك يا طنط..عن أذنك ادخلها
دلفت إليها فى غرفتها على الفور وأنا أتأرجح بين غضبي وعدم فهمي لما يحدث وأغلقت باب غرفة حياء التى قابلتنى بابتسامة متوترة وقالت:
- منى أقعدى وأفهمى لو سمحتى
كدت أن أنفجر فى وجهها هاتفة بغضب:
- أفهم أيه يا ست هانم ..عماله تطلعى فيه عيوب الدنيا .. كنتى بتطفشينى مش كده..عجبك لما شوفتيه مش كده..انتِ بقى الخضرة الشريفة اللى اختارها وسابنى علشانها.. طبعا.. مش انا اللى مشيت معاه.. مش انا اللى أتنازلته وأنتِ الطاهرة اللى ملمسكيش ..هى دى الصداقة هو ده الالتزام؟! .. وانا العبيطة اللى كنت بقول جابت رقمه منين! .. أتاريكوا متفقين على الجواز .
لم أتوقف عن ترهاتي حتى أوقفتنى حياء بصرامة قائلة:
- أسمعى يا منى لحد هنا وما أسمحش أبدا لأى حد فى الدنيا يقول عليا الكلام ده..وبدل ما انتِ داخلة تلقى الأتهامات جزافًا كده اسألى واسمعى وانتِ ترتاحى وتريحى
- اسمع ايه وافهم ايه ده جاى يتجوز .. عارفة يعنى ايه.. يعنى بيحبك
قالت حياء بسخرية مريرة:
- والله ؟ بيحبنى ازاى بقى .. بالاسلكى ولا نام وحلم بيا؟!
فركت يداي والدموع تنغزنى بمقلتاى فأمسكت بيداي وهى تقول بجدية :
منى بعصبية:
- قولى لنفسك ..كنتوا بتتقابلوا من ورايا صح كان بيقولك ايه ها
أستعادت حياء صرامتها مرة أخرى وقالت بجدية:
- اهدى علشان اعرف احكيلك كل حاجة
أجلستنى بجوارها وبدأت فى سرد ما حدث من الألف إلى الياء وأنا أستمع وعلى وجهي تجلت علامات عدم التصديق والدهشة وأخذت أتمتم :
- سامح ؟ معقول؟!!
- أظن بقى كده عرفتى جبت رقمه منين .. وعرفتى أنى ماليش ذنب فى حاجة .. والمرة الوحيدة اللى اتصلت بيه فيها هى المرة اللى طلبت فيها منه النجدة علشان نلحقك.. وصدقينى يا منى لو كان فى بالى أى راجل تانى ثقه كنت كلمته .. ماهو أصلاً مكنش منطقى أنى أستنجد بيه وانا خايفه عليكى من أخته.. بعد اللى سمعتيه ده عاوزة بقى تصدقى انى ماليش ذنب فى أنه يجى البيت صدقى .. مش عاوزة تصدقى براحتك
وبدون كلمة أخرى أنصرفت فى هدوء ، كنت أحتاج إلى الخلوة بنفسي ولقد فهمت حياء ذلك فتركتني

***

تبددت أحلامى بالأنفراد بنفسي قليلاً عندما دخلت بيتى فنهرتنى والدتي هاتفة:
- ايه ده يا منى .. كل ده عند حياء .. يالا اجهزى أدهم زمانه جاى

وجدت نفسي أقول باستهزاء لم أكن أقصده:
- أجهز ازاى يعنى يا ماما أقوم افرش الأرض رمله
غضبت والدتى ونهرتنى بقسوة فاعتذرت لها ودخلت غرفتى بائسة لأبدل ملابسي. بعد قليل دخلت والدتي خلفى لتقف ناظرة إلى ملابسي قائلة بعدم رضى عن مظهرى:
- ايه اللى انتِ لابساه ده يا بنتى ومالك لمه شعرك كده ليه
قلت بعناد:
- والله بقى ده اللى عندى مش عجبه هو حر
تنهدت والدتي قائلة بصبر:
- ربنا يهديكى يا بنتى.. تعالى سلمى عليه
خرجت إليه وصافحته سريعاً بينما قدم هو لي باقة من الأزهار المنتقاة بعناية فشكرته وانا أجلس امامه بينما استأذنت منه والدتى وانصرفت إلى المطبخ
بدل مقعده واقترب يجلس بجوارى وقال بابتسامة عذبة:
- وحشتينى
ابتلعت ريقي وقلت بخفوت غير مصدقة :
- هه .. شكرا
قال أدهم بصوته الرخيم مازحا:
- شكرا !
- اومال اقول ايه؟
قال متعجبا:
- مينفعش اقولك تقولى ايه .. انتِ اللى لازم تقولى من نفسك
لم أجبه وصمت لبرهة فقال محاولاً استجلاب رضاي مشيراً إلى ملابسي :
- الطقم ده رقيق جدا عليكى .. حقيقى حلو أوى
تعجبت وانا أنظر لملابسي ، فلقد انتقيت ملابس قديمة كنت قد تركتها من فترة طويلة فى خزانة ملابسي ، رفعت رأسي إليه فوجدته يتألمنى فتورد وجهى وقلت متمتمة:
- تشرب عصير ؟
قال بهمس رجولي:
- لو من ايدك أشرب
لا أعلم لماذا استفزنى هدوءه ومعاملته الغريبة لى وكانه يعرفنى منذ زمن وطرأت ببالى فكرة فقلت من فورى :
- آه هعملهولك بنفسي بس انا مينفعش خالص أشرب حاجات مسكره .. أصل انا عندى السكر
قال بدهشة دون أن يبدى انزعاجاً:
- معقوله .. ألف سلامه عليكى..
فتابعت ببساطة :
- الله يسلمك .. بس شكلى كده حالتى متأخرة يعنى هيبقى عندى مشاكل فى الجواز والحمل ربنا يصبرك بقى

أبتسم أدهم قائلا بحنان:
- ربنا يصبرنى !.. ده أنا أفديكى بروحى يا منى انتِ بتقولى ايه
أنفعلت رغما عني من حديثه الهادىء بغيظ مكتوم :
- فى ايه؟ .. أنت محسسنى انك بتحبنى وبتموت فيا.
أبتسم بتعجب قائلاً:

- طب وفيها ايه .. آه بحبك انتِ مش مراتى ولا ايه؟
- ياسلام هو انا يعنى علشان مراتك تقوم تحبنى .. بس لمجرد انى مراتك
أجاب بنفس الأبتسامة المندهشة قائلاً:
- أومال يعنى احبك وانتِ مش مراتى ويبقى حبنا بيغضب ربنا
وكأن كلماته أصابت جرحاً برأسي فقلت مناقضة لنفسي ولتاريخي مع سامح دون تفكير:
- أنا مش بتكلم على حرام وحلال..أنا بتكلم انك مشوفتنيش غير كام مرة.. لحقت تحبنى أمتى؟
قال أدهم بصدق وتفهم إلا أن دهشته بقيت فى ابتسامته:
- متنسيش اننا فى بينا نسب من زمان وبسمع عنك كل خير .. أنتِ متعرفيش ماما ومنال بيتكلموا عليك ازاى .. عارفة لما رشحتك ليا .. كانت متوقعة أنى أرفض زى ما كنت بعمل مع ظاى عروسة بتجبهالى ..لكن اتفجأت لما قولتلها هستخير وأرد عليكى .. بعد الأستخارة حسيت أن ربنا حط حبك فى قلبى ..وبدون أسباب .. ولقيت نفسي بقولها تيجى تقابل والدتك وتحدد معاها معاد.
وجدت نفسي أقول بشرود :
- طب وانا .. مسألتش نفسك انا بحبك ولا لاء
أبتسم بتفهم قائلا :
- أنا مش صغير يا منى ومش مراهق .. أنا عارف انك لسه بتاخدى عليا .. وبعد كلامك ده أتأكدت انك لسه محبتنيش ويكفينى انك وافقتى على جوازنا.. ده فى حد ذاته حاجة كبيرة عندى
ثم تابع مردفاً بثقة وعينيه تلمع بعاطفة قوية:
- أوعدك أنى أخاليكى تحبينى

***

(١٧)

وضعت والدة حياء يدها على كتف ابنتها وقالت بود :
- تعالى يا حبيبتى أقعدى جنبى .. أبوكى سأل على أهل العريس ولقاهم ناس مبسوطين
رفعت حياء حاجبيها قائلة بسخرية:
- بجد؟.. مبسوطين ازاى يعنى .. بيضحكوا كتير
تغيرت نبرة والدتها فى لحظة وقالت زاجرة:
- بت انتِ انا مبهزرش ..أظن كده مالكيش حجة
رفعت كتفيها وقالت بمزاح:
- طبعا ماليش حجة طالما أهله بيضحكوا على طول هرفض ليه
- طب استنى بقى هناديلك ابوكى علشان تعرفى تتريقى كويس

جذبتها حياء من يدها برفق وقبلت كفها قائلة برجاء:
- لا أبوس أيدك يا ست الكل أقعدى.. أنا آسفة بلاش أبويا أنتِ عارفة أنه مضطهضنى
- ها طيب قولتى أيه؟
لم تجد حياء وسيلة بعد ذلك إلا الحيلة فهى تعلم والدها جيداً وقالت:
- ماما يا حبيبتى يرضيكى أتجوز واحد معرفش عنه حاجة .. طب أوافق ازاى دى تبقى موافقة على ميه بيضا
- خلاص لما يجى تانى أقعدى معاه زى ما أنتِ عايزة وأتكلمى معاه براحتك
-هو بابا هيسيبنى افتح بوءى ما انتِ عارفة وبعدين انتِ ايه اللى عرفك إنه هيجى تانى مش جايز لما شافنى هرب بجلده
قالت والدتها مؤكدة:
- لا يا حبيبتى ده كل يوم يتصل بأبوكى وبالنسبة لموضوع أنك عاوزة تتعرفى عليه ده مالكيش دعوة سيبيها عليا أنا هخاليكى تتكلمى معاه براحتك المهم تطلعى بنتيجة وتخلصينا
- طب ممكن بس تأجليها شوية.. مش فاضية اليومين دول
- خلاص يا حبيبتى أبوكى اتصل بيه وحدد معاه معاد
- فى ايه يا ناس ..هو انا أيه ..هوى.. سراب.. شبح محدش شايفنى
قالت والدتها وكأنها لم تسمعها :
- هو كان عاوز يجيب معاه أبوه وامه وقال بالمرة نقرأ الفاتحة بس أبوكى قاله لا تعالى لوحدك ولو حصل قبول أبقى هاتهم المرة اللى بعدها
تمتمت حياء بداخلها بغل " منك لله يا سامح " قبل أن تقول بابتسامة صفراء:
- والمحروس جاى أمتى
- قال هايجي بعد صلاة الجمعة
- يا سلام على الإيمان والتقوى !!

****

لم تخبرني حياء وقتها عن تلك المقابلة التى كانت تنوى عن طريقها أن تجعل سامح يخرج من بيتهم ولا يعاود مرة أخرى وكنت أنا أيضا أتحاشاها منذ أن عرفت بتقدمه لخطبتها وكأن الموقف كان صفعة لكرامتى المهدروة ، وجاء يوم الجمعة ليتألق منزل حياء كأى منزل مصري يستعد لإستقبال عريس تمت الموافقة عليه ضمنياً من قبل أهل العروس.
دخلت والدتها غرفتها لترى هل ارتدت ملابسها أم لا وقد حان الوقت المرتقب فاتسعت حدقتاها بعدم رضى قائلة:
- ما تلبسى حاجة عدله .. ايه اللى انتِ مهبباه ده
- يوه يا ماما .. فى ايه
- يابنتى غيرى الأسدال الاسود ده.. الراجل يقول عليكى ايه رايحة تعزى
- تحبى ألبس البنى ولا الكحلى؟
قالت والدتها باستهجان:
- بنى ايه وكحلى ايه ..هو انتِ عندك أسدالات غير الاسود.. يابنتى عندك هدوم كتير محتشمة برضة وشيك
-ماينفعش يا ماما يا أما الاسدال الاسود .. يا أما البنى أو الكحلى اللى هما مش عندى أصلا ..ها

أختارى
أرسلت والدتها تنهيدة قوية وقالت باستسلام:
- ربنا يهديكى اقول ايه بس ..لو مكانتش مرات اخوكى هنا...
قاطعتها حياء متسائلة:
- آه صحيح هى ايه اللى جايبها النهاردة.. جاية تتفرج؟
- بتحشر نفسها فى كل حاجة..اذا كان اخوكى نفسه مجاش
- طب كويس انها جات يارب العريس يعجبها...أهو نبقى ضربنا عصفورين بحجر واحد
سمعت والدتها صوت باب شقتهم فقالت على الفور :
- هروح اشوف مين ..شكله هو
خرجت والدتها لتدخل على أثر هالة زوجة أخيها بابتسامة عريضة هاتفة بطريقة طفولية:
- يالا بسرعة يا حياء العريس جه
قلدتها حياء بشكل ساخر قائلة:
- والله.. هيه هيه العريس جه جه
قطبت هالة حاجبيها وكتفت ذراعيها فوق صدرها وهى ناظرة إلى حياء بمكر قائلة:
- جبتيه منين ده يابنتى ده قمر
ثبتت حياء حجابها فى المرآة وهى تقول بجدية ساخرة:
- بصى روحى الميدان لفى شمال فى يمين هتلاقى محل أخضر فى احمر أدخلى هتلاقى منه حوالى اتنين تلاتة خدى واحد منهم قبل ما يخلص
أجابتها هالة ببطء وهى تتأفف من طريقة حياء الساخرة :
- انتِ بتقولى فيها ..ده صحيح مبقناش نشوف رجالة كدة الأيام دى
- طب كويس أبقى فكرينى اقول لجوزك الكلمتين دول لما اشوفه
انتفضت هالة مدافعة:
- انا بهزر .. أنتِ هتقوليلوا بجد ولا ايه
رفعت حياء حاجبها وهى تقول بتهديد ساخر:
- خلصى يا هالة روحى شوفى هيشرب ايه بدل ما حماتك قايمة قاعدة كدة
- دى ماما عاملة حلويات النهاردة مخصوص علشانه
- وماله خاليه يتغذا علشان اللى هيحصله
قالت هالة بتساؤل :
- أيه اللى هيحصله ؟
قالت حياء بلا مبالاة:
- لا متاخديش فى بالك .. لما يخلصوا كلام وسلامات وطيبات أبقى قوليلى
أنصرفت هالة إلى المطبخ بينما خرجت هى من غرفتها واقتربت ببطء من باب الغرفة التى يجلسون بها لتستمع إلى بعض مما يدور بينهم من حديث ووالدتها بالداخل تقدم له الحلوى التى صنعتها.
- والله ده كتير يا أمى تعبتى نفسك ليه
- تعبك راحة يابنى كُل بقى متكسفش أيدى
- هو انا أقدر يا أمى ده انتِ الخير والبركة
زمت حياء شفتيها وهى تُتمتم بداخلها " آه يا منافق " ثم أرهفت سمعها لتستمع له وهو يقول لوالدها:
- بقولك ايه يا عمى انا مش عاوز اطول فى الموضوع ..عاوز مفيش لخطوبة .. نكتب الكتاب على طول بعد أذنك
قال والدها بود:

- أيه يا بنى انت مستعجل كده ليه مش لما العروسة تقول كلمتها الاول
- البركه فيك بقى يا عمى تقنعها
- والله يابنى انا ممكن اغضب على ولادى فى أى حاجة إلا الجواز
خرجت والدتها من الغرفة فوجدتها تقف عند بابها تستمع إليهم فقالت لها بهمس :
- أبوكى فاكرك مكسوفة ميعرفش أنك بجحة
همست لها حياء فى أذنها ممازحة:
- لو قولتيلى أسم الجامع اللى لقتينى عنده والله مش هزعل خالص واروح اقعد عنده تانى لحد ما آلاقى أمى الحقيقية .. أنا مش عارفة عبد الحليم حافظ زعل وأتأثر ليه لما عماد حمدى قاله انا مش ابوك
دفعتها والدتها للداخل وهى تقول بخفوت:
- طب خشى بقى يا أموره لما نشوف لماضتك دى قدام ابوكى
طرقت حياء الباب ودخلت وهى تقول بأدب :
- السلام عليكم
نهض سامح من فوره ومد يده ليصافحها ثم تذكر أنها لا لن تفعل فترددت يده قليلاً ثم أعادها إلى جانبه مرة أخرى وهو يرد السلام فنظر لها والدها بتوعد خفى وهو يقول ببطء تشم منه رائحة الأمر :
- ما تسلمى.. مكسوفة ولا ايه
أطرقت وهى تقول بنفس النبرة الهادئة :
- معلش يا بابا أصلى مبسلمش على رجالة زى ما حضرتك عارف
تأفف والدها وهى ينظر إليها باستنكار وهو يقول باستهزاء:
- بطلي بقى جهل وتشدد
جلست بهدوء وكأنها لم تسمع شىء فقال سامح بإحراج:
- ازيك يا آنسة حياء عاملة ايه؟
- الحمد لله
تنحنح وهو يقول بحرج أبلغ:
- باباكى قالى انك عاوزة تسألينى على حاجات معينة .. أتفضلى
رفعت رأسها والتفتت إليه وقد نوت أن تنفذ فيه أحداث فيلم أمير الانتقام حرفياً وقالت بجدية :
- حضرتك بتصلى؟
- اه الحمد لله بصلى
- فى المسجد؟
ازدرد ريقه وهو يجيب بتردد:
- لا .. لما بكون فى الشغل بصلى هناك ولو كنت فى البيت بصلى فى البيت
اومأت برأسها غير عابئة وهى تراه بدأ يفرك يده بتوتر متوقعاً ما تنوى فعله به وقالت:
- حافظ قرآن قد أيه؟
قال بتعثر:
- يعنى.. الصور الصغيرة..
رفعت حاجبها وهى ترى احمرار وجهه قائلة بتصحيح:
- أسمها صور قصيرة
تدخل والدها عندما لاحظ العرق الذى بدأ يتجمع على جبين سامح قائلا لها باستنكار:
- أيه الأسئله دى .. هو جاى يتجوز ولا داخل الأزهر
تدخل سامح قائلاً بتوتر:

- سبها ياعمى تسأل براحتها
باغتته حياء بسؤالها التالى قائلة:
- حضرتك تعرف اسم مرادونا بالكامل؟
نظر لها والدها بدهشة بينما ابتسم سامح متعجباً وقال بثقة:
- اه طبعا ..
وانتظرته حتى انتهى من سرد أسم مارادونا بالكامل ثم باغتته قائلة:
- ممتاز.. تعرف بقى أسم النبى عليه الصلاة والسلام بالكامل
فوجىء بالسؤال فقال على الفور:
- ايه .. اه طبعا اسمه محمد بن عبد الله
- بس؟
تعثر سامح ومسح عرقاً وهميا وهو يسمعها تقول وكأنها تؤدبه :
- مينفعش يا أستاذ سامح نعرف أسامى لاعبين الكورة بالكامل ومنعرفش أسم نبينا.. ولا أيه؟
وهنا أنتفض والدها الذى كانت قد نفذت طاقة التحمل لديه ونهض قائلاً بعصبية :
- انا هقوم بدل ما دمى يتحرق اكتر
وبعد أنصراف والدها حانقاً نظر سامح إليها معاتباً وهو يقول بخفوت:
- بتحرجينى كده ليه؟
قالت بجدية :
- أنا مش بحرجك.. أنت جاى عاوز تتجوزنى وأنا أى حد بيجى يتقدم لى بسأله الأسئلة دى .. مش ذنبى بقى أنك مش مذاكر
قال وعينيه متعلقة بوجهها الرافض له :
- بس ده ظلم ..أنتِ عارفة أنى لسه فى البداية ..
نظرت إليه وقالت :
- أنا آسفة يا سامح.. كل اللى بيحصل ده تمثيلية مالهاش لازمة.. أنت وأنا عارفين أنه مينفعش .. أنت ليك حياتك وأنا ليه حياتى .. بعد أذنك يا سامح أحترم رغبتى ومتخاليش أهلى يضغطوا عليا أكتر من كده
قال بتصميم:
- بس انا مش هيأس ..انا مبعرفش اليأس
نهضت على الفور وهى تقول :
- ياريت متيأسش فعلا من نفسك وتحاول تتغير فعلا.. بس علشانك أنت

أنهت حياء المقابلة وبعد انصراف سامح أعلنت رفضها بقوة وحدث فى بيتها حروب طاحنة لأقناعها ، مرة بالترغيب ومرة بالترهيب ومرة بحرمانها من الخروج نهائياً ولكنها لم تتراجع وظلت ترفض بشكل قاطع دون أن تشير لسبب رفضها الحقيقي حتى لا تزج بي فى الموضوع فتسوء سمعتى لديهم وفى النهاية اضطر والدها إلى الأتصال بسامح والأعتذار له عن غباء ابنته ورفضها للزواج منه .

***

لم يمر وقت طويل على صفعة سامح لى بطلبه الزواج من حياء صديقتى حتى صُفعت مرة أخرة عندما استيقظت فزعة من نومى على صوت صرخة والدتى التى شقت سكون الليل ، لقد مات أبى ، مات ؟! ، وهل كان حيا ! ، حاولت ان أظهر الحزن على وفاته أمام الناس ، حاولت أن أبكى ، قلت لنفسي لقد أصبحتِ يتيمة لابد وأن تبكى الآن ، ولكن دون جدى ، جاهدت لأشعر بغيابه .. فهل كان حاضراً من البداية .. لا

مر أسبوعاً كاملاً على وفاته وبدأ أخى طارق يأخذ سلطته ويتقلد شئون ملكه الجديد فى منزلنا وآتى هو وزوجته واحتلا غرفة أبى وانتقلت أمى لتقطن بغرفتى بسكون وكأن أمر طردها من غرفتها أمراً عادياً كانت تتوقعه ، كنت سأذهب إلى منزل هشام فأنا لا أطيق الحياة معهم لولا خوفى على أمى التى ظهرت عليها الشيخوخة وزادت سنوات عمرها دفعة واحدة وانحنى ظهرها قليلاً وقد اكتفى من أعباء الزمن ، وقد أكتفى من موت زوج قاسي ليأتى بعده خليفة أقسى ، تراجعت عن فكرتى تلك وبقيت بجوارها ولكنى لم ابق وحيدة تماماً ، فلقد كان أدهم يأتينى يومياً ليطمئن على أحوالى ويسألنى عن ما أحتاجه وهو يؤكد على أننى أصبحت زوجته ومسؤلة منه بشكل كامل ، ولكن مشاعرى نحوه ظلت محايدة ، لا أحبه ولا أكرهه ، متخبطة بين الماضى والحاضر وكأننى أطفو ولا أشعر باتزان حقيقى يعيدنى إلى أرض الواقع، كنت فى دنياي الخاصة ولا أعلم شيء عن الضغوط التى تتعرض لها حياء وبالطبع لم اعلم وقتها عن المكالمة التى جائتها من صديقتها نهلة فى صباح أحد الأيام تطلب منها الحضور للجامعة لأمر هام لا يحتمل التأجيل ، رفضت حياء متعللة بانشغالها فلقد كانت فاترة عن أى عمل جماعى فى ذلك الوقت ولكن نهلة أصرت عليها الحضور وعندما ذهبت وجدت أحمد زوج نهلة ينتظرها هناك معها وكأنه كمين ! .

أقبلت نهلة نحوها وقبلتها بينما رحب بها زوجها ولقد كانت مفاجأة لم تتوقعها حياء أبداً عندما بادر أحمد قائلا:

- آنسة حياء طبعا أنا آسف جدا أنى بتدخل فى أمورك الخاصة لكن غصب عنى .. الأستاذ سامح لجألي علشان أتوسطله عندك أنا ونهلة واحاول اقنعك تديله فرصة

نظرت له حياء ببلاهة غير مصدقة وتعثرت الكلمات على شفتيها قليلاً قبل أن تقول بدهشة:

- هو حضرتك تعرفه منين ؟

- أنتِ ناسية أنه شافنى معاكى أنا ونهلة يوم ما جالك هنا .. ومن المقابلة دى عرف أنك تهمينى .. ده كمان كان فاكر أنك قريبة نهلة علشان كده فكر فيا .. وقالى أنه معملش كده غير لما السكك كلها أتقفلت فى وشه

زفرت حياء بقوة وقد شعرت باختناق شديد ، فهو يحيط بها من كل اتجاه دائما لا يسمح لها بالتنفس وقالت بضيق:

- لو سمحت يا دكتور الموضوع ده أتقفل ..حضرتك يمكن متعرفش التفاصيل كلها

قال بثقة:

- أنا مش هتناقش كتير ولا هحكى فى تفاصيل بس عاوز أقولك أنه لما جالى حكالى على كل التفاصيل وهو مش عاوز منك حاجة غير انك تسمعيه مرة واحدة بس

تدخلت نهلة قائلة بحماس:

- بجد هو شكله فعلا مش هيتنازل ومصمم يتكلم معاكى .. أنتِ مش بتديله فرصة خالص يا حياء .. يا ستى اقعدى معاه مرة واحدة واسمعيه وبعدين ابقى ارفضيه لو عايزة .. بطلى بقى دماغك الناشفة دى

عقدت حياء ذراعيها فوق صدرها وأشاحت بوجهها بعبوس فقال أحمد معاتباً:

- لازم تعرفى أنى مش هقبل عليكى اللى مقبلوش على أختى.. وانا لو مكنتش لمست فيه الصدق والأصرار مكنتش دخلت نفسى فى حكاية زى دى .. ولا كنت هعرضك لموقف زى ده وأسألى نهلة

قالت نهلة مؤكدة:

- بجد والله كلامه صح ..هو قال مش عاوز غير أتكلم معاها وجها لوجة مرة واحدة ولو مصدقتنيش هختفى من حياتها نهائى

ثم استدركت سريعاً:

- أنتِ هتيجى معانا نادى النقابة ورجلنا هتبقى على رجلك مش هتبقى لوحدك

نظرت حياء إلى طريقة نهلة الحماسية هى وزوجها فى الحديث فحاولت أن تضع شرطاً تعجيزياً لعلهما يتراجعا وقالت:
ـ طيب ماشى بس على شرط أنتوا هتبقوا المسؤولين قدامى دلوقتى أنه يختفى من حياتى تماما بعد المقابلة دى
فاجأها أحمد وهو يقول بثقة:
ـ أتفقنا

****

(١٨)

وصلت حياء لنادى النقابة فى الميعاد المسبق تحديده وهاتفت نهلة التى خرجت لاستقبالها على البوابة ، من أول خطوة على سلم النادى شاهدت سامح والدكتور أحمد يجلسان على طاولة بجوار السور المطل على النيل ويتمازحان ويضحكا سويًا كأنهما صديقان منذ زمن بينما همست لها نهلة مشاكسةً:
ـ أنا مكنتش أعرف أنك جامدة كده ، الراجل أول ما عرف أنك وصلتى مبقاش على بعضه
قالت حياء ساخرة وهى تقلد طريقة نهلة المشاكسة:
ـ مابقاش على بعضه أزاى ما هو حتة واحدة أهو يا كذابة
ضحكت نهلة بخفوت وهما يقتربا من الطاولة ، نهض أحمد بابتسامة وتبعه سامح بتوتر قلق وقال الأول بفخر:
ـ أيه المواعيد المظبوطة دى ، أتفضلى

ألقت السلام على الجميع ولاحظت أن أحمد يمسك بيد نهلة وهو يستدير نحوهما قائلاً:
- طيب يا جماعة أحنا على الترابيزة اللى جمبكوا دى
أستوقفته حياء وهى تقول بتصميم :
- أيه ده يا دكتور أحنا متفقناش على كدة .. خاليكوا معانا هنا
قال أحمد بجدية وحسم:
- كده مش هيعرف يتكلم على راحته.. وبعدين الترابيزة أهى وراكى على طول
وافقت حياء على مضض ولكنها أشترطت بعند أن يجلسوا على طاولة موقعها لا يطل على النيل ،وعندما جلسا تكلم بعد لحظات قائلاً:
- تحبي تشربى ايه؟
قالت بانفعال:
- أنا مش جاية أشرب .. أتفضل قول أيه الحاجة المهمة أوى كده اللى خالتك تلف اللفة دى كلها علشان توصلي
قال سامح بجدية:
- بلاش النبرة اللى كلها قسوه دى .. خلى بينا ولو نقطة تفاهم واحدة
- أحنا مفيش بينا ولا نقطة تفاهم وأنت عارف كده
رفع حاجبيه قائلاً بهدوء:
- ولا حتى نقطة ثقة ؟.. أنا صحيح معرفتكيش من مدة طويلة بس المدة الصغيرة دى عرفت فيها انتِ أمتى بتثقى فى الناس وأنا متأكد أنك بتثقى فيا
ثم تابع مردفاً :
- على فكرة أنتِ تعبتينى أوى من ساعة ما شوفتك .. أنتِ متعبة بجد .. عارفة أنا عملت أيه علشان أعرف أوصل للدكتور أحمد وأعرف أقنعه ؟
قالت ساخرة:
- أنت هاتقولى.. ما أنا عارفة لما بتحط حد فى دماغك ايه اللى بيحصل ..ومنى صاحبتى أكبر دليل على كده ..البنت المسكينه كانت فين وأنت خلتها فين
قال معاتباً:
- وأنا جاى النهاردة علشان كده .. علشان أثبتلك أن القديم أنتهى
- مش فاهمه وضح
مال للأمام فى مواجهتها وأتكأ على مرفقيه مستنداً إلى حافة الطاولة وقال ببطء:
- هحكيلك على حاجات تثبتلك أنى أتغيرت من بعد أول مرة شوفتينى فيها
أنصتت إليه وهو يقص عليها كل ما دار بينه وبين أخته سماح وكيف قامت سماح بتهيأت الجو بافتعالها المرض حتى يستطيع هو أن يأخذنى معه لمنزلهم وكيف فشلت الخطة عندما رفضت حياء أن أذهب معه وأنه فكر بعد هذه المرة جدياً أن يقطع علاقته بي نهائياً إلا أنه كان بحاجة للقائى مرة واحدة فقط ليعرف مني معلومات أكثرعن حياء بشكل غير مباشر، الدهشة والفزع كانا عنوان ملامح وجهها وهى تستمع له وما يقوله عن حقارة أخته التى رأت نبذة عنها يوم أن انقذتنى معه من شقة محمد وتأكدت أنها لم تكن المرة الأولى التى تحاول فيها سماح إيذائى بتلك الطريقة.
قرأ سامح ما يدور فى ذهنها ورُسم على قسمات وجهها فقال بتمهل :
- متستغربيش أوى كده .. سماح زمان لما كنت بنجح فى المدرسة وبجيب مجموع عالى كانت بتقطعلى الشهادة بغيرة مالهاش أى مبرر .. هى كده طول عمرها بتغيير من أى حد أحسن منها وبيبقى عندها رغبة أنها تأذيه وخصوصا أن محمد حسسها بكده وقالها بصراحة أن منى أحسن منها
قالت حياء على الفور:
- عرفت ازاى

أجاب بابتسامة منكسرة :
- ماهو أنتِ متعرفيش اللى حصل بعد اليوم المشؤم وبعد ما فوقت من صدمتى فى أختى وصاحبى دورت عليه وجبته من تحت الارض .. كان صاحبى بقى وعارف لما بيعوز يستخبى بيروح فين
قالت بقلق:
- عملت فيه ولا فيها حاجة ؟
لمعت عينيه بابتسامة أمل مفسراً قلقها بطريقة خاطئة وقال:
- متخافيش .. انا كان كل همى أنى أخاليه يسترها وأجبرته انه يكتب عليها رسمى أصله كان كتبلها ورقة عرفى
- أجبرته ازاى يعنى
- ماهى دى بقى فايدة ان اللى يغدر بيكى يبقى صاحبك أوى .. بتبقى عارفة عنه كل حاجة.. وعارفة ازاى تلوى دراعه .. طبعا محدش فى بيتنا يعرف حاجة.. وخاليته يجى يستعجل معاد الجواز بنفسه وبعد فترة بسيطة كده عملوا تمثيليه انهم مش طايقين بعض وطلقها.. انا كنت متأكد انه مش هيسيبها على ذمته كتير وطبعا انا مستبهاش غير لما حكتلى كل حاجة.. من ساعة ما محمد قالها كلمتين خالاها تحقد على منى .. لحد ما أخدت منى معاها الشقة.. وحضرتك روحتى معاهم بقلقك المعهود على كل الناس اللى حواليكى وعلى فكرة هى أكدتلى ان محمد ملمسهاش ولا لحق حتى يشوفها
قالت وقد أحتل صوتها نبرة متوترة لتذكرها ما حدث وما مرت به فى ذلك اليوم:
- أنا أتأكدت بنفسى من كدة ومرتاحتش غير لما الدكتورة طمنتنى
وتابعت قائلة بحنق:
- وبعدين انا مش فى طبعى القلق على اللى حواليا زى ما انت فاكر .. انا كنت قلقانة على منى بس علشان صاحبتى
قال بابتسامة ثقة:
- مش حقيقى.. وأكبر دليل على كدة أنك أنقذتى سماح من أيدى بكل جهدك ومسبتيهاش بعدها معايا فى الشقة لوحدنا وخفتى عليها .. وبدليل كمان انك كنتى مترددة تمشى وتسبينى فى الحالة اللى كنت فيها ساعتها .. وبدليل كمان أنك جيتى النهاردة علشان تريحى ضميرك من ناحيتى...صح؟
أرسلت تنهيدة طويلة تخرج بها ما يعتمل بصدرها من ألم تلك اللحظات وقالت:
- عموما اللى حصل ده أكبر درس ليك وليها .. محدش بيتعلم ببلاش والحمد لله انك أتصرفت بحكمة وعرفت تلم الموضوع من غير ما أهلك يحسوا بحاجة

قال وكأنه أستعاد زمام المباردة فى يديه:
- أنا كنت مضطر أحكيلك الكلام ده عن أختى .. أولاً لأنى عارف أنتِ شايفاها ازاى وكلامى مكنش هيفرق كتير .. ثانيا علشان أثبتلك أنى أتغيرت وبحط أسرارى بين أيديكى علشان تتأكدى ..شوفتى بقى ان مكنش هيفرق اننا نقعد على الترابيزة اللى على النيل ولا لاء.. كده ولا كده القاعدة مكنتش هتبقى رومانسية
ثم تابع بنبرة حماسية شغوفة :
- لكن لو وافقتى على الجواز هتشوفى الرومانسية اللى بجد .. هتشوفى سامح لما بيحب بجد بيبقى ازاى..
ها قولتى أية؟ وأرجوكى متقوليش لاء !
صمتت قليلا ثم قالت بهدوء:
- ممكن أجاوب عليك بسؤال .. لو انا مش موجودة فى الصورة ومنى جات قالتلك انها عرفت أن علاقتكم من الأول كانت غلط وانها تابت وبقت حاجة تانية .. هتصدقها وتثق فيها وتتجوزها؟
عقد بين حاجبية وهو يقول ببطء وتفكير:

- بصراحة يمكن أصدقها بس هخاف أتجوزها
ثم تابع مستدركا أضاءت نقطة بعقله :
- أنا عارف أنتِ سألتى السؤال ده ليه .. بس انا حاجة ومنى حاجة
- تقصد يعنى أنك راجل وهى بنت؟
قال وكأنما يقر واقعاً:
- مش كده وبس .. دى واحدة هديها أسمى وشرفى يعنى لازم أبقى متأكد أنها هتصونهم
- بس أنت متأكد أنك أول واحد فى حياتها
- بس مش هبقى متأكد أنى آخر واحد .. اللى تفرط مرة تفرط ألف مرة.. وبعدين الراجل مختلف عن البنت.. مفيش مقارنة
لوحت بيدها وهى تقول متعجبة:
- غريبة أوى يعنى البنت اللى تغلط مرة واحدة فى حياتها مع واحد بتحبه حقيقى تبقى منبوذة .. والراجل ده نفسه هو اللى يبقى مش واثق فيها .. لكن الراجل اللى هو أصلا كان السبب واللى ياما غلط يبقى عادى لازم نصدقه ونوافق عليه.. مش شايف ان المنطق ده غريب أوى
أنفعل هاتفاً وهو يعود بظهره للخلف :
- أنتِ بتتلككى علشان ترفضى .. دى مش نقاش .. أنتِ أصلا مش قادرة تبصيلى وأنتِ بطلعى أسباب مش منطقية للرفض
نظر حوله فوجد أحمد ونهلة ينظران إليه وبعض من رواد النادى على طاولة قريبة فشعر بالأحراج وعاد يميل للأمام مجدداً مطرقاً يوبخ نفسه دون ان يدرى أنها ابتسمت لتصرفاته الطفولية تلك وهى تسمعه يعتذر بخفوت لا يخلو من الانفعال المكتوم:
- انا آسف خرجت عن شعورى.. بس انا عاوز أقولك أن منى مكنتش صغيرة ولا أنا ضربتها على أيديها وأنا مكنش قصدى.. هى جات كده معايا .. أفهميني.. شاب زيى لما بنت تقعد تضحك وتهزر معاه من غير مناسبة هيعمل أيه.. لما توافق تركب معاه عربية بعد ما عرفت أسمه بساعتين هيعمل ايه غير انه هيفتكرها سهلة .. وبما انها بقى حكتلك كل التفاصيل وحضرتك حفظتى كل كلامى.. أفتكرى لما قعدت معاها فى البلكونة لوحدنا ومسكت ايديها وقربت منها .. كل اللى هى عملته انها اتكسفت .. حتى لما حاولت تقوم ومنعتها قعدت بسهوله .. أنا كنت مستنى منها تصرف شديد لكن محصلش .. ويمكن هو ده اللى نرفزنى لما سماح دخلت علينا.. أنا عارف انك هتغلطينى عارفة ليه ..علشان عمرك ما هتحسى بمشاعر الراجل فى الوقت ده.. حتى لو كنت قديس واتساهلت معايا كدة كنت برضه هقول عليها سهلة ومينفعش أئتمنها على بيتى

قالت حياء بشكل قاطع وقد تغير وجهها لحديثه عني بهذا الشكل :
- وانا كمان يا سامح عاوزة راجل أئتمنه عليا وعلى ولادى..عاوزة راجل زى ماهو واثق فيا وانا فى بيته أبقى انا كمان واثقة فيه وهو برة البيت ..راجل بيغض البصر وبيتقى الله فى بنات الناس حتى لو البنات دى سهلة زى ما بتقول .. علشان يربى ابنه على كده لو شافه بيبص لواحدة مهما كانت مين الواحدة دى وبتعمل أيه ..عاوزة راجل حبنى وعاوز يتجوزنى علشان بيدور على واحدة ملتزمة تكمله ويكملها.. حلمها هو حلمه ..الجنة.. مش مجرد عاوز واحدة محترمة صدته ورخمت عليه فقال بس هى دى..
انت حلمك غير حلمى .. انا عاوزة فرح أسلامى لا فيه رقص ولا اختلاط .. أنا عاوزة راجل من اهدافه أن ولاده يبقى منهم صلاح الدين ومحمد الفاتح .. أنت كل حلمك انك تحب وتتحب وتعيش فى تبات ونبات وتخلف صبيان وبنات .. الموضوع مش موضوع انى مصدقاك ولا لاء ولا بحبك ولا لاء ..الموضوع أكبرمن كده بكتير ..مثلا أنا أتمنى ألبس النقاب اللى مش عارفه ألبسه بسبب رفض أهلى لكن انت هتقولى الدين مش مظهر ..وانت مش عارف ان المظهر هو اللى بيحافظ على الجوهر..زى

الموزة لما تشيل قشرتها بتبوظ وتسود وميتفعش تاكلها .. مظهرها هو اللى بيحافظ عليها .. فهمتنى ؟
فرك كفيه بعصبية واضحة فى حركاته وقال:
- كده وصلتينا لطريق مسدود ، انا عادى خاليكى عاديه زيي
مطت شفتيها بأسف وهى تقول :
- هى دى الحياة اللى بتمناها يا سامح واللى مش هلاقيها معاك .. أنت رفضت منى علشان خرجت معاك كام مرة .. لكن انا برفضك علشان كل حياتى اللى جاية أعيشها صح .. أربى ولادى صح .. أختار زوجى على أساس ثابت مش هيتغير .. مش على أساس الرومانسية اللى بتتغير وتقل بعد الجواز لما الراجل يشبع من الست .. ويمكن الأساس ده هو اللى أخر ارتباطى لحد دلوقتى لأنى لسه ملقتهوش
قال وهو يحاول السيطرة على أنفعالاته:
- متنكريش ان مشاعرك أتحركت ناحيتى ومش هتعرفى تنسينى ومش هتلاقى حد يحبك قدى
قالت بثقة:
- غلطان ، وأنا متاكدة أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه
وأنا رفضتك لله يا سامح ومتأكدة ان ربنا هيعوضنى الأحسن واللى هيحبنى أكتر منك مليون مرة وفى الحلال
قال بوجوم:
مكنتش أعرف ان احلامك كبيرة أوى كده مكنتش اعرف ان دماغك فيها كل ده للمستقبل كنت فاكرك مجرد بنت محترمة وخلاص .. أوعدك أحققلك رغبتك و مبصش لواحدة غيرك ولوحكاية الفرح الاسلامى ده مهمة أوى كده ممكن نعمل فرحين واحد لأهلك وواحد لأهلى وهسيبك تربى ولادك على طريقتك
قالت بابتسامة متفهمة:
- يبقى انت لسه مفهمتنيش ..لازم تبقى رغبتنا أحنا الاتنين مش رغبتى لوحدى .. ولازم دماغ الاب تبقى زى دماغ الأم وطريقتهم تبقى واحدة وإلا عمرنا ما هنتفق أبداً وهيبقى جواز فاشل
ثم أعتدلت فى جلستها وقالت منهية حديثها:
- انا خلصت كلامى ويارب تكون اقتنعت .. وياريت توفى بوعدك وتختفى فعلا من حياتى .. وبالمناسبة منى خلاص أتجوزت فياريت تختفى من حياتها هى كمان .. لو ليها عندك أى حاجة .. رقم .. إيميل.. صورة ياريت تتخلص منها
زم شفتيه بعدم رضا وهو يقول بضيق:
- من غير ما تقولى .. بمجرد ما سبتها عملت كده .. علشان تعرفى انى راجل بجد مش واحد صايع زى ما انتِ فاكرة
ابتسمت لطريقته الطفولية حتى فى حنقه وقالت بود:
- لو مكنتش واثقة أنك راجل بجد مكنتش جيت النهاردة .. أنت كويس يا سامح بس محتاج تغير حياتك ..الراجل اللى قتل ٩٩ نفس وكملهم ١٠٠ بالعابد اللى قتله ، العالم نصحه انه يسيب أرضه اللى هو فيها لانها أرض فسق .. فلو انت حسيت انك مش عارف تتغير فى مكانك غيره.. شوف مكان تانى فيه صحبة صالحة تعينك وتقويك على نفسك
نهضت فجأة دون مقدمات فنهض بدوره وكأنه يحاول منعها وهو ينظر إليها محاولاً استخدام جميع أسلحته الجذابة كأمل أخير وهو يقول بطريقته الخاصة التى يدرك جيداً تأثيرها على الفتيات :
- طيب مينفعش انتِ تبقى الصحبة الصالحة .. هه ؟
ضحكت وهى تستدير لتغادروهى تهز رأسها بتعجب وكأنها قد قرأت أفكاره قائلة :
- يموت الزمار وصوابعه بتلعب

****

عادت حياء منهكة ذهنياً وجسدياً من لقائها مع سامح وكلها أمل وشوق لنوم عميق تستعيد فيه قوتها وطاقتها من جديد لتواجه الضغوط الى لم تنطفأ بعد ببيتها على أثر رفضها للزواج من سامح والمعاملة السيئة التى باتت تلقاها من والدها والكلمات الهامسة من من زوجات أخوتها بأنها تأخرت فى الزواج وأصبحت على مشارف العنوسة ومازالت تتدلل وترفض الخُطاب لأسباب واهية ، بل وبعض الهمسات الشريرة التى تتهمها بشكل غير معلن بتعلق قلبها بأحدهم لذلك ترفض الزواج متعللة بانتظارها للزوج الملتزم ، ولكن املها ذهب أدراج الرياح عندما وجدتنى انتظرها فى منزلها وعلى وجهى تجمعت علامات البؤس الواضحة والضياع ، رغم ذلك لم تغلق باب صبرها بوجهى وأخذتنى إلى غرفتها لتسمع مني وتخفف عنى كما كانت تظن إلا أنها تفاجأت بي أصدمها قائلة:

- فرحى بعد تلات شهور

أتسعت حدقاتها وهى تقول بعدم تصديق:

- أزاى.. مش كنتوا متفقين بعد تخلصي الجامعة؟

قصصت عليها ما دار فى بيتنا بالأمس وأن طارق أخى قد صمم على تقديم موعد زفافى لأسباب غير منطقية ومنها زيارات أدهم لنا وزوجته بالمنزل معنا برغم من أن زوجته لا تخرج أصلا من غرفة أبى رحمه الله والتى أصبحت غرفتها وقت زيارة أدهم الأسبوعية والتى أصبحت شحيحة بناءاً على طلبى له مدعية أن حالتى النفسية تتطلب العزلة وصمتى الدائم فى وجوده أنبأه بذلك فيكتفى بالأتصالات الهاتفية فقط ، ولكن طارق لم يرضى ، إنه متعجل لإخراجى من البيت فينتقل نصيبى من معاش أبى إليه بصفته المتحكم بالبيت الآن ، ولكن الحقيقة أن هذا لم يزعج حياء كثيراً فهى كانت تعلم مدى سوء علاقتى بأخى طارق ولكن الذى أزعجها حقاً عندما قلت لها باستسلام:

- عارفة يا حياء لما رفضت حصل أيه ؟.. أمى قالت قدام طارق أنها موافقانى ومش عاوزة حد يغصب عليا .. لكن لما دخلت علشان أنام لقيتها نايمة فى سريرها بتبكى بصمت ولما سألتها مالك قالتلى خايف أموت واسيبك معاهم لوحدك يتحكموا فيكي وهشام مسافر ومحدش هيعرف يحامى عنك .. ساعتها يا حياء الدنيا أتزلزلت من تحت رجلى وقعدت أفكر طول الليل .. لقيت أمى كلامها صح .. هشام هيسافر وياخد مراته معاه ولو أمى جرالها حاجة هبقى لوحدى معاهم

قالت حياء بانفعال يحمل الحنان بين طياته :

- هو ربنا أداكى علمه .. حدعارف مين هيموت قبل مين.. وبعدين يا ستى حتى لو لقدر الله حصل حاجة محدش هيقدر يضايقك ولا يتحكم فيكى زى ما أنتِ فاكرة.. أنتِ مكتوب كتابك وتقدرى فى أى وقت تتفقى مع جوزك على الدخلة وفى كام يوم تبقى فى بيته.. لكن تستلمى لرغباتهم كده وتروحى تعيشى مع راجل لسه مش مستعدة نفسياً تعيشى معاه .. ده أنتِ كده يا بنتى حياتك تبقى جحيم

تنفست بعمق وقلت بلا مبالاة وقد أصبحت كل الخيارات واحدة :

- أنا كرهت البيت ده وبقيت عاوزة أخرج منه بأى تمن .. وبعدين الكلام ده مش هيفيد دلوقتى .. أنا قولتلهم الصبح أنى موافقة.. وخلاص طارق قام بالواجب وبلغ أدهم وأهله وانتهينا

ربتت حياء على كتفي وهى تقول:

- لا يا منى انا مش معاكى انا مش عارفة أنتِ ضعيفة أوى كده ليه.. هتبدأى حياة جديدة كده ازاى

سقطت دمعة من عيني بدون شعور وأنا أسألها دون اهتمام حقيقي :

- صحيح عملتى أيه مع سامح.. حددتوا معاد الخطوبة ؟

كان ولابد من قطع الشك باليقين فقالت حياء على الفور:

- أنا رفضته يا منى والموضوع أنتهى خلاص

قلت باندهاش:

- مش معقول ..ليه.. لو علشانى لا
مسحت على شعرى قائلة بعطف وهى ترى الألم متجسد بعيناى :
- صحيح يا منى أنتِ جزء من الرفض لكن فى أسباب كتير مش وقتها دلوقتى
وجدت نفسي أقول باستخفاف مر:
- غريبة الدنيا دى .. أنا اتجوزت واحد مبحبوش واللى بحبه راح يتجوز صاحبتى اللى رفضته علشانى
أمسكتنى من مرفقاى وهزتنى بقوة ومرح واه وهى تهتف بابتسامة رسمتها على وجهها بجدارة :
- بطلى أفلام الحرمان اللى أنتِ معيشة نفسك فيها دى .. أفرحى بقى يا عروسة أفرحى ده أنتِ هتعيشى مع راجل بيتمنالك الرضى ترضى .

***

أنغلقت على نفسي أكثر وفقدت التواصل مع من حولى ولم أستجب للتواصل معهم إلا عندما بدأت تجهيزات الزفاف وقبل العرس بأسبوعاً واحد ، كان الجميع فى غاية البهجة والسرور والسيارات تسابق بعضها البعض وهم فى طريقهم لترتيب أثاث منزل الزوجية ولكن فجأة أنتفضت فى مقعدى وطريقاً معتاداً يلوح لي شيئاً فشيئاً وأنا أضع يدى على قلبى أهدء انتفاضاته المتوالية لوقت طويل وأنا أردد بداخلى أننى فى حلم بل فى كابوس مزعج شعرت بى حياء بعد وقت ليس بالقصير وانتبهت نحوى وأنا أعتدل فى مقعدى فى الخلف وأسأل أدهم الذى كان يقود بنا قائلة:
- هى الشقة فى المنطقة دة ؟
أجاب أدهم بحماس مشتعل:
- آه عجبتك؟
فقالت منال معقبة :
- أنا عارفة أيه اللى خالك تاخد شقة بعيد كده
- مبحبش الزحمة يا منال بحب الأماكن الهادية ما انتِ عارفة
مالت حياء نحوى متسائلة بهمس وقد كانت تجلس فى المنتصف بينى وبين منال بعد أن لاحظت توترى :
- مالك يا منى .. فى حاجة؟
أجبتها هامسة بقلب منقبض :
- دى نفس منطقة سماح ونفس المربع تقريبا
أبتلعت حياء ريقها بصعوبة وهى تنظر من النافذة بوجوم ومفكرة فى تلك المفارقة العجيبة .. ياترى ما الحكمة منها ؟! .. ثم ضغطت يدى برفق هامسة فى أذنى:
- ولا يهمك كبرى دماغك .

عندما دخلنا شقة أدهم الجديدة خالفت كل توقعاتى فلم أكن أعلم أنه يمتلك هذا الحس الراقى فى الألوان وتناسقها وتوزيع الأضواء بها وكأنه يعمل فى مجال الديكور منذ نعومة أظافره ، لقد كانت رقيقة للغاية وذات ألوان هادئة ، وبالأخص غرفة النوم التى أعطت أنطباع مشرق حالم كغرف الأميرات وبعد يوم مرهق من العمل فى تنظيف الشقة وترتيب الأثاث عدنا إلى المنزل لتهاتفنى حياء بعد دقائق وتبشرنى بخير سفرها المفاجىء بعد أيام لأداء مناسك العمرة كهدية لها من السماء وفى الوقت المناسب تماما فلقد كانت تحتاجها وبشدة ، سعدت لسعادتها بتلك المنحة الربانية وحمدت الله أنها مازال أمامها وقت كاف لحضور زفافى .

(٢٠)

كنت أرتدى ثوب الزفاف الأبيض وقدماى لا تقوى على حملى ومعدتى تؤلمنى للغاية ووجهى به من الشحوب ما يجعل الناظر إلي يظن أننى مساقة إلى ذبحى لا إلى زفافى ، وبمجرد أن جلست مستسلمة بين يدى المُزينة فى غرفتى بدأت الدموع بالهطول حتى أنها صرخت بى عدة مرات أننى أفسد ما تصنع بوجهى بدموعى ولكننى فشلت فى التحكم فانفجرت فى البكاء .
تركت المُزينة أدوات التجميل من يدها بعصبية وهى تهتف :
- أنا كده مش هعرف اشتغل .. كل شوية تبوظى المكياج
همهمت زوجة أخى طارق بكلمات جريئة عن سبب دموعى وهى تضحك وتضرب كفاً بكف بينما ربتت منال على كتفى مهدئة وأخذت بيدى برفق إلى جانب من الغرفة وهمست لى شارحة بأنه لا داعى للخوف وتابعت بضحكة خافتة:
- كل اللى بتسمعيه ده ومخوفك .. تهويل ستات مش أكتر
كانت كلماتها مقتضبة ولم تساهم فى محو خوفى ولو قليلاً ، وعندها دلفت والدتى للغرفة وشقت بصعوبة ممر بين النساء لتصل لى أنا ومنال فى الغرفة الضيقة وضعت منال يدها على كتف والدتى وقال بخفوت وهى تميل نحو أذنها:
- إيه رأيك يا طنط نخرج الستات دى كلها بره وحضرتك تقعدى مع منى شوية تفهميها أصلها مرعوبة أوى .. ماما عملت معايا كده قبل فرحى بيومين
أشاحت والدتى برأسها بخجل وهى تقول على عجلة من أمرها :
- متعودتش اتكلم فى الحاجات دى يا بنتى .. يبقى جوزها يفهمها بقى .. المهم دلوقتى استعجلوا شوية فرقة البنات اللى أدهم باعتها وصلت برة
أنهت الجزء الأخير من عباراتها بصوت مرتفع موجهة حديثها للمُزينة التى جذبتنى إلى المقعد مجدداً وبدأت تعمل فوق وجهى مسرعة بخفة وإتقان وأنا مغمضة عيناي ومتحملة ألم معدتى وارتعاش أوصالى حتى انتهينا، دخلت حياء إلينا فرحة سعيدة تُتمم على زينتى لتأخذنى للخارج وهناك جلست أشاهد تلك الفقرات الغريبة التى كانت تؤديها الفتيات أمامى مستخدمة الأطواق المزينة بالتُل والورق الملون والدفوف ، فى البداية كنت متعجبة مما يحدث ومن الأناشيد التى كن يرددنها ولكن بعد فترة ليست بالقليلة بدأت أتفاعل معهن عندما جذبتنى أحداهن فى المنتصف لتدور وترقص بي مما جعلنى أضحك فى البداية ورويداً رويداً بدأت أعتاد رقصاتهن الخاصة وأتمايل معهن بابتسامة وعندما تعبت عدت جالسة مجدداً وقد كانت والدتى تجلس بجوارى وتصفق بحماس لـ حياء التى كانت مستمتعة للغاية بفرقة الأخوات تلك كما أسمتها وعندما استدارت ووجدت والدتى تبكى بفرحة جاءت لتجلس بجوارنا وهى تربت على ذراعها بعطف قائلة وهى تلتقط أنفاسها :
- مالك يا طنط بتعيطى ليه.. متعيطيش علشان خاطرى
- من فرحتى يا بنتى .. ده انا كنت بحلم باليوم ده .. وبدعى ربنا انى ما اموتش غير لما اشوف منى عروسة بفستان الفرح
ثم تابعت وهى تنظر إلى حياء قائلة بحنان:

- عقبالك يابنتى .. أمك عاوزة تفرح بيكى هى كمان .. شدى حيلك بقى
عقدت حياء ذراعيها فوق صدرها وهى تقول ممازحة بحزن مصطنع
- والله يا طنط شداه على الآخر بس مش لاقية حد يشد من الناحية التانية
- خاليكى كده هزرى كل ما تيجى سيرة الجواز وما انتيش حاسة بامك
هتفت حياء بدهشة :
- أعمل أيه طيب.. وانا ذنبى أيه؟
قالت والدتى تعاتبها:
- أمك قالتلى انك بترفضى العرسان .. ولسه رافضة واحد ميترفضش
تغير وجهى قليلاً ولكنى ابتسمت ثانية عندما سمعتها تقول بدهشة مصطنعة:
- أمتى ده.. أنا مش فاكرة ان فى حد أتقدملى من أيام الملك "قوم وأقعد"
ضربتها والدتى على ذراعها بغيظ قائلة:
- هو انا هخلص منك .. أنا عارفه انك مش هتدينى عقاد نافع
فركت حياء ذراعها وهى تتأوه بألم مصطنع وهى تقول:
- كل ده علشان قولتلك متعيطيش .. طب انا غلطانة عيطى!

***

أنتهى الزفاف بين مؤيد ومعارض للفرح الأسلامى كما يسمونه عندما سمعنا أبواق السيارات التى لم تتوقف لحظة واحدة منذ توقفها أسفل منزلنا ، جمعت شعرى بمساعدة الفتيات وارتديت الوشاح الأبيض فوقه وغادرت بمصاحبة بعض من عائلتى إلى بيت الزوجية .
وعندما وصلنا إلى هناك وغادرت أسرتى ، بقيت معه وحيدة بقلب وجل وأنفاس مكتومة ، وقف ينظر لي بابتسامة ثم تقدم نحوى ولثم جبيني قائلاً:
- مبروك يا حبيبتى
شكرته بابتسامة مضطربة ودخلت غرفتى لأبدل ملابسي بمنامة قطنية مُريحة كالتى أرتديها فى بيت عائلتى وعندما انتهيت توجهت إلى أحد الغرف التى كان ينتظرنى فيها لنأكل سوياً كما طلب مني قبل دخول غرفتى منذ قليل ، بمجرد أن رآني أرتفع حاجباه تلقائياً قائلاً بدهشة :
- أيه ده.. بيجامة؟!
- وحشة ؟
أجاب باضطراب وهو يبحث عن كلمات مناسبة:
- لا حلوة طبعا.. بس يعنى فى حاجات أحلى
بدأت بتناول طعامى متظاهرة بعدم الفهم قائلة ببساطة:
- لا أصل مبعرفش انام غير كدة
تخطى أدهم دهشته وبدأ يرفع بعض اللقيمات لأطعامى فى فمى بتصميم ولم يرضخ لرفضي الخجل أبداً فتناولتها باستسلام متحاشية النظر إليه مباشرة
لاحظ أدهم التوتر الذى أشعر به والذى يظهر جليا على وجهى وحركات جسدى متحاشية التقاء أعيننا حتى أنتيهنا من الطعام ، فقال بهدوء:
- أكيد تعبانة وعاوزة تنامى
فانتفضت قليلاً وتشبثت يداى بالطاولة متمتمة:

- لاء أنا هقعد هنا شوية.. نام انت
فابتسم بتفهم ونهض واقفاً ، ظننته سيذهب لينام وحده كما قلت له ولكنه تناول كفي وجذبنى برفق لأنهض وهو يقول :
- تعالى عاوزة اتكلم معاكى شوية
سحبنى خلفه بهدوء كالطفلة التى تذهب للمدرسة فى أول أيامها بصحبة والدها وأخذنى إلى حجرة استقبال الضيوف وجلس بالقرب مني وجعل ينظرلى لثوان يدرس ملامحى وأنا قلبى يدق من شدة الخوف والرهبة ثم وضع كفه بحنان على وجنتى وقال:
- أنا عارف أنك خايفة وقلقانة .. وبصراحة معاكى حق .. وكمان عارف انك لسه مش متعودة عليا وبتسألى نفسك مليون سؤال .. وانا الحقيقة كان عندى أمل تكونى عندك أستعداد تتقبلينى أكتر من كده النهاردة .
ثم نظر إلى منامنتى القطنية مبتسماً وقال مداعباً:
- لكن البيجامة دى قطعت الأمل ده خالص
بدأ قلبى يهدأ قليلاً ودقاته تتحسن شيئاً فشيئاً واللون يعود لوجهى بالتدريج عندما ترك وجنتى وتناول كفى مرة أخرى وهو يقول :
- أنا قولتلك قبل كدة .. أنا مش صغير ولا مراهق .. أنا عارف كويس ان تحديد معاد الدخلة مكنش على هواكى بعد ما كنتى مرتبة نفسك بعد سنتين .. تعرفى .. أنا كمان أتفاجأت بالمعاد وكنت هرفض رغم أن الشقة جاهزة زى ما شوفتى.. لكن أنا كنت عاوز السنتين دول علشان تعرفينى كويس وتتعودى عليا .. بس قولت خلاص على بركة الله ماهى ممكن تتعود عليا برضة وهى فى بيتى

تنفست بعمق وقلت بخفوت:
- اللى اعرفه ان الناس بتتعود على بعض الأول وبعدين تتجوز مش العكس
قال بحسم منهياً للحديث:
- أعتبرى نفسك لسه مكتوب كتابك
قلت غير مصدقة :
- يعنى أيه؟
نهض واقفاً وهو يقول:
- يعنى بصراحة كده مش هقدر ألمسك وأنتِ مبتحبنيش ومرعوبة مني .. أنا مش حيوان .. أسترخي بقى كدة وخدى راحتك فى بيتك..ماشى
نظرت إليه ببلاهة محاولة استيعاب انسانيته فجذبنى ثانية وهو يقول ببساطة أفزعتنى وأخرجتنى من أحلامى :
- يالا بقى ندخل أوضة النوم ؟
وقفت بفزع هاتفة بصوت مبحوح :
- ليه؟!
ضحك بمشاغبة ففهمت بأنه كان يتعمد إخافتى ثم قال :
- متخافيش كده ... أصل أنا كان من أحلامى أنى أصلى بزوجتى ركعتين فى أوضة نومنا ليلة البناء .. وانا بقى مستعد أتنازل عن كل حاجة إلا الركعتين دول .. يالا أدخلى أتوضى وحصلينى
ثم تركنى وهو يتجه نحو غرفة النوم ويتابع بمزاح ضاحك:
- ده أنا هاهريكى قيام ليل !

صلى بى ركعتين وخفف وكان صوته ندياً للغاية فى تلاوة القرآن ، بعد الصلاة جلس يدعو وطلب مني

أن أؤمن على دعاءه ففعلت وأنا أشعر بسمو روحى وطمأنينة وراحة لم أشعربهم من قبل ، وخصيصاً عندما خشع صوته داعياً:
- " اللهم احفظ لى زوجتى وبارك لى فيها وإن كتبت علينا الفراق يوما فاقبضنى إليك قبل هذا اليوم"
وألتفت نحوى بجسده كله واضعاً كفه اليمنى على جبينى داعياً:
(اللهم إني أسألك من خيرها ومن خير ما جُبلت عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جُبلت عليه)
وفجأة ضحك ضحكات عالية أدهشتنى وهو يقول :
- عارفة يا منى .. مرة واحد صاحبى نسى الدعاء ده وبعد ما حط أيده على جبين زوجته بقى مش عارف يقول أيه.. فقال " سبحان الذى سخر لنا هذا "
أختلطت ضحكاتى بضحكاته رغماً عني لثوان حتى هدأنا فأمسك يدى بحنان وقبلها وقال :
- تصبحى على خير
خرج من الغرفة ومعه غطاء خفيف واستلقى على أريكة مُريحة فأغلقت الباب جيداً وغرقت فى فراشى ذاهبة إلى سبات عميق ، لأستيقظ فى الصباح على طرقاته على باب الغرفة يتعجلنى للنهى إفطارنا قبل حضور المهنئين من أسرتينا ، سبقنى وأعد هو الإفطار بنفسه ، جلست بحرج شديد أستشعره وتناولت طعامى بخجل وصمت فتركنى حتى انتهيت بدأت فى رفع الأطباق فاستوقفنى قائلاً :
- لو سمحتى يا منى بعد كده متبقيش تقفلى الباب عليكى بالمفتاح وانتِ نايمة
- ليه؟
- علشان بعد ما رجعت من صلاة الفجر فضلت اخبط عليكى وطبعا كنتى نايمة ومحستيش بيا
أستدرت لأذهب إلى المطبخ وأنا أقول بتلقائية لم أنتبه لها :
- لو مقفلتش بالمفتاح مش هبقى مطمنة
قبض على مرفقى وجذبنى نحوه بغضب فكادت الأطباق أن تسقط من بين يداي وقد احتقن وجهه بشدة وهو يقول:
- أنتِ لازم تطمنى علشان انا وعدتك.. لكن لازم تعرفى كويس انى لو عايزك .. الباب والمفتاح بتوعك دول مش هيقفوا قدامى.
تجمدت مكانى فأفلتنى ونهض غاضباً متوجهاً نحو النافذة ، أعتدلت فى وقفتى حانقة على كلماتى المندفعة وذهبت خلفه بحرج بالغ لأعتذر منه:
- أنا آسفة مكنش قصدى
أومأ برأسه دون أن يلتفت قائلاً بجفاء:
- أدخلى البسى الناس على وصول .. ولا عاوزاهم يلاقوكى بالبيجامة
أبتلعت غصتى واستدرت منصرفة فسمعته يقول بنفس النبرة:
- لو والدتك أو والدتى أو أى حد سألك على ليلة امبارح .. تردى عادى جدا .. مش عاوزهم يحسوا بحاجة .. خصوصياتنا لينا لوحدنا
تورد وجهى محتقناً وقلت بحرج هامس :
- أقولهم أية؟
أجاب بنفاذ صبر:
- كل البنات لما بيتسألوا فى الحكاية دى بتتكسف ومش بترد ..أعملى كده وخلاص
آلمني جفاؤه المفاجىء فأسرعت إلى غرفتى بخطوات تشبه الركد وبدلت ملابسي بانفعال وقد أوشكت على البكاء ، وضعت بعض المساحيق على وجهى لأظهر بمظهر العروس وأعددت البيت لزيارتهم ، كانت زيارة قصيرة مليئة بالكلمات المستترة بين السطور تغطيها الضحكات والبهجة وعندما انفردت بى والدتى فعلت كما أمرنى وصمت بخجل ، بينما هو ينادينى أمامهم بحبيبتى ويجذبنى تحت ذراعه بمرح ويلثم وجنتى بخفة وبتحدث عني بحب كبير واهتمام أكبر مما جعل والدتى تنصرف وهى مطمئنة

منشرحة الصدر وقد زال عنها هموم دنياها برؤيتى سعيدة وفى بيت زوجى كما كانت تحلم وتتمنى وتدعو دومًا.
وفى نهاية اليوم عادت إليه ضحكاته وشغبه مرة أخرى مما أعاد لأرجاء البيت المرح الذى افتقده صباحاً وجلس بجوارى قائلا بحماسه المعتاد:
- أنا قررت أرجع شغلى بعد بكرة إن شاء الله ..علشان تبقى على راحتك فى البيت .. وخالى بالك انتِ كمان هترجعى الجامعة وهتبدأى محاضرات ومذاكرة من الأول كده.. ولا عاوزة تسقطى ويقولوا انا السبب !
ابتسمت متسائلة بدهشة:
- طب والناس فى الشغل هيقولوا ايه؟
بادلنى ابتسامتى وقال بثقة:
- محدش يقدر يكلمنى فى الحاجات الشخصية دى.. شكلك لسه متعرفيش جوزك كويس
لمعت عينيه بشغف عندما وجدنى أبتسم بإعجاب وعندما مال نحوى أيقنت بأنه سيقول جملة عاطفية لكنه همس قائلاً:
- هو بالنسبة للعشا أنا برضه اللى هحضره ؟!

(٢١)

هل تنتقل عدوى الحماس من شخص للآخر ! ، هذا ما حدث لي بالضبط ، لقد أصابنى حماسه أصابة بالغة وعكفت على دراستى منذ يومى لأول لانتظامى فى الجامعة وأكثر ما أسعدنى أننى لم أقابل سماح ولو مرة واحدة وقد أخبرتنى زميلة لنا أنها قدمت طلب تأجيل للعام القادم مما زاد فى شعورى بالراحة والثقة .
وفى أحد الأيام وأنا أعد طعام الغذاء هاتفنى أدهم ليخبرنى آسفاً بتأخره هذا اليوم فى العمل بسبب أمر طارىء وهو مضطر للبقاء ساعات إضافية ، أومأت متمتمة وقد هاجمنى فتور مفاجىء وظللت أسرف وقتى فى التنقل بين قنوات التلفاز حتى جن الليل وأظلمت السماء فشعرت ببعض التوتر وأنا أسمع صوت نباح الكلاب يخترق النافذة وفجأة أنقطعت الكهرباء ! ، تسللت على ضوء شاشة هاتفى إلى النافذة أنظر من خلف زجاجها وأنا أحاول مجاهدة نفسي ألا أهاتفه حتى لا يتهمنى بالجُبن
وعندما سمعت صوت الباب يُفتح تجمدتُ مكانى رعباً حتى تسلل إلى أذنى صوته الدافىء ينادينى وعندها تأكدت بأنى كنت أحبس أنفاسي وشعرت بألم شديد بحلقى وهاجمنى الدوار، تقدم نحوى على ضوء شاشة هاتفه وعندما اقترب لاحظ تصلبى وتشبثى بمقبض النافذة ، طوقنى بحنان وهو يقول معتذراً:

- أنا آسف يا حبيبتى معملتش حسابى خالص ان الكهرباء ممكن تقطع .. مفيش شمع فى البيت ولا كشاف سامحيني
ألتصقت به مرتجفة وعندما أمسك بيدى وجدها باردة بطريقة أثارت قلقه بشدة فزاد من تطويقه لي قائلاً:
- مكنتش اعرف انك بتخافى كده ..طب اهدى شوية .. أذكرى الله .. قولى حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
تمتمت مكررة خلفة بنبرة مرتعشة ومتشبثة به فأخذنى إلى الأريكة وجلس بجوارى وظل يتلو آيات من القرآن بخفوت فاستندت برأسي إلى صدره وسقطت فى نوم عميق

فى صباح اليوم التالى أيقظنى وهو جالس على طرف الفراش وقال مبتسما:
- صباح الخير
- صباح النور ..هو أيه اللى حصل امبارح؟

بدأ أدهم في فعل حركاته المضحكة وهو يقول :
- ولا حاجة الكهرباء جات ولقيتك نمتى.. شلتك على السرير .. وقعدت ابصلك زى الأسد اللى بيبص على الغزالة.. ها يا واد يا أدهم تاكلها منين.. تاكلها منين من هنا ولا من هنا.. وفى الآخر لقيت زازو بيقولى عيب يا أدهم بلاش تبقى اسكار خاليك طيب زى سمبا
كان يدغدغنى وكنت أضحك بقوة رغماً عني وفى النهاية عندما اكتفى ، انقلب مزاحه إلى حماس وهو ينهض هاتفاً:
- يالا قومى بسرعة عاوزين ننزل نشترى طلبات رمضان اللى مالهاش لازمة دى.. ونجيب هدية حلوة كده علشان ماما عزمانا عندها على الفطار أول يوم

***

كان منزل عائلة أدهم مزدحماً للغاية فلقد كان إفطارًا جماعيًا يضم عائلته وعائلتى و بعد تناول الإفطار ذهب الرجال للصلاة بقيادة أدهم ، وبقينا نحن نرفع الأطباق وننظف ما بقى من آثار أطفال أخى طارق ، لم نشعر بالتعب وسط الضحكات والنكات ولم يعكر صفونا إلا زوجة طارق ببعض الكلمات التى نالت مرة مني ومرة من منال بحديث للاذع عن تأخر حملها ، وقبل أن نعود إلى بيتنا دعا أدهم الجميع للأفطارعندنا يوم الجمعة ولذلك لم يستطع أحد أن يعتذر، وحضرت العائلتين باكرًا قبل صلاة الجمعة مباشرة وساعدتنى النساء فى إعداد الطعام بينما جلس الرجال بصحبة أدهم.
وبعد صلاة العشاء والتراويح فى المسجد غادروا جميعاً عدا والدته ووالدتى بقيا رغما عنهما تحت ألحاح أدهم الشديد .
وقفتُ فى الشرفة وأنا فى حيرة من أمرى .. كيف سأنام فى غرفة واحدة معه، وبالرغم من تأكدى من عدم تحدثى بصوت مسموع إلا أنه فاجئنى من خلفى هامساً:
- متحمليش هم
أستدرت إليه بدهشة فتابع :
- متقلقيش .. أنا هستناهم لما يدخلوا يناموا وهخرج انام برة
- ولو حد خرج وشافك ؟
قطب جبينه وأطلت نظرة ماكرة من عينيه قائلاً :

- عندك حل تانى؟
صمت بتفكير فتابع بنفس الطريقة:
- أنام جنبك على السرير يعنى؟ .. ولا أقولك أنام على الأرض زى بعضه
شعرت بحرج بالغ وقلت بحيرة كبيرة:
- لا على الأرض ازاى يعنى ميصحش
كاد أن يهتف إلا أننى وضعت يدى على فمه فقال مبتسماً بخفوت وقد نجح بأرباكى:
- أعمل أيه طيب ما انتِ خايفة مني .. أنتِ افتكرتينى إسكار بجد وهفترسك ولا ايه؟
- بص انا مش خايفة منك ولا حاجة .. طيب ممكن نحط بينا مخده مثلا ايه رايك؟
قال بمزاح ساخراً:
- طب أيه رأيك نبنى حدود ومحدش يعدى إلا بالتأشيرة؟ !
ثم خبط جبينه بكفه قائلاً :
- يوه نسيت أجدد الباسبور بتاعى
حدقت به بسخط وذهبت إلى غرفى بخطوات منفعلة ولحق بى على الفور وعندما دخلت الفراش بدأت فى وضع وسادة بيننا بهمة عالية ، ابتسم قائلاً:
- هى دى بقى الوسادة الخالية؟!
لم أجبه واستدرت لأنام فى توتر بالغ فلاحظته يجمع كفيه فوق فمه ويبدأ فى قراءة أذكار النوم ثم يمسح بها على جسده ثم نظر لى وقال :
- هتقولى أذكار النوم ولا أكمل مسح عليكى هاا...
قلت على الفور:
- لاء هقولها أهو
ولى ظهره لينام وهو يقول مصطنعاً الأسف :
- ياخسارة ..طب والله ما هتعرفى تمسحى زيى لعلمك
فقلت حانقة:
- أظبط تليفونك على معاد السحور بدل ما تروح علينا نومة
فضحك قائلا:
- أنا عارف انك مش هتعرفى تنامى أصلا يا حبيبتى

بالفعل لم أستطع النوم فهى المرة الأولى التى يجمعنى به فراش واحد ، و قمت فى وقت السحر وأيقظت الجميع لطعام السحور ودخلت لأوقظ أدهم وعندما استيقظ قام بحركة مفاجأة وتراجع للخلف واضعا الوسادة أمام صدره وهو يقول :
- أنا ايه اللى جابنى هنا أنتِ عملتى فيا ايه يا متوحشة
كتمت ضحكاتى بصعوبة وهو ينظر لي متأملاً ضحكاتى التى ينجح دومًا فى انتزاعها مني رغمًا عنى ثم نهض من الفراش قائلاً بجدية أدهشتنى:
- أنا هصلى الفجر فى المسجد وهقعد للضحى يعنى نامى براحتك بعد ما تصلى.. أنا مش هنام تانى النهاردة.

أنتهى شهر رمضان ونحن مازلنا على تلك الوتيرة .. يعود من عمله قرب آذان المغرب وبعد الإفطار يذهب للمسجد مباشرة ولا يأتى إلا قرب منتصف الليل وأنا أغط فى نومى ولا أراه إلا ساعة واحدة نتناول فيها السحور سوياً ويعود للمسجد مرة أخرى لصلاة الفجر.
فى هذا الشهر كنت قد تعودت على وجود أدهم فى حياتى وقد أصبح جزء أصيل من يومياتى، ودون أن يوجهنى وجدتنى أحافظ على صلاتى تلقائياً وكأن كل شىء يفعله ينتقل إلي عبر موجات غير مرئية

، أهي الصحبة الصالحة كما يقال ؟!.. لا أعلم .
وفى آخر ليلة فى هذا الشهر الكريم كنت أقوم بتبديل فرش السرير وأرتب الوسائد ببهجة وبفرحة قدوم العيد وإذا بصوته يأتينى من الخلف بدندنة خافتة مداعبة:
- ياليلة العيد أنستينا وجددتى الأمل فينا.. يا ليلة العييد
أسلوبه الساخر فى الغناء جعلنى أضحك وأنا ألتفت إليه فوجدته يظهر باقة من الزهور كان يخفيها خلف ظهره وقدمها لى قائلا :
- كل سنة وانتِ طيبة .. حاولت أدور على زهرة أحلى منك ملقتش فقولت خلاص بقى اجيب أى حاجة وأمرى لله.
أنشغلت بباقة الزهور أتأملها ثم أشمها بعمق فسمعته يقول هامساً :
- يا بخت الورد
وعندما رفعت عيناي إليه أشاح بوجهه عنى وكأنه يخفى نظرة ما أطلت من عينيه دون أرادته وتنحنح وهو يخرج من الغرفة بخطوات مترددة.
وبرغم حضوره القوى إلا أننى ترددت فى ذهنى كلمة سامح وهو يقول" يا بخته"، لكننى نفضتها سريعا من رأسى ، ماهذا الضيق الذى أشعر به ! ، لماذا لا أمحوه من ذاكرتى للأبد ؟، ولأول مرة أشعر ببعض الندم الحقيقى بدخولى علاقة ما قبل الزواج، فلو كان زوجى هو أول رجل بحياتى لاستمتعت بكلماته أكثر ولكانت هى الأجمل والأحلى، أما الآن فلقد أصبحت كالتى عاشت فى منزل أحبته ثم ذهبت لتعيش فى آخر أكثر جمالاً لكنها لا تستطيع أن تنسى منزلها القديم بكل تفاصيله.

(٢٢)

كانت سعادتى بالغة عندما فاجأنا هشام برحلة جماعية بصحبتهما هو ومنال زوجته إلى مرسى مطروح التى وقعت فى غرامها من النظرة الأولى وانتظرت بشغف وحماس اللحظة التى سأرى فيها شاطىء الغرام ، ولم يعكر صفوي سوى لحظة دخولنا غرفتنا عندما رأيت سريراً واحداً وأريكة صغيرة نوعاً ما فى زاوية الغرفة ، ولم أستطع وقتها تحديد أيهما كان سبب توتري! .
ظهر القلق والحيرة على وجهى بقوة وأنا أرتب ملابسنا فى الخزانة بشرود ، أستفقتُ عندما أمسك ذقنى ليدير وجهى نحوه قائلاً ببعض الهدوء الظاهرى:
- أنا مش عايزك تقلقى أوى كدة .. هنا فى كنبة غير السرير ممكن انام عليها..
وجدتنى أنظر إليه لحظات وقد هجرتنى حروفى ، صمتى أربكه قليلاً فترك وجهى واستدار يرتب ملابسه مجدداً فقلت وأنا أنظر إلى ظهره بوجه خالى من التعبير متسائلة:
- عندنا فى البيت أوضة تانية وسرير تانى ليه مصمم تنام على الكنبة؟
فسمعته يجيب برقة خشنة:
- لأنى حالف انى منمش غير على السرير بتاعنا وانتِ جنبى
ساد الصمت بيننا للحظات حتى التفت نحوى وقد رسم ابتسامة على شفتيه قائلا:

- أنسى كل الحاجات اللى ممكن تضايقك .. أحنا جايين هنا نغير جو ونتفسح.. يالا غيرى هدومك انا هنزل اسأل على شوية حاجات فى الريسيبشن
وخرج وتركنى فى الغرفة وحدى وعيناي لازالت تتابعه وبداخلى أتسائل عن نوع التُربة الصلبة التى خلق منها هذا الرجل .

خرج هشام ومنال دون علمنا يريدون دخول السينما فهم يعلمون أن أدهم لا يحبها بينما ذهبت معه إلى شاطىء الغرام الذى تمنيت رؤيته كثيراً ، وهناك تقمص أدهم دور المرشد السياحى وهو يهتف شارحًا بمزاح:
- شوفى بقى يا ستى.. دى صخرة ليلى مراد .. بس مع المد والجزر فى السنين اللى فاتت بقت فى المية شوية .. وعلى الحتة دى بالظبط كانت قاعدة خالتك ليلى مراد والناحية دى بالظبط كان قاعد عمك حسين صدقى وكانت ليلى مراد بتغنى "أكرهه واحبه أهىء أهىء "
ضحكت ثم قلت مصححة لمعلوماته الضحلة :
- يا سلام .. لا الأغنية دى مكنتش فى الفيلم ، دى كانت بتقول "أحب أتنين سوا المية والهوا"
ضحك وهويساعدنى على الجلوس قرب الصخرة وجلس بجانبى وأخذ يتأمل البحر بصمت للحظات قبل أن يسألنى :
- منى .. هو انا بقيت أيه عندك؟
بباغتتنى سؤاله فقلت بتلعثم:
- انت جوزى؟
نظر نحوى وهو يرفع نظارته الشمسية قائلاً :
- بس؟!
تلعثمت أكثر قائلة:
- مش دى أكتر علاقة تربط بين أتنين
أعاد نظارته فوق عينيه وعاد ينظر إلى البحر قائلاً بشرود:
- تعرفى؟ .. مش انا أهو قاعد جنبك وماسك أيدك لكن بحس أنك زى الجزيرة البعيدة وأنا بعوم فى البحر وبصارع الأمواج علشان أوصل لقلبك
شعرت بالخجل من نفسى ولم أجبه فتنفس بعمق ثم نهض قائلاً:
- تعالى نتمشى على الشط شوية
كنت أشعر بارتباك لا أفهمه وأنا أسير بجواره على رمال الشاطىء عاقدة ذراعى فوق صدرى متلهية بالنظر إلى بعض الأطفال يتسابقون عن يمينى ويضحكون بمرح حتى هاتفنا هشام وتقابلنا معهما وذهبنا للغذاء ثم للتسوق فى شارع تجارى معروف هناك وهو شار أسكندرية ، جلب لي أدهم منه سلسال رقيق يمثل شكل قلب بداخل كف مفتوح ، ثم ذهبنا إلى الصلاة فى مسجد العوام وعدنا للتنزة على الكورنيش وعدنا إلى الفندق وقد نفذت كل قوانا ، ومن شدة الإرهاق لم أشعر بشىء حولى بمجرد أن لامس جسدى للفراش ونمت بعمق
أستيقظت فزعة فى صباح اليوم التالى على صوت طرقات سريعة على باب غرفتنا ، وبدون تفكير كعادتى قمت من مكانى مسرعة وفتحت الباب دون ان ألتفت الى أدهم الذى ينام على الأريكة الصغيرة بصعوبة كبيرة لفارق الطول بينهما ، دخلت منال مندفعة بابتسامة وهى تقول بمرح:
- انتوا لسه نايمين يا كسلانين ..
قطعت كلماتها وهى تنظرإلى أدهم فى دهشة وهو نائم وقالت:
- أيه ده.. هو ادهم نايم على الكنبة ليه؟
تلعثمت ولم تسعفنى سرعة البديهة بمبررمقنع فتابعت بقلق:

- أنتوا أتخانقتوا ولا ايه؟
جاءنا صوت أدهم النائم وهو يقوم عن الأريكة قائلاً بعبوس:
- أنتِ ايه اللى جابك بدرى كده يا منال؟
تنحنحت بحرج وهى تقول:
- هشام مستنينا تحت علشان نروح حمامات كليوبترا
فأومأ موافقاً وقال وهو ينهض:
- ماشى .. يالا انزلى واحنا جايين وراكى

***

ذهبنا إلى حمامات كليوبترا أو صخرة كليوبترا كما يقولون ، ابتسمت بدهشة وأنا أشاهد هذا الجمال النادر من المناظر الطبيعية التى لم أحظى بمشاهدتها من قبل ، والمياة تندفع بين الصخور بينما الهواء دافىء وممتع بعيد كل البعد عن الرطوبة وهناك حمام منهم تندفع إليه المياة من كل اتجاه ، أخذنى الأنبهار لما أرى لدرجة جعلتنى لم أنتبه لصخرة زلقة وكدت أن أسقط لولا تدخل أدهم الذى احتضننى فى اللحظة الأخيرة قبل السقوط ، تسمرت مكانى ولم أتستطع الحركة وهو ينظر لى نظرات مليئه بالشوق واللهفة ، حاولت أن أبتعد بعد ان استيقظت من تجمد اللحظة فتركنى وأمسك يدى وهو يقول:
- خاليكى ماسكة أيدى لحد ما نعدى الصخور دى لحسن تقعى تانى
أنتهينا من حمامات كليوبترا ليقترح هشام أن نذهب إلى شاطىء عجيبة الذى كنت أسمع عن تداخل ألوان مياهه من قبل ، ولقد أزهلتنى روعة مياهه الصافية بالفعل.

وفجأة ظهر لنا مجموعة فتيات أجنبيات يرتدين القليل من الملابس يتسابقن فى اتجاهنا ، فنظرت إلى أدهم بحركة فاجأتنى وأدهشتنى من نفسي ولم أفهم سبب التفاتتى العصبية تلك فوجدته يغض بصره مركزاً أياه على مياة البحر فقط .
المفاجئة أركبتنا وصدمتنا عندما تعدمت فتاتان منهن الأصطدام به هو بالذات ، لا أعلم لماذا اختاراه ربما بسبب لحيته فكأنهما يخترىنه بطريقتهما الوقحة ، أختل توازنه لقوة الصدمة فهو لم يكن ينظر إليهن من الأساس لذلك سقط على الرمال وسقطتا فوقه بتعمد، أضطر أن يدفعهما بقوة وغضب وهو ينهض ثم أخذ بيدى وذهب بى سريعًا يجرنى خلفه وهو يستغفر بشكل متكرر وسريع ويهتف بحنق لاعنًا وقاحتهن .
لحقنا بهشام الذى كان يتقدمنا بكثير هو ومنال ورغم ذلك استطاعا أن يرا ما يحدث من بعيد وصحبناهما لنتناول الغذاء فى أحد المطاعم ولكن أدهم كان متوترًا بعض الشىء ولم يكن كعادته فى ألقاء النكات والقفشات ، أنهينا نزهتنا وعدنا إلى الفندق ودخل هو للأغتسال وخرج وقد أحضر لنا النادل العشاء فى الغرفة ، ظل يأكل وهو صامت تمامًا وقد أصبح وجهه كقطعة جليد ، ينظر لي ثم يشيح بوجهه عني عدة مرات ثم أنتفض فجأة ودخل الشرفة واستلقى على أرضها يمارس تمارين الضغط بسرعة وعنف وأنا أنظر إليه من مكانى وأتعجب تصرفاته الغريبة .. ماذا حل به ؟!.
حتى خارت قواه فنام كما هو مستلقيًا على بطنه فوق أرض الشرفة والعرق يتصبب منه وقد أخذته غفوة، قلقتُ عليه بشدة وقمت لأوقظه لينام فى الداخل ولكن طرقات الباب جعلتنى أتركه ، كنت أظنه العامل ولكنها كانت منال مجدداً ! ،
أندفعت منال كعادتها للداخل قائلة:
- أعملى حسابك يا منى هشام حجز خلاص ناموا بدرى علشان نعرف نمشى بدرى فى ميعادنا .. فين أدهم نزل ولا ايه؟

- لاء ده فى البلكونة
دخلت منال وهى تنادى عليه ورأته وهو مدداً فى وضعه السابق فتراجعت خطوات للخلف والتفتت نحوى وجذبتنى نحو الفراش قائلة بغضب مكتوم:
- أنا عاوزة أفهم بقى انتِ فى ايه بينك وبين اخويا بالظبط ..مرة أدخل ألاقيه نايم على الكنبة ومرة تانية على أرض البلكونة.. فهمينى فى أيه؟!
حاولت أن أتهرب من أسالتها التى لاتنتهى وهى تقبض على ذراعى بعنف وتكتم غضبها بكلمات قاسية ولم تصدقنى عندما أخبرتها عن سبب نومه هكذا وصاحت:
- والله؟ فجأة كده طلعت فى دماغه يقوم يلعب ضغط فى البلكونة مش كده! ، وامبارح طلعت فى دماغه ينام على الكنبة برضة صح؟!
وجدت نفسى أتصبب عرقا وأتلعثم فزادت نبرتها حدة وهى تقول:
- لاء بقى انا لازم اعرف فى ايه؟
لم أجد مفرًا من قول الحقيقة ، قلت لها كل شىء عن طبيعة علاقتى بأدهم فاتسعت عيناها بذهول وهى تًتمتم:
- معقول يا أدهم ..معقول تعمل فى نفسك كده ..طب ليه
ثم نظرت لى بحدة وقالت:
- وانتِ ازاى تعملى كده فيه، بقى علشان اخويا طيب وحنين تقومى تفترى عليه كده وتحرميه حقه...انتِ أيه يا شيخة
وكأنها تذكرت أمر ما فقالت وهى تضرب كفاً بكف متابعة بحدة:
- علشان كده كان متغير بعد البنات ما خبطت فيه !
وعندما لاحظت غبائى وجهلى بالربط بين حادثة الشاطىء وما تغيره أجلستنى بقوة على الفراش وكأنها تدفعنى وجلست بجوارى قائلة من بين أسنانها بغيظ :
- أنا هافهمك يا هانم
إحساسى بالذنب لم يكن بحاجة لكلماتها الحادة فلم أتمالك دموعى وبكيت بشدة واحتقن وجهى وهى تتحدث عن أشياء بطبيعة الرجال أجهلها تماما .
أستيقظ أدهم على صوت منال الحاد وبكائي وخرج من الشرفة ينظر إلينا بتساؤل مقترباً نحوى وهو ينظر إلى وجهى ودموعى المنسابة فوق صفحته:
- فى أيه يا منى بتعيطى ليه؟
علا نشيجى وتحاشيت النظر إلى وجهه وهى تهتف بضيق:
- كمان بتسألها بتعيط ليه!.. مش كفاية اللى عاملاه فيك.. أنا لازم اقول لاخوها علشان يشوفله حل معاها
وهمت لتخرج من الغرفة فلحقها أدهم وأمسكها من ذراعها بقوة وهو يقول :
- فى أيه يا منال فهمينى .. تقولى لاخوها على ايه؟
- مش عارف فى ايه ؟.. بقى معذباك وحرماك حقوقك وانت ساكت .
أطلت من عينيه نظرة وعيد حقيقية وهو يشير لها بسبابته محذراً ويضغط مرفقها بيده الأخرى :
- أياكى تدخلى فى علاقتنا تانى.. أنتِ فاهمة ولا لاء؟ ..عارفة يا منال لو حد عرف الموضوع ده.. لا انتِ أختى ولا اعرفك بقية حياتى
حررت مرفقها منه وخرجت مسرعة منصاعة لأمره بحنق ، أغلق أدهم الباب خلفها وجاء ليجلس بجوارى وقال بهدوء يناقض غضبه المعتمل بداخله:
- هى كانت جايه ليه؟
أجبته وأنا أجفف دموعى:

- علشان تقولنا اننا هنمشى الصبح بدرى
أومأ برأسه وهو ينهض واقفاً ، وبدون حتى أن يسألنى كيف عرفت منال بالأمر قال:
- طب كفاية عياط يالا نامى .. لما اصحى الفجر هصحيكى نلم حاجتنا.. يالا تصبحى على خير
نمت فى فراشى وأغلق هو الأنوار تاركاً ضوء مصباح صغير خافت واستلقى على الأريكة كما يفعل دومًا، هدأت وأغمضت عيناي ولكنى لم أنم أبدا ، رأسي تدور كالطاحون كارهة لنفسي ، تتقلب حياتى أمامى بين الماضى والحاضر ، ترى ما الذى فعله أدهم بحياته قبل التزامه استوجب عليه العقاب بزواجى منه ! ، بعد دقائق شعرت به يتحرك فى الغرفة ففتحت عيناي ببطىء ،رأيته يدور فى الغرفة يمين ويسار كالنمر فى سجنه ، يدور حول الأريكة ثم يتقدم نحو فراشى وفى مواجهتى ثم يقف لأقل من دقيقة ، ثم يعود لما كان عليه ثم يتقدم نحوى ثم يعود ، ظل هكذا لفترة من الوقت ثم خرج مندفعاً للشرفة ، وقف بها قليلاً ثم دخل أرتدى ملابسه وفتح باب الغرفة بهدوء وخرج، أنتفضت من فراشى وجريت نحو الشرفة لأرى إلى أين يذهب وبعد قليل وجدته يعبر الطريق أمام الفندق مسرعاً وبدأ بالركد على طول الكورنيش .
لم أستطع النوم منذ عدت من الشرفة ، لو لم تكن منال شرحت لي ما يعانيه أدهم لما فهمت تصرفاته الآن ، ولكن الرؤية اتضحت أمامى و لامجال للمواربة وهذا ما جعل الذنب يقتلنى أكثر من ذى قبل، ساعة كاملة مضت قبل أن أشعر بالباب يُفتح من جديد وسمعت أنفاسه الاهثة وهو يغلق الباب بهدوء بدل ثيابه وتوضأ ووقف يصلى ويرتل ، أفتتح سورة مريم وصلى بها الركعتين ثم ارتمى على الأريكة ونام أخيراً.

***

عاد من صلاة الفجر وهو يردد أذكاره فوجدنى مستيقظة وقد بدلت ملابسي وبدأت فى جمع أغراضنا استعدادًا للمغادرة فقال باقتضاب :
- صباح الخير
ثم شرع فى مساعدتى فى جمع الحقائب وهو يتحاشى النظر نحوى مباشرة بينما كنت انا أراقب تصرفاته التى تغيرت وكأنه تبدل إلى شخص آخر لا أعرفه ، اختفت ابتسامته وانطفأ حماسه وتوجهه بسببي ، دارت بداخلى مداولات عدة أخذت قرارى وأنا أقترب منه حتى وقفت أمامه فنظر لى باستفهام صامت وقلت :
- أحنا حياتنا كدة غلط .. ولازم تتصلح وتبقى حياة عادية
رفع حاجبيه وهو يقول متسائلاً:
- مش فاهم
أشحت بوجهي بحرج وارتباك فأمسك بوجهى ونظر لي قائلاً بهدوء:
- لما نبقى نرجع بيتنا نبقى نتكلم
وعندما ترك وجهى وعاد لعمله لاح لي شبح ابتسامة جذابة تشق طريقها إلى شفتيه عنوة فابتسمت بتلقائية وبدأت أنفاسي تنتظم مجدداً .

(٢٣)

" ولما رجعتوا أتكلمتى معاه" ؟
قالتها حياء بفضول وحماس وكأنها تشاهد أحد الأفلام العربية وترغب بمعرفة النهاية فابتسمت قائلة:
- لاء .. واحنا راجعين فى السكة مامته اتصلت وقالتلهم ان والده ضغطه ارتفع وتعبان أوى ومامته بتخاف على والده جداً .. أى حاجة تحصله ولو بسيطة تتصل بيهم وتبقى عايزاهم يبقوا جنبها .. ولما حاولت أروح معاهم قالى انه مش عاوز أى احتكاك دلوقتى بينى وبين منال خصوصا وهشام هيكون موجود وجابنى هنا أبات عند ماما وكلمنى النهاردة الصبح طمنى على والده ووافق أنى آجى أسلم عليكى .. أنتِ بقى مكلمتنيش ليه لم رجعتى من العمرة؟
- يا ستى انا روحت أسلم على ماماتك قالتلى أنك فى مرسى مطروح فقولت بلاش أرخم عليكوا فى شهر العسل
قلت بحزن مكررة :
- شهرالعسل ؟

نظرت لي حياء نظرة أعرفها تتهمنى بها اتهامًا مبطنًا بأننى المسئولة وحدى عما يحدث وعندما شاهدتنى أطرق برأسي أمسكت بيدى متسائلة بخفوت :
ـ معقولة لسه مش قادرة تحبيه يامنى ؟!
فأجبتها بصدق:
ـ أدهم أنسان مثالى جدا ومنكرش أنى مبسوطة معاه
ثم ترددت وأنا أتابع حديثى :
ـ بس أنا كان نفسي أتجوز بشكل مختلف .. زى ما بنشوف فى الأفلام كده .. يحبنى ويبقى بينا قصة حب مولعة تنتهى بالجواز
ضغطت يدى وهى تقول مؤكدة:
ـ برافو عليكى ..انتِ كده جبتى من الآخر ..قصة حب تنتهى بالجواز..هى فعلا بتنتهى بالجواز وبعد شهر العسل بتدورى على قصة الحب المولعة مش بتلاقيها لأنها زى ما قولتى انتهت بالجواز.. ده إذا رضى يتجوز بعد قصة الحب المولعة اللى بتقولى عليها
أبتلعت مرارتى مع غصتى وأنا ألمح قصتى مع سامح بين سطور كلماتها فهمست لها بحزن:
ـ تقصدى سامح مش كدة
تنهدت ببطء وهى تتأهب بمصارحتى بالحقائق غائبة عني:
ـ وحتى لو كان أتجوزك عمره ما كان هينسى .. ولا انتِ كنتى هتنسى انك عصيتى ربنا بسببه ودايما الحب ده كان هيبقى تعب ليكى ولـ ضميرك وتقعدى تقولى ياريتى ماكنت عملت كده ..
تمتمت بتردد وحيرة:
ـ طب والناس اللى بنشوفهم قدامنا فى كل مكان .. بيحبوا بعض وتبقى بينهم قصة حب وبيتجوزوا وبيخلفوا ؟!
استندت بظهرها للمقعد وأجابتنى :
ـ أنتِ قولتى بنفسك " بنشوفهم " .. لكن بتعرفى أيه اللى بيحصل بينهم وبين بعض جوه بيوتهم ؟ .. بتعرفى المشاكل اللى بينهم ؟ .. بتسعميه مثلا وهو بيقولها " ما انتِ كنتى تعرفينى من ورا أهلك " ؟ .. بتحسي بدموعها وهى بتشتكى لربنا وبتندم على كدة .. ؟! .. وأوعى تكونى ساذجة لدرجة أنك تتصورى أن فى واحدة هتقول كدة قدام الناس ! .. لا بالعكس دى هتحاول تظهر العكس أنهم متفاهمين جدا ولسه بيحبوا بعض.

أغمضت عيناي محاولة إقناع نفسي بما تقول وصارحتها بخفوت بأن كلمات سامح مازالت عالقة بداخلى وبسببها لا أستطيع الأستمتاع بعاطفة أدهم ولا بكلماته الرقيقة فشدت على يدى مرة أخرى وهى تقول بجدية:
ـ كل ما تفتكرى كلامه الحلو أفتكرى برضة انه كان بيقوله بالكدب مش من قلبه.. أفتكرىأنه مكنش كلام خمصوص ليكى دى كانت اسطوانة بتلف على الكل.. لكن جوزك بيحبك بجد وكلامه من قلبه وليكى أنتِ بالذات
همست مرة أخرى وكأننى أحادث نفسي فقط:
ـ بس مش قادرة أحسه
تابعت بنفس الجدية:
ـ عارفة ليه.. علشان انتِ لسه ماتوبتيش يا منى .. لسه محستيش ان علاقتك بسامح ذنب متعلق فى رقبتك لازم تتوبى عنه بجد ..توبى من الحب ده وانتِ تشوفى حب جوزك وتحسيه.. نضفى قلبك من حب الحرام هتلاقى نفسك بتحبى الحلال ببساطة..
قاطع حديثنا الخافت ارتفاع رنين هاتفى معلنًا عن اتصال من أدهم وعندما أجبته طلب مني الأستعداد للمغادرة وقبل أن ينهى المكالمة قال معتذراً:

- معلش يا حبيبتى هيام بنت خالتى معايا.. هنستضفها ليلة واحدة عندنا وهتمشى بكرة

وقبل أن أستقل السيارة بجواره رأيتها تجلس بالخلف تحمل طفل رضيع بين يديها وتجلس بجوارها طفلة لا تتجاوز السبع سنوات وعندما جلست فى المقعد الأمامى والتفت لأرحب بها اجابتنى بصوت باكى فيه بعض أثر من معركة كلامية من الواضح أنها كانت تدور رحاها بينها وبين أدهم الذى عرفنى عليها سريعاً قبل أن ينطلق بالسيارة لنعود إلى منزلنا،لم اتعرف على ملامحها بسبب النقاب التى كانت ترتديه ولكن صوتها ينبأ عن امرأة بالكاد تجاوزت الثلاثين من عمرها ، عندما تكلمت قالت لي معتذرة بصوت مبحوح:
- كان نفسى آجى فرحك يامنى بس معلش كنت لسه فى النفاس

جاملتها بكلمات بسيطة قطعها رنين هاتف أدهم وعندما قال أدهم أسم المتصل بصوت مسموع هبت عاصفة خلفية نابعة عن فم هيام وهى تهتف بصخب:
- متردش .. أنا مش هرجع بيته تانى
أشار لها أن تصمت وأجاب رنين هاتفه ، حدث زوجها قليلاً بعتاب وفى النهاية طلب منه الحضور لمنزلنا وبمجرد أن أنهى المكالمة عادت العاصفة مرة أخرى:
- أومال انا جاية معاك ليه يا أدهم.. ما كنت فضلت عند خالتى .. أنا مش عاوزة أقابله ولا أشوفه
نظر لها فى المرآة بحزم قائلاً:
- أنا جايبه علشان أقعد اتكلم معاه على رواقة.. مش علشان تشوفيه ويشوفك ..وبعدين لاحظى أن فى ناس هنا واخدين بالهم ومركزين
قال الجزء الأخير من عبارته وهو يشير بعينيه فى المرآة إلى ابنتها المنكمشة بجوار أمها ، ساد الصمت حتى وصلنا المنزل ، وهناك اتسعت عيناي عندما جلست هيام على المقعد وهى تزفر بقوة ثم تنزع غطاء وجهها هكذا ببساطة ، ومما زاد دهشتى أن ادهم جلس اماها وهو يتحدث معها ببساطة أكبر وينظر إليها بل ويمزح معها قائلاً:
- أسمعى كلامى واللى اقولك عليه تعمليه ولا ناسية ان انا اللى مربيكى
هتفت هيام رافضة:
- مربينى أيه ده كل اللى بينا ست شهور
زفر بمزاح وهو يلتفت نحوى بود قائلاً:
- لو سمحتى يا منى خدى هيام الأوضة التانية
أدخلتها إلى غرفة الضيوف ورحبت بها مرة أخرى وتركتها لتبديل ملابسها وأنا أشعر بحنق وضيق مما يحدث ولا أجد له تفسير ، وعندما خرجت وجدت أدهم يحمل أبنتها ويلاعبها ويقذفها عاليًا والطفلة تضحك بشدة ولا تتوقف عن طلب المزيد من اللعب .
وقفت أشاهده وهو مندمج مع الصغيرة ويضحك وكأنه طفل وحيد وجد أخيراً طفلا آخر يلعب معه ثم مسح على شعرها وقال بطفولية وحماس:
- تيجى ننزل نجيب شوكلاته وعصير وشيبسى .. ولا أقولك احنا ننزل نجيب السوبر ماركت ونبقى ننقى براحتنا

لم أتحرك من مكانى وأنا أتابع المشهد بفضول وشغف حتى أخذها وخرج بها من المنزل ،لا أعلم لماذا أحببت شخصية الأب التى ظهرت فى أدهم مع هذه الصغيرة وتمنيت بداخلى لو كان أدهم أبى بدلاً من أن يكون زوجى وبدون تفكير وجدتنى أتصل به وأقول له برجاء :
- أدهم ممكن تجبلى معاك آيس كريم

وبمجرد أن فتح باب الشقة ودخل وفى يده الصغيرة واليد الأخرى بها أكياس عديدة كبيرة أكياس أخرى ملونة مملوءة بالحلوى والسكاكر والمثلجات، أسرعت نحوه بشغف متسائلة عن نصيبى من المثلجات فنظر لي بعذوبة وحنان وهو يمد يده بالمثلجات خاصتى فتناولتها منه بلهفة وفرحة وجلسنا أنا وهو والصغيرة نأكلها وهو يقول لها مداعباً:

- لا يا ستى انا بحب المانجة .. انتِ كده بتضحكى عليا.. وبعدين فين الشفاطة بتاعتى

كنت أجلس على مقعد منفصل وهو يجلس على الأريكة بجوارها وبحركة تلقائية قمت من مكانى وجلست بجواره قائلة:

- أدهم ممكن تفتحلى دى مش عارفة افتحها

قال مشاكساً وهو يأخذها ويفتحها من أجلي :

- كده ببلاش ..لا لو فتحتهالك لازم آخد حتة موافقة ولا لاء ؟

- موافقة .. بس حتة صغيرة

جلسنا نأكل الحلويات الملونة والمثلجات بنهم ومشاغبة حتى خرجت علينا هيام بصياحها المعتاد:

- كده برضة يا أدهم جبتلها كل ده ..عاوز تبوظلى سنانها

قال بمرح :

- انتِ هتستعبطى هى فين سنانها دى اصلاً

كتمت شهقة كادت أن تخرج من حلقى وأنا أنظر إلى ملابسها المنزلية التى خرجت علينا بها وشعرها المنساب دون قيود وشعرت بالدماء تندفع فى أوردتى وأنا أنقل بصرى بينهما بدهشة واتسئل أى التزام هذا الذى يتحدثون عنه وهما بهذا الأنفلات ، حاولت ألا أظهر علامات الضيق على وجهى قمت من مكانى لأدخل غرفتى بنزق ولكن رأسى دارت بى وشعرت بخفقان شديد وبرودة فى أوصالى ولكنى لم أفقد الوعى ، أنتفض أدهم بجزع يحملنى إلى غرفتى فى سرعة ووضعنى ببطء على فراشى هاتفاً بقلق:

- مالك يا حبيبتى أجيبلك دكتور

حاولت أن أتماسك قائلة والدوار يتلاشى :

- لالا انا كويسة أظاهر بس حكاية السكر دى رجعتلى تانى

سمعت صوت هيام يأتينى من خلفه هاتفة بثقة وسعادة:

- سكر ايه وبتاع ايه تلاقيكى حامل ألف مبروك يا أدهم

حاول أدهم إسكاتها بحرج بينما تورد وجهى بضيق وقلت بخفوت:

- لو سمحت يا أدهم انا مرهقة وعاوزة ارتاح شوية

أعتدل أدهم واقفا وهو يقول موجهاً حديثه نحوها:

- يالا يا هيام هاتى بنتك وتعالى برة علشان تنام شوية

فكرت بقلق وتوجس..هل سيجلسان وحدهما أيضاً .. لا وألف لا .. فقلت له على الفور قبل أن يخرج:

- أدهم لو سمحت استنى عاوزاك فى حاجة مهمة

خرجت هيام وابنتها وتركته وجلست على فراشى ونظرت له بحدة قائلة:

- حلو أوى الألتزام اللى انتوا فيه ده.. هى تقلع النقاب والحجاب قدامك وانت تقعد تهزر معاها وتبصلها

قال بهدوء:

- طب وفيها ايه؟

منعت صياحى بإعصاب من حديد وأنا أقول منفعلة:

- وفيها أيه ؟! .. ازاى تقعد تهزر مع بنت خالتك بالطريقة دى وتبصلها كده

بدت على أدهم ملامح عبثية وهو يقول ببرود:

- مش فاهمك يا منى وأيه المشكلة؟
بدأت أفقد أعصابى أكثر هاتفة:
- أنت هتستعبط ولا ايه
رفع حاجبيه وهو يشير إلى فمى أن أصمت وهو يقول باستفزاز :
- ششش وطى صوتك
- مش هاوطى صوتى .. أنت خايف من صوتى يعلى ومش خايف من ربنا
أزدادت ملامحه عبثا وهو يقول :
- ليه بس هو انا بعمل حاجة غلط؟
قلت بغيظ:
- ماشى ..أنا كمان بقى أقعد مع أى واحد قريبى واهزر معاه ..أيه رأيك؟
قال وهو يشير إلى عنقه:
- أدبحك
- والله .. واشمعنى بقى
قال أدهم بهدوء وبطء وتسلية وقد تمكن مني تماماً:
- علشان هيام أختى في الرضاعة
وأطلق ضحكاته العبثية وأقترب وقال بشغف:
- أحبك وانت غيران
أحمر وجهى بشدة وحينها أدركت أنه تعمد استفزازى وعدم أخبارى منذ البداية بأن هيام أخته من الرضاع ، فقمت من فراشى بنزق وأنا أحاول الحفاظ على ما تبقى لى من ماء وجه وقلت ببرود مصطنع:
- مين ده اللى غيران ! .. أنا بس اضايقت علشان دى منتقبة وكدة
أومأ ضاحكاً بسخرية مستفزة :
- آه منا عارف
صمت محاولة تنظيم أنفاسي من جديد فشعرت به يقترب مني من الخلف ويطوقنى وهو يهمس فى أذنى بحب:
- هو أنتِ كنتى بتقولى أيه وأحنا بنلم الشنط فى مرسى مطروح .. وانا قولتلك لما نرجع بيتنا نتكلم؟

(٢٤)

أقشعر جسدى لقربه الشديد وإذا بصوت جرس الباب يرتفع ويعقبه طرقات على باب غرفتنا وصوت الصغيرة تنادى :
- عمو أدهم عمو أدهم .. ماما بتقولك تعالى بسرعة بابا جه
تركنى وهو يرسل تنهيدة حارة ويركل الفراغ بعصبية ، ابتسمت ولم ألتفت ولكنى لاحظت حركاته المترددة التى حسمها أخيرًا وهو يتوجه ليمسك بالمقبض ويفتحه بغل متمتماً بانفعال متوعداً زوج هيام بالويل والثبور !

خرجت خلفه ووقفت فى نهاية الممر الذى يفصل غرف النوم عن بقية الشقة ونظرت من خلف الستار وقد كدت أجزم بأن أدهم سيضربه دون سبب حقيقى !
- فى أيه يا حسن ..أيه اللى جابك دلوقتى
قال حسن ببلاهة :
- أيه يا شيخ مش انت اللى قولتلى تعالى عاوز اتكلم معاك
- قولتلك مليون مرة ..أنا مش شيخ ..أنا زيى زيك.. هو أى حد يلتحى يبقى شيخ
قال حسن معتذراً و مكررا:
- خلاص يا شيخ .. أنا آسف
ضرب ادهم كفاً بكف وهو يزفر بحنق فقال حسن على الفور:
- يالا بقى ناديلى مراتى خالينا نمشى
- أنت لو كنت جيت فى وقت تانى يمكن كنت أدتهالك بسهولة.. لكن بعملتك دى هعذبك عليها
هدأ أدهم قليلاً وما أن شرع فى الجلوس حتى رأيت هيام تخرج من الغرفة ومرت من أمامى كالطلقة وخرجت إليهم هاتفة :
- انت أيه اللى جابك ..اتفضل لو سمحت من هنا
أستدار أدهم إليها بغضب وقد أشتعلت عيناه احمراراً مما جعلها تبتر ثورتها وتصمت وهو يقول بتحذير:
- أنا محبش أختى تطول لسانها على جوزها مهما حصل.. فاهمة ولا لاء
شهقت وهي تضع يدها على فمها ثم قالت بخفوت:
- كدة برضة يا أدهم .. بعد اللى حكتهولك
تدخل حسن زوجها قائلاً وهو يجلس فوق المقعد القريب منه وهو يلوح بيده بضجر:
- أديك شوفت بنفسك بتكلم معايا ازاى.. ده غير بقى طول النهار حرام وحلال لما زهقتنى فى عيشتى
أمسكها أدهم من معصمها وجرها برفق إلى الأريكة أجلسها وجلس بجوارها وقد استعاد هدوءه قليلاً:
- أحنا مش اتكلمنا فى الحكاية كذا مرة ياهيام وقلنا الدعوة تبقى بالحكمة ؟ طريقتك دى بتنفره منك يا هيام
أسندت رأسها إلى قبضتها بعجز وقد أوشكت على البكاء قائلة:
- تعبت يا أدهم .. تعبت ومفيش فايدة واللى زاد وغطى عاوزنى أقعد اتفرج معاه على المصارعة اللى كلها رجالة عريانة
زفر حسن بقوة هاتفاً:
- بطلى مبالغة بقى
رأيت أدهم ينظر إلى هيام نظرة ما وكأنها لغة بينهما فنهضت على الفور وعادت للداخل ومرت بي ثانية ولكنها لم تعبأ ودخلت غرفتها بانفعال فعدت برأسي تجاه أدهم مرة أخرى فرأيته يقترب من حسن قليلاً ويضع يده على ركبته ويطرق برأسه قليلاً وكأنه يبحث عن وسيلة حاسمة يمنع بها شجارهما الدائم بسبب التلفاز وبرامجه تلك ، رأيتُ لمعة ما بعينيه وكأنه وجد كنزاً ثم شد قبضته على حسن قائلاً:
- بينى وبينك انا عارف أن هيام بتبالغ .. ما انا أصلى عارفك كويس طول عمرك غيور ودمك حامى واستحالة تسمح لمراتك تتفرج على رجالة كل شغلتهم يربوا عضلاتهم فغصب عنها جوزها مش هيبقى مالى عينها
غمغم حسن بكلمات مبتورة وهو يشيح بوجهه قليلاً:
- طبعا يا شيخ
أبتسم أدهم أيتسامة جانبية ساخرة وهو ينهض قائلاً:
- أنا قولت كده برضة .. انا هدخل اشد عليها واخاليها تخرج تعتذرلك

وقف حسن على الفور قائلا باهتمام:
- براحة عليها الله يخاليك .. هى عصبية بس طيبة وانا لما بضايقها بيبقى غصب عنى بس فى الآخر مالناش غير بعض
أومأ أدهم برأسه وتركه عائداً للداخل وما أن مر بجوارى حتى غمز لي بطرف عينيه فابتسمت بتلقائية وتبعته حتى دخل الغرفة التى تجلس بها هيام ، عندما دخلنا وجدناها جالسة على طرف الفراش تقرض أظافرها بأسنانها بغيظ وعندما شاهدتنا هبت واقفة وقبل أن تتكلم أشار لها أن تصمت وقال:
- مشاكلكوا دى عمرها ما هتنتهى طول ما انتِ فاكرة أنك هتغيريه بعصبيتك دى .. بالعكس كده بيعند معاكى أكتر وبيزيد فى تصرفاته وبعد ما كان بيتفرج لوحده بقى عاوزك تتفرجى معاه .. انت وافقتى عليه من الأول وهو كده وقولتى هغيره وهخاليه زى ما انا عايزة يبقى لازم تتحملى مسؤليتك للآخر وتغيرى أسلوبك الفاشل ده .. خصوصاً انك مش بتشتكى منه إلا فى الموضوع ده بس يعنى هو فى المجمل راجل كويس وبيحبك .. والحاجات اللى شايفاها حرام فى تصرفاته تتكلمى معاه باللين وبالحكمة ..عصبيتك بتهد كل حاجة
تنهد ببطء وقال متابعاً:
- انا اتكلمت معاه فى الموضوع من باب الغيرة ومتأكد أنه مش هيجبرك تقعدى معاه تانى وتتفرجى .. الباقى بقى عليكى انتِ .. افتكرى موضوع الدعوة بالقدوة مش بالكلام اللى شرحتهولك قبل كدة ..
أستيقظ الطفل وبدأ بالبكاء قاطعاً حديثه الذى كنت أتابعه باهتمام فأمرها أن ترتدى ملابسها وتخرج خلفه ثم غادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه ، فتوجهت نحو الطفل وحملته وأنا أرى هيام تجمع حقيبتها الصغيرة بتفكير عميق وهى تغربل كلمات أدهم برأسها فوجدتنى أسألها دون مقدمات بفضول شديد انتابنى نحو شخصية هيام التى بدت لى متناقضة للغاية وقلت :
- هيام انتِ بتحبى جوزك؟
قالت وهى تمط شفتيها كالأطفال :
- بحبه أوى ونفسي يتقبل نصايحي زى ما تقبل لبسي للنقاب بسهولة
تابعت أسألها بنفس الفضول :
- هو انتِ لبستى النقاب ليه؟
أجابتنى ببساطة:
- لو عاوزة أدلة شرعية دورى بنفسك لكن لو تقصدى أسبابى أنا .. فأنا فضلت فترة طويلة أسمع دروس عن أمهات المؤمنين لحد ما ارتبط بيهم عاطفيا جدا وحسيت أنهم أمهاتى بجد ومن شدة حبى .. ولما كنت بتكسف فى البداية وانا خارجة بيه ليهم لما عرفت انهم كانوا بيغطوا وشهم حبيت أقلدهم .. سألت نفسي ليه لما كنت زمان بحب ممثلة كنت بقلدها فكل حاجة حتى طريقة كلامها ومن غير ما اتكسف وتوكلت على الله ولبسته .
منحتها ظهرى لتبدل ملابسها جالسة على طرف الفراش أفكر فى حديثها ، وتذكرت سماح ، عندما أحببتها بالفعل صرت أتبعها كظلها وأقلدها فى كل شيء ، وبعد كل ما مررت به .. ها قد تبين لي أننى كنت أبحث فى الاتجاه الخاطيء عن القدوة التى أحتاجها بالفعل ، حديث هيام وقع فى قلبى موقعاً خاصاً ووجدتنى أنجذب بمشاعرى نحو غطاء وجهها الذى كان موضوعاً أمامى ومطوى بعناية ، فتلمسته بشرود فسمعتها تقول من خلفى وقد انتهت من تبديل ملابسها :
- تحبى جربيه ؟
وقبل أن أجيبها جذبتنى ممازحة وهى توقفنى أمام المرآة وتلفه حول وجهى مداعبة فضحكتُ وأنا أنظر إلى وجهى الذى لم يظهر منه سوى عيناى ، فتأملت نفسي وأنا أشعر أننى مقدمة على أمر جلل بحياتى ، نعم هو أمر جلل ولكن قلبى منشرح له .. وبشدة ، وبلا أسباب منطقية غير ذلك .

زادت سرعة دقات قلبى وشعرت بسخونة بوجنتى وفجأة طرق أدهم الباب ودخل بعد سماعه صوت هيام تأذن له ، وقف يتأملنى للحظات ، تفاجأت بنفسي قبل أن يتفاجأ هو وهيام عندما استدرت نحوه قائلة:
- أدهم .. أنا عاوزة البس النقاب أتسعت عيناه بينما دهشة هيام لم تتعد لحظة ثم انكبت على وجنتى تقبلها وتحتضننى بسعادة
سمعنا صوت زوجها يأتى من الخارج تعجلها ليغادروا قبل أن يحل الظلام ، فأخذت هيام طفلها وخرجت وهى تتوعده فهو لم يصالحها كما يجب حتى الآن.
دون أن تفارقه الدهشة قال:
- ايه اللى طلعها فى دماغك؟!
قلت له بابتسامة:
- حبيته
رفع حاجبيه مكرراً سؤاله بطريقة أخرى:
- عن اقتناع؟
قلت مكررة:
- عن حب
سمعنا صوت ضحكة هيام آتية من الخارج يتبعها صوت زوجها منادياً على أدهم يتعجله بنفاذ صبر، فتركنى مستديراً لينصرف فتعلقت بذراعه وعندما التفت نحوى قلت له بتصميم:
- أشتريلى واحد وانت راجع علشان خاطرى

حاول تجاوز صدمته وهو يستعد للمغادرة ثانية ولكنه عاد بوجهه لي مجدداً قائلاً بنظرة ذات معنى:
- مش هتأخر
أبتسمت وقد تورد وجهى خجلاً وتركته ينصرف وعدت للمرآة مرة أخرى متسائلة " ترى هل سأرى العالم من اتجاه مختلف أجد به ذاتي، لقد طرقت جُل الأبواب فلماذا أتردد فى طرق هذا الباب وقد انشرح صدرى له بلا مقدمات " ؟!

***

بدلت ملابسي وأخذتنى قدماى نحو المكتبة الصغيرة التى يحتفظ فيها أدهم بكتبه المتنوعة ، سلاسلها وأحجامها الكبيرة أشعرتنى بالضجر، فأنا لم أكن يوما قارئة ، قررت أن أبحث عن أقل الكتب حجما ، فجذبنى عنوان كُيب صغير .. " إنها ملكة " ! .. تعجبت من العنوان وعندما فتحته وجدت به قصصاً قصيرة فأخذت الكُتيب وجلست أقرأ فيه وكأنه أحد كُتب السحر التى يخرج منها يد تختطف من يجرؤ على فتحه ، أختطفتنى القصص القصيرة بداخلة ووجدت دموعي تنساب رغماً عني عندما وصلت إلى عبارة كانت بمثابة تعليق من المؤلف على القصة " وكلما احترمت المرأة نفسها احترمها من حولها .. فهى ثمينة مادامت أمنية .. فإذا خانت هانت "
كررتها مراراً وتكراراً ، وتابعت القراءة و أنا أبحث عن نفسي بداخل كل قصة أقرأها فيه ، أغلقته فى النهاية وقد انشرح قلبى أكثر لقرارى الأخير مستبشرة ببداية جديدة وعندها سمعت صوت المفتاح يدور فى الباب علمت أنه قد حضر .

وقفتُ أمام المرآة محاولة ارتداءه بمجهودى الشخصى وقد رفضت محاولة أدهم لمساعدتى ، محاولة تذكر الطريقة الحرفية التى ارتدت بها هيام نقابها ، ونجحت فى النهاية فشعرت بالنصر وكأننى كنت

أخوض حرب خاصة وأدهم مازال يضحك من محاولاتى الفاشلة السابقة فالتفت إليه فاتحة ذراعي بزهو المنتصر فأطلق صفيراً منغماً ثم قال بإعجاب:
- الله .. إيه الجمال ده كله.. مبروك يا حبيبتى
فنظرت نظرة سريعة فى المرآة أتفقد غطاء وجهى ثم عدت بنظرى إليه متسائلة:
- حاسة أن القماش شفاف شوية .. أنت شايف حاجة؟
أقترب مني وأمسك برأسى وقبلها قائلاً بحنان:
- شايف ملكة
نظرت له بتساؤل ، هل يقصد الكُتيب الذى كان بيدى وقت حضوره أم هو مديح فقط؟!.. وقبل أن أتكلم رأيته يتوجه نحو خزانة ملابسي ويُخرج منها ثوب زفافى ، وضعه على الفراش وتقدم نحوى قائلا بنبرة جمعت الشوق بالحنين فى عبارة واحدة:
- ممكن تلبسي فستان فرحنا؟ .. أصلى مشوفتوش عليكى كويس وقتها
ترددت وانا انظر الى الثوب الساكن فوق الفراش ثم أنظر إليه فأقترب مني وقال:
- انا كمان هلبس بدلة الفرح ..علشان نبدأ حياتنا من أول وجديد .. كأننا لسه متجوزين النهاردة.. ها أيه رأيك؟
أنتزعنى رنين هاتفه من خجلي ورهبتى ولحظات الحسم التى أعيشها الآن، أما هو فلم ينتظر كثيراً عندما سمع النغمة المخصصة لرقم والده فتوجه إلى الهاتف على الفور والتقطه فى سرعة مجيباً ، شاهدت ملامح وجهه تتغير إلى القلق وهو يقول :
- حاضر يا أمى .. أنا جاى حالاً بس متكلميش منال فى وقت زى ده علشان متتخضش .. حاضر مش هتأخر
أنهى المكالمة والتفت نحوى معتذراً :
- أنا آسف أوى يا حبيبتى لازم أنزل دلوقتى .. بابا تعب تانى وأمى عاوزانى أروحلها ومش هتأخر إن شاء الله
بتلقائية مددت يدى وانزلت النقاب على وجهى قائلة:
- طب هاجى معاك
- يا منى هتخرجى دلوقتى ليه بس .. بقولك مش هتأخر
قلت بتصميم:
- لازم اروح معاك يا أدهم .. كفاية مرضتش تاخدنى المرة اللى فاتت .. نروح سوا ونرجع سوا أيه المشكلة
فقال باستسلام وهو يلتقط سلسلة مفاتيحه:
- طب يالا بسرعة

وعندما أغلقنا أبواب سيارته وبدأ يدير محركها لم يستجب له فكرر المحاولة مرات ومرات ولكن بدون فائدة وهو يزفر بحنق :
- ما انا لسه جاى بيها وكانت كويسة
ظننته يقصدنى بتعليقه فقلت بحزن :
- يعنى انا وشى وحش عليك
ألتفت نحوى بدهشة ثم قال متعجباً :
- أيه اللى خلاكى تفتكرى كده .. يا حبيبتى ده انتِ نورتى حياتى من ساعة ما شوفتك
صمت وأنا ألوم نفسي على سوء ظنى به .. ربما ليس سوء ظن بقدر ما هو عدم ثقة بنفسى ، سمعته يقول:

ـ منى أنا كدة لازم أروح أشوف أى مواصلات فى الموقف .. مش عاوزك تتبهدلى معايا أطلعى أنتِ البيت
ـ أنا طول عمرى بركب مواصلات يا أدهم أيه اللى هيبهدلنى بس .. يالا بقى نلحق نروح الموقف ويارب نلاقى حاجة نازلة فى الوقت ده
أومأ برأسه موافقاً وترجلنا من السيارة فأغلقها بإحكام وأمسك بيدى وسرنا فى الطريق المؤدى إلى موقف الحافلات ، مرت دقائق ونحن نسير بخطوات واسعة والصمت يرهف سمعه لأنفاسنا ويسمح لأصحاب الذكريات باجترار ماضيهم ، تذكرت الأيام الخوالى وأنا أرى المنحنى المؤدى إلى منزل سامح ، هاجمتنى بضراوة كلماته ونظراته محاولة أشعال حنينى متذكرة أنه هو من أنقذنى مما كان سيحدث لي فى منزل محمد بتدبير من سماح ، وعندما وصلت إلى هذه النقطة من ذكرياتى أعتصر قلبي متذكرة كلمات حياء " مش هتحسى بحب جوزك إلا لما تتوبى من القديم وتندمى عليه " .. كنت قد ظننت أننى قد توبت وندمت بالفعل ولكن هذا الحنين أنبأنى بأننى كنت مُخطئة .
ـ يووه وبعدين بقى
سمعت أدهم يقولها بحنق وكنا قد وصلنا للموقف الحافلات، فالتفت نحوه متسائلة فقال:
ـ العربيات كلها طلعت من نص ساعة ومفيش غير أتوبيس واحد.

(٢٥)

و صعدنا إلى الحافلة ، أشار أدهم إلى أحد المقاعد الزوجية فتوجهت نحوه على الفور و جلست بجانب النافذة وهو جلس بجوارى ثم سمعته يسأل أحد الركاب عن السائق فأجابه الرجل:
ـ السواق قال هينزل يشرب شاى وزمانه جاى
مال أدهم علي أذنى وقال معتذرًا بهمس:
ـ معلش يامنى .. نزلتك من بيتك متأخر وكمان ركبتك أتوبيس
همست له بمزاح :
ـ الناس كلها بتركب أتوبيس يا أدهم .. وانا من عامة الشعب وواخدة عليه
أبتسم لدعابتى الهامسة وقال شيئاً لم أسمعه ، نعم لم أسمعه حقاً فلقد كنت مذهولة محدقة فى الفتاة التى صعدت للحافلة للتو وتبحث بعينيها المتورمة من البكاء عن مقعد شاغر، فتاة أعرفها جيدًا ، لم يطرأ عليها تغير سوى الحجاب الصغير الذى تغطى به شعرها ، لا ليس هذا التغير الوحيد ، لقد اكتسب وجهها لون شاحب وغطت ملامحها الرقيقة الناعمة كآبة سوداء ، وعندما جرت عياي على جسدها لاحظت انتفاخ بطنها قليلاً ، وبينما أنا أدقق بها متسائلة عن السبب الذى جعل فتاة كـ ياسمين من الطبقة الثرية تستقل حافلة !، هل هى ظروف خاصة كالتى مررت بها مع أدهم من تعطل سيارته أم ماذا ؟! ، صعد خلفها ، يا الله .. معقول .. سامح ! .
وضعت يدى على وجهى بخوف وكأننى أتأكد من غطاء وجهى ، خفت أن يعرفنى ، أن ينظر نحوى ، أن يحدثنى ، لم يتغير سامح أبداً .. مازال وسيماً جذاباً ، ولكن فقط أصبح أكثر عبوساً ، لاحظت يده

تدفعها خفية نحو المقعد الزوجى أمامنا مباشرة، زادت دقات قلبى وهما يجلسان أمامى مباشرة، وقبل أن أنشغل فى نوع العلاقة التى تربطه بها رأيته يميل نحوها بحركة عصبية وبصوت حاول أن يجعله منخفض ولكن حنقه جعله يعلو رغمًا عنه:
- بقى كده يا ياسمين .. بتعصى أوامرى .. وقدام أبوكى وأمك كمان
بدأت صوت بكاؤها يعلو قليلاً وهى تقول :
- كفاية يا سامح حرام عليك .. أنت مسود عيشتى من ساعة ما نزلنا من هناك كفاية
- كفاية ؟... هو انتِ لسه شوفتى حاجة..أنا تناقشينى قدامهم وتقوليلى لاء..
قالت بتضرع وبصوت مرهق:
- حرام عليك بقى أرحمنى .. كفاية تعب الحمل
لكزها بغلظة بمرفقة فى أحد جنبيها فتأوهت بصوت مرتفع قليلاً وهى تسمعه يتوعدها ثم يقول:
- أخرسى مش عاوز اسمع صوتك

صوت تأوهها البائس أصابنى بقلبى كطعنة خنجر وأنا أستمع إليهما ذاهلة ، معقول ، هل هذه ياسمين الرقيقة ، هل هذه قطعة الحلوى الناعمة التى شعرت بالغيرة بسببها فى يوم من الأيام ! .
لم أكن أعلم أن أدهم يتابعهما مثلى وقد لفت نظره فظاظة رجل مع أمرأته ولكنه لم يتدخل فى ما لا يعنيه إلا بعد أن لكزها وتأوهت بهذه الطريقة المؤلمة لأى نفس بشرية سوية فمال للأمام على الفور قائلاً بصوت رصين موجهاً حديثه لـ سامح :
- يا أخى ميصحش كدة .. الرسول عليه الصلاة والسلام قال (رفقا بالقوارير)
ألتفت له سامح قائلاً بغلظة:

- بقولك ايه يا شيخ لو سمحت متدخلش بينى وبين مراتى
المسكينة بكت بشدة وهى تنظر حولها وكأن تيقنها من سماعنا لهما قد زادها ألماً وحزنًا ،فتابع زوجى بهدوء:

- يا أخى دى علشان مراتك لازم تكون أرفق بيها من أى حد تانى .. دى أمانة عندك ربنا هيسألك عليها
ألتفت إليها سامح بغطرسة هاتفًا بها:

- عجبك كده يا وش النحس خاليتى اللى يسوى واللى ميسواش يكلم معانا
لم يستطع زوجى أن يضبط أنفعالاته فى هذه اللحظة ولأول مرة أراه يخرج عن طوره وهو ينهض ويجذبه إليه من تلابيبه هاتفاً بوعيد:

- والله لو مكانش معانا حريم أخاف افزعهم كنت عرفتك مين اللى ميسواش يا عديم المروءة
تجمع الناس حولهما وأنا فزعة يكاد وعي أن يطوى جناحيه ويرحل بي ، جامعة قبضتاي فوق قلبى أبعث أبث به بعض الطمأنينة بينما نهضت باكية وهى تقول لزوجى برجاء:

- أرجوك سيبه

والرجال يحاولون فكاك قبضة زوجى عن ملابس سامح تضاءل فى عيناي وأصبح كالقزم يهزه أدهم ببساطة " صل على النبى يا شيخ ، مش كده .. معلش ، أمسحها فينا"
نظر لى أدهم فوجدنى على وضعى هذا خائفة ، فتركه وهو يدفعه بحدة للخلف و يتوعده أكثر بنظرات حادة ، وقبل أن يجلس مجدداً ليطمأننى وضح أحدهم يده على كتفه وهو يطلب منه أن يبدل مقعده هو وصديقه معنا للفصل بينهما ، وبدلنا المقاعد بالفعل فأصبحنا بعيداً عنهما بعض الشىء ، أجلسنى بهدوء وجلس بجوارى وهو يمسك بيدى قائلاً باعتذار:
- متخافيش .. أنا آسف مقدرتش امسك أعصابى

هدأت قليلاً وانا اتابع سامح بنظرى وهو يلتفت إليها من وقت لآخر بحركات أنبأتى عن مدى المعاناة التى تعانيها تلك المسكينة الآن على يديه ، ورجل من الخلف يسأل أدهم بدهشة :

- هو انت تعرفها يا شيخ ؟

التفت أدهم نحوه بتعجب وهو يجيب:

- هو انا لازم أكون أعرفها علشان أدافع عنها .. انا مقدرش أشوف واحدة ست بتتهان قدامى واسكت

صعد السائق محتلاً مقعده بتكاسل ومازال كوب الشاى بيده وبدأت الحافلة بالتحرك ، وأنا ألمح ياسمين تستند برأسها على زجاج النافذة وكأنها تشكى إليه سوء أختيارها وجهل قلبها وظلام حبها.

يا الله .. لا أعلم ماذا أقول لك .. أنها المرة الأولى فى حياتى التى أقول فيها الحمد لله وأنا أتلذذ معناها بهذا الشكل ، يارب .. لقد حرمتنى من البذاءة لتعطينى المروءة والشهامة ، حرمتنى رجل سىء العشرة بذىء اللسان لتعطينى رجل حسن العشرة حلو الكلام، يا الله .. كم فى الكون من مليون سامح لهم غلاف خارجى لامع جاذب .. وبواطنهم خربة كريهة .. مقززة
وكم من فتاة غرها هذا البريق الامع وطارت إليه كالفراش الذى يطير إلى النار ليلقى حتفه فى النهاية وهو يظنه النور، لا أملك إلا الحمد من قلبى .. لا أملك إلا شكر وجدانى.

ووجدت نفسى ألف ذراعي الأثنتين حول ذراع زوجى وأحتضن ذراعه بقوة وأضمها إلى صدرى لتصل إلى قلبى.. فنظر لي متعجبًا فأشرت إليه أن يقترب .. فلما اقترب همست فى أذنه بحنين أتذوق طعمه للمرة الأولى على لسانى قبل قلبى :

- بحبك

رفع رأسه ينظر لي غير مصدق و بأبتسامة دهشة احتلت شفتيه مال نحوى ثانية هامساً:
- قولتى أيه ؟!
قلت مكررة بصدق
- بحبك ... بحبك أوى
أبتسم هذه المرة أبتسامة عريضة وهو يضم أصابعى بين أصابعه بقوة يغلفها الحنان وهمس فى أذنى:
- ياه أخيرًا.. أحمدى ربنا أننا فى الشارع دلوقتى وإلا مكنش هيحصلك كويس

ضحكتُ ضحكة خافتة لم يراها على شفتى ولكنه رآها فى عيناي، واصلت ضم ذراعه بقوة إلى صدرى وأرخيت رأسى على كتفه وأغمضت عيونى باسترخاء لم يحدث لى من قبل، وبين الحين والاخر أفتحهما فيذهب نظرى بدون أرادة إلى ياسمين التى أشفقت عليها للغاية فى تلك اللحظة فبرغم ما بها من حزن إلا أنها لا تجد رجل حنون مثل زوجى ترتاح على كتفه مثلى.
ثم توجهت بنظرى إلى ظهر الرجل العابس الذى يجلس بجوارها شاعرة بغضب هائل تجاهه .. كيف يتجرأ هذا العابس ويتكلم مع زوجى بتلك الطريقة الفجة .. ووجدتنى أتمتم:
- قلة أدب صحيح
وجاء دور زوجى لأتوجه إليه بنظراتى تلك وأنا أرفع رأسى له فوجدته مسترخى تماماً مستنداً برأسه للخلف وتعلو وجهه أبتسامة خفيفة لا يعرف سببها غيرى وهو يردد بخفوت :
- الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله

عدت أضع رأسى على باسترخاء على كتفه ولأول مرة أنام فى مواصلات عامة ، لا أعلم كم مضى من

الوقت ولكنى صحوت على هزة خفيفة من أدهم وهو يقول:
- يالا الناس كلها نزلت .. كده هيقولوا علينا لابسين حزام ناسف وعاوزين نفجر الأتوبيس وهو فاضى
أبتسمت لدعابته وقمت وأنا ممسكه بيديه ، بحثنا عن سيارة أجرة تقلنا إلى بيت والده ، حتى وجدنا واحدة ومازلت ممسكة بيده وهو بجوارى وعندها همست له:
- أدهم .. أنا عاوزاك تحفظنى القرآن .. ممكن؟
نظر لي بدهشة وكأن اليوم هو يوم المفاجآت العالمى وقال بحماس:
- ممكن طبعا .. ده انا كده هبقى أول واحد حفظ زوجته القرآن وهما فى شهر العسل
قلت بتعجب:
- شهر العسل ايه ..هو مش خلص
هز رأسه نفيًا وقال بهمس:
- لاا ا .. ده لسه هيبتدى
أبتسمت بخجل ونمت على كتفه مرة أخرى حتى وصلنا لمنزل والدته .

***

لم تنفذ والدته نصيحته وأتصلت بـ منال وجاءت بها هى وهشام، قابلتنى والدته بدهشة وهى تنظر لي بغطاء الوجه الذى رفعته فور دخولى عندهم بينما قبلنى أخى هشام فرحاً بي ، وقد خالفت منال كل توقعاتى وأقبلت نحوى تعانقنى قائلة:
- مبروك يا منى ..عقبالى
سأل أدهم عن حالة والده الصحية فأخبرته منال أنه نائم الآن و حالته لا بأس بها وأن والدته بقلقها المعهود جمعتهم حولها بمجرد أن ارتفع ضغط دمه وكعادتها أصرت على تواجدهم بجانبها ، عندما سمعتها والدتها نهرتها قائلة:
- كده يا منال .. بقى مضايقة أنك جيتى لابوكى وهو فى الحالة دى.. ده انا كنت هقولكوا نوديه مستشفى يطمنونا عليه
- يا ماما حالة ايه ومستشفى أيه .. دى كل الحكاية شوية ضغط .. بابا كويس والحمد لله
ثم اقتربت من أدهم قائلة بخفوت :
- بعد كده يا حلو أنت اللى هتدبس لوحدك .. هشام خلاص هيرجع الشغل كمان أسبوع
تفاجأ أدهم ونظر نحو هشام الذى علق مؤكدًا:
- إن شاء الله كلها أسبوع وأخلع
وعندما شاهد الدموع بدأت تتجمع متزاحمة بعيناي ناظرة له بعتاب اقترب مني وضمنى بخفة قائلة:
- والله كنت هقولك بكرة الصبح .. أنا لسه عارف النهاردة أساساً

لقد كان الوقت قد تأخر للغاية ولا فرصة لأحدنا للعودة إلى منزله لذلك أصرت والدته أن نقضى الليل عندهم ، وبحسب عدد الغرف الموجودة هناك اضطررنا إلى تقسيم أنفسنا فاصطحبتنى منال إلى الغرفة الشاغرة بينما أفترش أدهم وهشام الآرائك المتواجدة فى الصالة .
بعد أن أغلقت منال باب الغرفة أقتربت تجلس بجوارى على طرف الفراش وهى تقول معتذرة :
- متزعليش مني يا منى ..أنتِ عارفة أنى بحبك بس يعنى اضايقت شوية على أخويا
قبلت اعتذارها بود وأنا أعانقها ، ثم أحضرت لي بعض من ملابسها التى تتركها كادة فى بيت والدتها وبدلت ملابسى ، قضينا بعض الوقت نتسامر فوق الفراش إلى أن نامت منال رغماً عنها ، حاولت أن أحذو حذوها ولكن قلبى منعنى النوم رغم الأرهاق فهو يهفو شوقاً إلى زوجى وأفتقده بشدة .

ضحكتُ من حالى الذى تبدل بين ليلة وضحاها وأنا أتسلل خفية حتى لا تشعر منال بخروجى من الغرفة وخرجت أبحث عنه ، سمعته يتسامر مع هشام وضحكاتهم تعلو واحدة بعد الأخرى ثم يقول له أدهم محذراً:
- ششش ..عاوز أمى تسمعنا تيجى تنيمنا بالعافية .. وطى صوتك
- خلاص يا عم أيه كارت الأرهاب اللى الحاجة عملهولنا ده
- أيه مش عاجبك .. طب يالا أتخمد بقى
مررتُ بهما وبلا مبالاة ظاهرة توقفت أسألهما :
- أنا رايحة أعمل شاى .. حد عاوز
نظرا نحوى بدهشة بينما قال هشام متعجبًا :
- من أمتى وأنتِ بتشربى شاى.. طول عمرك مبتحبيهوش
نظرت إلى أدهم وأبتسمت قائلة :
- بقيت أحبه
- يا بختك يا أدهم .. شوف انا بقالى قد أيه متجوز أختك .. ولحد دلوقتى مش عارف أخاليها تحب العسلية
ضحك أدهم فتركتهما متوجهة نحو المطبخ لأعد الشاى الوهمي، وضعت براد المياة فوق شعلة النار ورفعت رأسى للجزء الأعلى من المطبخ مفكرة ، هل سأضطر إلى شرب هذا الشىء الغريب الذى يحبه الناس وبعد لحظات من التفكير شعرت به يقف على باب المطبخ ثم يقول:
- أنا قلت كدة برضة .. مش هتعرفى طريق الشاى والسكر
أقترب من مكانى ورفع سبابته وهو يشير إلى علبة الشاى وقبل أن أمسك به ألتقطه سريعًا وقال وهو يشير إلى وجنته بابتسامة:
- كده ببلاش ؟
ابتسمت وطبعت قبلةً سريعة على وجنته ثم مددت يدى لآخذ العلبة منه ولكنه قال:
- لالالا دى معجبتنيش .. واحدة تانية بسرعة
قالها وأشار الى شفتيه ، فهل أرفض وأضحى بالشاى الذى صرت أعشقه ! .

***

أستيقظت صباحًا على صوت طرقات على باب الغرفة وصوت أدهم ينادينا لنستيقظ ، نهضت منال بتكاسل وعدلت من مظهرها ثم فتحت له الباب ، أعتدلت بسرعة وحاولت ترتيب شعرى المبعثر حول وجهى وقد دخل الغرفة قائلة بنشاط :
- صباح الخير
أخذت منال منشفتها وهى تجيبه ثم تقول متسائلة:
- بابا عامل أيه دلوقتى
أخبرها أنه استقيظ وينتظرنا على مائدة الأفطار التى أعدته والدته كاوليمة فرحة باستعادة زوجها صحته الغالية ،
ثم التفت نحوى قائلاً بابتسامته الجذابة:
- صباح الشهد
ابتسمت بخجل وخرجت من الغرفة مسرعة تاركة قلبى مازال قابعاً بين يديه منذ الأمس.
أحتضننى والده بحنان مرحباً بي قبل أن يجلسنى عن يمينه حول مائدة الأفطار بينما جلست زوجته فى الاتجاه الآخر تربت على يده من وقت لآخر بحب وعطف جذب شجونى وتعلقت نظراتى بهما ، بينما

أخذ أدهم وهشام بتبادل الدعابات، ولا نملك أنا ومنال ووالدته ووالده إلا الضحك المتواصل.
بعد لحظات ألتقت عيناي بعينيه ، وفى غفلة ممن حولنا أرسل لى قبلة فى الهواء ، تلقيتها بأبتسامة خجلة وتركت عيناى تبتعد عنه فهو لن يتوقف أبداً والتفت إلى والد أدهم وقلت له بود:
- بس حضرتك يا عمى خضتنا عليك أمبارح .. الحمد لله أنك بخير
أجابنى بحنان:
- والله يا بنتى ده أنا اللى عاوز أتأسفلكوا .. جبناكوا فى وقت زى ده وكمان فى المواصلات زى جوزك ما قالى
لا أعلم لماذا أنتشى قلبى سعادة وهو يقول كلمة "جوزك "..أول مرة أشعر أنى أنتمى إليه وأنا سعيدة بذلك
- بصراحة يا بابا هى اللى صممت تيجى معايا تطمن عليك
قال والده معاتبًا وهو يحدث زوجته:
- أحنا مش اتفقنا قبل كده تبطلى قلقك ده .. أنا مش عارف أنتِ بتخافى عليا أوى كده ليه
- متقولش كده .. لو مكنتش أخاف عليك أومال أخاف على مين ..هو أنت فى حد فحنيتك يا أبو أدهم
جذبنى ذلك الرجل العطوف فوجدتنى أقول له بابتسامة مشاكسة:
- أنا كده عرفت السر يا عمى
- سر أيه يا بنتى؟

- سر حنيت أدهم .. أتاريها بالوراثة بقى
نظر لى أدهم نظرة حب طويلة أعقبتها تنهيدة من منال وهى تقول:
- شايف يا عم هشام الحب .. أظاهر كده أنا راحت عليا
قال هشام على الفور:
- لا يا حبيبتى مين ده اللى راحت عليه ..أنا ساكت بس بستمتع بوصلة الحب الصباحية دى لكن أنتِ عارفة أنك فى الحتة الشمال

أنهينا الأفطار سريعًا ودخلت لأرتداء ملابسى وأستأذنا الجميع للعودة إلى عش الزوجية لكن والدته أبت بشدة ورفضت رفضًا قاطعًا وأصرت على بقائنا للغذاء ، حارب معها أدهم كثيرا ولكن دون فائدة ، وأخيرًا أستخدمت والدته السلاح المناسب الذى لا يستطيع مقاومته قائلة:
- يا واد أقعد ده أنا عاملة ورق عنب وكوارع
نسي أدهم أحلامه الرومانسية قائلاً بلهفة:
- بتقولى أيه يا حاجة.. ورق عنب وكوارع .. أشطة عليكى

أستسلمنا فى النهاية وتبعنا والدته إلى المطبخ لمساعدتها فى الطبخ وقد ساد جو من المرح لا ينقصه إلا والدتى وتكون الصورة قد أكتملت، هكذا عبرت عن ما يجول بخاطرى أمام منال و والدة أدهم التى قالت على الفور:
- والله فيكى الخير يا بنتى خدتيها من على لسانى .. روحى يا منال أطلبى الحاجة وناديني أكلمها
وهكذا اكتملت الصورة وبها كل من أحب، الصورة المثالية للعائلة البسيطة المُحبة التى كنت أتمناها،
لا أعلم لماذا دمعت عينى وأنا أنظر إلى الجميع على طاولة الغذاء وهم يأكلون ويتضاحكون.
لم يلاحظ أحد منهم دمعة سريعة فرت من عينى فمسحتها على الفور ولكننى كنت مخطئة ، لقد كان هناك من يلاحظ ويراقبنى عن بُعد ويسألنى بقلبه عن هذه الدمعة، لم ألاحظه إلا عندما سمعت صوت والدته تقول:

- مالك يا أدهم مبتاكلش ليه يا حبيبى؟
أنتبهت له وهو ينظر لي بشرود ويقول لوالدته :
- مفيش حاجة يا ماما ..
أنهى طعامه وقام ليغسل يديه ، قمت خلفه مباشرة و وقفت بجواره أحمل المنشفة وأنتظره ،أنتهى من غسل يديه وأخذ المنشفة مني وهو يقول بصوت خفيض:
- ايه الدمعة اللى شوفتها دى ..ممكن أعرف؟
قلت بحرج:
- أنا آسفه .. مش عارفة جرالى أيه
- أنتِ فاكرانى هقتنع كده يعنى؟
قاطعنا صوت والدته تنادينى لأستكمل طعامى ، جلسنا بصحبتهم قليلاً قبل أن ينهض هشام راغباً فى المغادرة لموعد لديه واصطحب معه زوجته ووالدتى ، ودلفت إلى الغرفة لأبدل ثيابي بينما لحقنى أدهم وأصربشدة أن يعلم سبب دموعى .
لم أكن أعلم سببها بوضوح ولم يستطع أدهم استيعاب أن صورة أسرتهم هى التى أثارت شجونى فخنقتنى غصة فى حلقى وانفجرت دموعى وأنفجر معها ألم السنين وأنا ألهث قائلة :
- أنا عمرى ما كنت زى كل البنات ..كل البنات كان ليها أب أو أخ يخدها فى حضنه ويعلمها الحياة فيها أيه .. والناس بره البيت شكلها أيه .. إلا أنا
عمره ما خدنى فى حضنه.. عمره ما طبطب عليا.. حتى لما كان بيشوفنى تعبانة كان أكبر حاجة يقولها "ودوها للدكتور مش عاوز وجع دماغ"
عمره ماقالى مالك يا بنتى .. بنات أيه اللى المفروض أبقى زيهم ؟!.. البنات اللى كنت بشوفهم متعلقين فى ايد أبهاتهم واخواتهم .. البنات اللى كنت بدخل بيوتهم وبشوف علاقتهم بأبهاتهم أحس أن أنا يتيمة ...أنا يتيمة من زمان أوى يا أدهم.. أنا كنت دايما يتيمة حتى لما كان أبويا عايش.. علشان كده لما مات محستش أنه مات ..لأنه كان ميت من زمان أوى .. زى ما مشاعرى كانت ميتة من ناحيته من زمان.. ومش كده وبس.. أنت عارف ؟... أنا كنت بشوف زمايلى فى المدرسة ماشين جنب أخوتهم بيوصلوهم وبيطمنوا عليهم.. وأنا الوحيدة اللى أخويا بيمشى ورايا .. بيراقبنى ..عاوزنى أغلط أى غلطة علشان يفضحنى ..ليه ؟!! .. ليه كده ..طب ما يفهمنى الدنيا .. ما يفهمنى الولاد بيعملوا ايه وأزاى أخلى بالى من نفسى .. ما يفهمنى يا أدهم بدل ما يراقبنى ويحسسنى أنى مجرمة على طول..
أنت عارف يا أدهم أنا أيه أول حاجة حبتها فيك؟..علاقتك بأختك .. حبك ليها هزارك معاها .. بتتفاهموا مع بعض بالنظرة .. ده غير علاقتك بأختك هيام ووقوفك جنبها وخوفك عليها ونصحك ليها ولجوزها وتحملك مسؤليتها ومسؤلية بنتها..أتمنيت تبقى أخويا أنا .. وأبويا أنا .. أنا كنت محرومة دايما يا أدهم .. حرمونى من كل المشاعر اللى فى الدنيا .. أنا كنت عاملة زى الأرض العطشانة اللى بتترجى أى نقطة مية حتى لو كانت دموع.
وفى هذه اللحظة زاد أنتفاضى ونشيجى وكأنى أنعى إليه نفسى وهى على قيد الحياة، حتى قدماي تخلتا عنى وتركتنى لأسقط .. لكن أدهم أنتبه لذلك رغم دموعه وأحتضننى ، سكنت فى أحضانه فترة ليست بالقصيرة أبكى وأبكى وأرتعش ، وكأننى أروى جوارحى من عطش السنين العجاف، ظل أدهم صامتا وهو يحتضننى بقوة ويربت على ظهرى ويمسح على شعرى وعندما هدأت وسكنت تماما قال بعد تنهيدة طويلة:
- ياه يا منى.. متكلمتيش ليه معايا من زمان .. عارفة يا حبيبتى أنا أيه أكتر حاجة كانت بتصبرنى على بعدك عني ؟ مش عارف ليه كنت دايما بحس أنك بنتى وأنك محتاجانى زى منال بالظبط .. أنتِ كل أهلى وأنا كل أهلك يا منى ، ترضى بيا ولا ترفضى ؟
نظرت له من بين دموعى بامتنان وقلت بنبرة متعبة:
- المهم أنت اللى ترضى عني بعد كل اللى عملته فيك

- عملتى أيه ؟..أنتِ حبتينى وخلتينى أحبك ..هو ده اللى أنتِ عملتيه فيا.. هو فى أجمل من كده

شعرت براحة نفسية لم أشعر بها من قبل ، شعرت أننى قد وجدت نفسى أخيراً ، لقد كانت أكبر غلطة أرتكبتها هى بحثي عن نفسى فى مكان آخر بعيداً عن هذا الحبيب ، ولا أعلم لماذا عادت إلى مشاعر لم أشعر بها من قبل نحو أبى ووجدت نفسى أبكى لوفاته وكأنى لم أعلم بها إلا اليوم !.

***

وكأننى أرى الطريق إلى منزلى لأول مرة ! ، فتحتُ زجاج النافذة وبدأت أستمتع بالهواء العليل، وكأن النسيم قد شعر بذلك فأخذ يداعب وجهى من وراء غطاءه ، لاحظ أدهم استمتاعى فتركنى حتى انتهيت وعدت ألتصق به وأقول:
- الله المكان هنا حلو أوى
قال بتعجب:
- غريبة أوى ..أنتِ أول مرة تشوفيه ولا ايه
- بجد حاسة أنى أول مرة أشوفه
- طب ألحقى بقى استمتعى بيه .. أمبارح هشام كلمنى على فرصة كويسة أوى معاه هناك وانا وافقت .. يعنى هنسافر بعد امتحاناتك على طول بإذن الله

تعلقت بذراعه وقلت بسعادة:
- بجد يا أدهم .. يعنى هنبقى مع هشام فى نفس البلد
أجاب مؤكدا ثم تابع بابتسامة:
- وخدى بقى المفاجأة الكبيرة دى .. هشام أول ما يسافر هيرتب نفسه علشان يبعت ياخد مامتك وتسافر معانا .. أحنا أتكلمنا فى الموضوع ده امبارح وهو عارف انها مش مرتاحة مع طارق ومراته وانتِ عارفة هى ومنال بيحبوا بعض ازاى
ضغطت على يده من فرط سعادتى وكدت أحتضنه فى سيارة الأجرة فضحك بخفوت وهو ينظر لي بحنو بالغ ويستكمل حديثه:
- مسألتيش يعنى هنعمل أيه فى دراستك ؟!
أرخيت رأسي على كتفه قائلة:
- مش مهم
ضحك ثانية وقال:
- هنبقى ننزل على الأمتحانات
شعرت فى هذه اللحظة بأن أدهم حقق لى أغلى أمنياتى ، سوف يجمعنى بكل من أحب فى مكان واحد، وسيبتعد بي عن القلق والذكريات الأليمة المقززة ، أزداد حبه بداخلى وقد تحولت نبضات قلبي إلى طرقات تطرق باب قلبه .

***

عندما دخلنا بيتنا وقفت مكانى بخجل وكأننى أدخل بيته للمرة الأولى ،نظر لى وهو يقول بتساؤل:

- فى ايه مالك؟
تورد وجهى بحمرة خفيفة بمزيج من السعادة والتوتر والخجل وقلت بخفوت:
- مفيش بس حاسه أنى أول مرة أدخل بيتك
أقترب مني بابتسامة شغوفة وهو يقول:
- لاه ده أنتِ حالتك دى ميتسكتش عليها أبدًا
فررت منه بخجل وهو يتابعنى بنظرات جريئة متفحصة آراها فى عينيه صريحة للمرة الأولى وهو يزفر بنفاذ صبر قائلاً:
- يالا أدخلي البسي فستان فرحنا
قلت مداعبة:
- وأنت مش هتلبس بدلة الفرح؟
قال بمزيج من المزاح والحنين:
- طبعا هلبسها .. فى عريس يحضر فرحه اسبور كده

***

منحنى أدهم مهلة مفتوحة من الوقت لأستعد وأرتدى فستان زفافى .. نظرت فى المرآة وأنا أضع لمساتى الأخيرة على وجهى بعد أن ثبت الوشاح الأبيض أسفل شعرى المرفوع، ثم وقفت أتأمل ملامحى بثقة وأخذت أدور حول نفسي متأملة نواحى ثوبى المزينة بالتل الأبيض، تأخرت بعض الوقت حتى أنتهيت فسمعته يطرق الباب وهو يقول مداعباً:
- كده بقى خدتى وقت مضاعف وهحسبه من الوقت بدل الضايع .. خلاص ولا لسه ؟
أستدرت فى مواجهة باب الغرفة وقلبى يخفق بجنون وقلت :
- خلاص
فتح الباب ببطء و دخل بخطوات هادئة ، نظرت إلى حلته الرائعة ، كانت به وسامة وجاذبية لم أشاهدها من قبل ، وقد علت وجهه أبتسامة رضا وشوق مطولة مختطلة بنظرات لم أراها فى عينيه من قبل وكأنه كان يخبئها لتلك اللحظة ، لم يترك كلمة مديح إلا وقالها لم يترك كلمة غزل إلا وغازلنى بها حتى ذابت مشاعرى وأشتاق له قلبى ، ولأول مرة أسمع منه هذا الدعاء (اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) .

ونزلت علينا ستائر الوصال .... ولم يعد بيننا شىء محال ... وصعد بى فوق كل التلال
وقذف بى فى بحر الخيال ..... ولم يعد حبنا كلام يقال .... وأصبح زوجى هو معنى الجمال
وذقت معه كل حب حلال

***

الأخير

من المؤكد أن السماء لم تتغير منذ خلقها الله وكذلك البحار والهواء ، فلماذا فى بعض الأحيان نتصور أن هناك تغيراً ما قد طرأ على الأشياء والأماكن ؟!، لماذا نعبر طريق بسعادة وفرحة قد كنا نعبره من قبل كثيراً ولكن بقلوب حزينة وعيون بائسة ؟! ، تحين لحظة ما نظن فيها بأن الطريق قد أختلف ، هو لم يختلف ، نحن من أختلفنا ، أو بمعنى أدق حدث ما جعل مشاعرنا تجاهه تختلف ، فأصبحنا نرى طيور السماء تنشد بسعادة وترفرف بقوة بعد أن كنا نظن أنها تندفع نحو الهاوية ، رأيناها تلمس مياة البحر للصيد أو الشرب بعد أن كدنا نظن أنها تقدم على الأنتحار وفى اللحظة الأخيرة تتراجع ، نشعر بالنسيم يداعبنا بعد أن كدنا نظن أنه يصفعنا ويدفعنا للخلف غير عابىء بسقوطنا .
تتكشف أمامنا حقيقة قد غابت عنا أو نحن من غبنا عنها وهى أننا نرى العالم حولنا من داخلنا أولاً ، فتنعكس تلك الرؤيا فى مرآة عيوننا التى يطل الفؤاد من خلف زجاجها البراق اللامع ، ليجعلنا نرى بها ما حوته صدورنا وما تغلل فى أعماقنا لذلك قيل " كُن جميلا ترى الوجود جميلا " .

- هى مرسى مطروح احلوت كده ليه ؟!

رفعتُ رأسي لأنظر إليه بابتسامة براقة دون أجابة ، ثم عدت متأملة فى الصفحة الزرقاء الممتدة أمامى فأعاد سؤاله مُكرراً وهو يضغط أصابعي الحبيسة بين أصابعه برفق قائلا بألحاح:
- بقول مرسى مطروح أحلوت كده ليـــــه ؟
أبتسمت ثانية متحاشية النظر إليه قائلة :
- معرفش
ضحك من شدة خجلي وقال مشاكساً:
- بس أنا بقى عارف
ضربتُ ذراعه بقبضتي وهو مازال يضحك بشغف يستفز اللون القانى الذى يحب أن يختلط به لون بشرتى على أثر كلماته ، وحتى وإن لم يره بسبب غطاء وجهى ولكنه يكتفى بتخيله وانا أهتف بتبرم :
- قولتلك بطل تكسفنى كل شوية يا أدهم
ضحك مجدداً يشاكسنى وهو يقول :
- خلاص والله هحاول ابقى مؤدب .. محاولة مش وعد
كدت أن أضرب ذراعه بتبرم مرة أخرى ولكن ارتفع رنين هاتفي يوقفنى، حتنى أدهم على السير وانا أخرج هاتفى من حقيبتى الصغيرة ، أبتسمتُ عندما رأيت اسم حياء تنير به شاشة هاتفى فقلت له على الفور:
- دى حياء صاحبتى
- سلميلى عليها
قطبت جبينى نظرت إليه شذراً فقال سريعاً :

- متسلميش عليها
وأخيرا وقبل أن ينقطع الرنين أجبتها بسعادة يفشى سرها نبرة صوتى :
- السلام عليكم ... حياء وحشتينى
زفرت حياء بقوة ثم قالت :
- اشهد أن لا اله إلا الله .. ايه يا بنتى بقالك أسبوع قافله تليفونك ليه ؟ قلقتينى جدا
ابتسمت وألقيت نظرة نحو أدهم السائر بجوارى متأملاً فى البحر وقلت بصوت حاولت أن اجعله خافتاً:
- معلش يا حياء أصل أحنا فى مرسى مطروح بقالنا أسبوع
أستوعبت حياء الأختلاف الذى طرأ على نبرة صوتى وقالت بتساؤل مزيف:
- بتعملوا ايه فى مرسى مطروح؟
أخفيت كلماتى أكثر أجيبها :
- يعنى .. أجازة
هتفت حياء مداعبة بمزاح قائلة:
- أوباااا .. يا حلوة يا بلحة يا مقمعة ..شرفتى اخواتك الاربعة
ضحكتُ بشدة فنظر لي أدهم بابتسامة ثم عاد بعينيه إلى البحر مرة أخرى ومازالت ابتسامته عالقة بشفتيه فقلت أحاول إسكاتها :
- أسكتى بقى .. ده انتِ فضيحة
ضحكت حياء بسعادة وقالت على الفور:
- خلاص يا ستى مش هطول عليكى بقى .. لما ترجعى القاهرة كلمينى على طول .. سلام
أنهيت المكالمة وشرعت بإعادة الهاتف إلى حقيبتى بينما رفع أدهم نظارته الشمسية للأعلى قليلاً وهو ينظر إلي ويدندن بمزاح قائلا:
- يا حلوة يا بلحة يا مقمعة.. شرفتى اخواتك الاربعة
نظرت له بذهول وقد احمر وجهي بشدة و صرخت به:
- أنت كنت مركز معانا للدرجادى!!
ضحك بقوة وهو يلف كتفي بذراعه فدفعته بعيدًا بضجر، أنجح أحيانًا فيتركني ثم يعود ليضمنى ثانية ولكن لا تزال ضحكاته المتوالية تشعرني بمزيج عجيب من الحنق .. والحب .

***

عدت من مرسى مطروح بروح جديدة وقد تبدل حالى وكأنى فتاة أخرى تماماً واختلفت نظرتى لكل ما حولى ، انشغلت بدراستي وصارت علاقتى بـ حياء علاقة هاتفية عن طريق الهاتف فقط فهى أيضا انشغلت فى دراسة جديدة بدأت بها فى أحد المعاهد الشرعية الأكاديمية ، زادت انشغالى واعبائى بعد معرفتى بنبأ حملى ولكن سعادتى طغت على كل ما دونها من مشاعر ومع الوقت وبمساعدة أدهم خفت الأعباء قليلاً وبدأت أعتادها ، حتى تجاوزت اختبارات نهاية العام ، وعندها أخبرنى أدهم بأنه قد حان وقت الاستعداد للسفر للخارج فهاتفت حياء ورجوتها أن تأتينى لأراها وأجلس معها قليلاً قبل سفرى فالحمل يستنزف كل طاقاتى ، وافقت حياء على الفور وحددت معى موعد وجاءت لزيارتى بالفعل ، احتضنتها بشوق جارف أرحب بها وعندما جلسنا وسألتنى عن أحوالى وماذا فعلت فى الشهور الماضية بدأت أقص عليها كل ما حدث معى بما فيها مقابلتى مع سامح وياسمين فى الحافلة .
كانت تستمع لي بعيون متسعة دهشة وقلق وعندما انتهيت من حديثي رأيتها تحرك رأسها غير مصدقة وهى تقول بشرود:

- ياه .. معقول !
ثم تابعت ساخرة :
- قال وانا اللى كان ضميرى بيأنبنى بسببه
ثم ابتسمت فجأة وأمسكت بيدى وشدت عليها فشعرت بقشعريرة تسرى بجسدى عندما سمعتها تقول :
- ياه يا منى .. ده ربنا حنين أوى علينا احنا الاتنين يا بنتى
ثم تمتمت تشكر الله وتحمده من قلبها فقلت على الفور :
- أنا كمان عملت كده يا حياء.. فضلت أحمد ربنا واشكره .. ده مش بس ربنا رأف بيا وخلى واحد زى ده يسيبنى ..لاء كمان رزقنى بزوج حنين وعطوف زى أدهم .. صحيح ربنا مبياخدش مننا حاجة غير لما يدينا حاجة تانية أحسن منها بكتير
أبتسمت حياء بعيون دامعة ثم قالت بمزاح متسائلة:
- يعنى بعتى القضية وبقيتى تحبى الشاى ؟
ضحكت وانا أومىء برأسي مؤكدة فتابعت بتأثر مصطنع :
- مبروك عقبال القهوة
بادلتها مزاحاً بمزاح قائلة:
- عقبالك يا حياء
تنحنحت وهى تبتسم بخجل مصطنع قائلة:
- قريب ان شاء الله
أتسعت عيناي متفاجأة فقالت على الفور:
- مالك اندهشتى كدة ليه .. انتِ عارفة انا بيتقدملى عريس مع موسم حصاد
ضحكتً وانا اتشبث بيدها متسائلة بلهفة:
- مين ده .. وأهلك رأيهم أيه .. ووافقتى عليه ولا لسه .. اعترفى
قالت بتفكير:
- ده زميلى فى المعهد الشرعى وصاحب زوج جيهان صاحبتى .. جيهان قالتلى انه متابع تحركاتى من بداية السنة وعاوز يتقدملى قبل ما نبدأ فى الامتحانات بتاعتنا بس انا طلبت منها نقعد مع بعض الأول فى كافتريا المعهد علشان لو مفيش نصيب ميحصلش مشاكل زى كل مرة فى البيت
صمت قليلاً أفكر بحديثها ثم قلت متسائلة:
- ده كده يبقى مش جاهز للجواز طالما لسه بيدرس
نظرت لي شذراً هاتفة:
- أعمل فيكى أية يا هبلة انتِ .. يابنتى ده معهد دراسات عليا يعنى هتلاقى فيه مهندسين ودكاترة ومحامين وغيرهم كتير وكلهم ناس اتخرجوا وبيشتغلوا .. ده احنا معانا ناس معدية الأربعين سنة
هززت رأسي بفهم ثم تسائلت:
- طب ومتقعديش معاه فى البيت ليه .. اشمعنى فى المعهد
- علشان كل مرة بيجيلى حد وبرفض لأى سبب البيت كله بيتقلب عليا كأنى عملت جريمة.. وانا مش ناقصة يا منى كفاية اللى بيحصلى منهم من ساعة ما رفضت سامح..
قطعت حديثها فجأة والتفتت نحوى متسائلة عندما وجدت عيناى تجوب أرجاء شقتى بشرود :
- مالك؟
- رغم انى ليا فيها ذكريات جميلة مع أدهم لكن مش حابة أفضل ساكنة فى مكان ممكن يفكرنى بالذنب اللى كنت فيه زمان .. ويمكن ده أكتر سبب مخالينى مبسوطة من السفر
قالت حياء بتعجب :
- ياه يا منى للدرجة دى
قلت وأنا أشعر بالأشمئزاز من تاريخى الغابر:

- قد أيه زعلانه من نفسى وخايفة من ذنبى وبدعى ربنا يسامحنى ليل ونهار.. أنا مش عارفة كنت مستعجلة على الحب ليه.. لو كنت اهتميت بمذاكرتى وصاحبت بنات محترمة فى الكلية مكنتش هتبهدل كده .. والله أعلم كان هيحصلى أيه وربنا سترنى بستره .. كان زمانى احتفظت بمشاعرى كلها لجوزى ومحستش معاه بتأنيب الضمير اللى بحسه مع أدهم ..
شدت حياء على يدي وقالت بثقة :
- يا بنتى انتِ توبتى وانا أحسبك مخلصة فى توبتك .. والدليل على كده الحالة اللى أنتِ فيها دلوقتى .. يا منى التائب من الذنب كمن لا ذنب له .. و ضميرك ده شيء طبيعى يتعبك شوية لكن لما تحسنى معاملتك لزوجك وتحبيه أكتر هتحسى بالراحة .. واللى بيفتكر ذنبه كل شوية دى علامة كويسة أوى لأنه بيفضل طول الوقت منكسر لله وبيجدد توبته دايماً.

***

ألتفت بعض الفتيات داخل المعهد الشرعى وفى الكافتريا وعلى أحدى الطاولات حول حياء وهى تقوم بشرح المخلص الذى عملت على إعداده طوال السنة الدراسية لمادة مقارنة الأديان ، وبحماس شديد أخذت تجيب اسألتهن حول المادة ، حتى قطع حديثهن اقتراب أحدهم ثم بجرأة يسحب مقعداً ليجالسهن قائلاً بابتسامة ممطوطة :
- ممكن احضر الشرح
أتسعت أعين الفتيات وقبل أن تهتف حياء به معلنة قلة ذوقه شعر الشاب بمن يسحبه من مرفقه ليجعله يستقيم واقفاً مرة أخرى ، مالت جيهان نحو أذن حياء هامسة:
- هو ده أسامة
نظرت لها حياء بجزع وهمست:
- الكائن اللازج ده !
هزت جيهان رأسها نفيًا وهى تحاول كتم ضحكتها قائلة بخفوت :
- لا .. التانى
أعادت حياء رأسها إليهما مرة أخرة وشاهدت أسامة يسحب الشاب الآخر من مرفقه بخشونة وينظر إليه بنظرات حادة وهو يأمره بالأبتعاد عنهن ولا يكرر تلك المحاولات السمجة التى لا تتناسب مع كونه طالب فى أحدى الأماكن التى تدرس المواد الشرعية.
حسمت حياء الأمر وهى تصرف نظرها عنهما وتعود به إلى صديقاتها قائلة بجدية :
- يالا بقى نكمل الفصل اللى مش عاوز يخلص ده .
وتابعت شرح المتبقى من هذه الجزئية بنفس الحماس الذى لا يخلو من المزاح وهى تشعر بأنه يلاحظها عن قرب ، منتظراً النصف ساعة المتبقية على موعدهما بنفاذ صبر.

***

حضر زوج صديقتها جيهان إلى المعهد بناء على الموعد المحدد سابقاً ، وبناء على طلب حياء جلس الأربعة حول طاولة واحدة كبيرة فى مشهد قد تكرر سابقاً مما جعلها تبتسم ساخرة بداخلها متعجبة مما يحدث لها ، انشغلت جيهان بالحديث مع زوجها ليتركا لهما المجال للحديث سويًا بدون تدخل وصمتت حياء تنتظره يبدأ بالكلام فساد الصمت للحظات ، حاولت هى أن تتحدث كما تفعل مع كل

شخص يتقدم لطلب الزواج منها وتغمره بالأسئلة والتفسيرات والتحقيقات ولكنها ابتلعت لسانها ولا تعلم كيف تستعيده ، قرر قطع الصمت أخيراً بعد ان انتهى من نظراته المتفحصة قائلاً بهدوء:
- ازيك يا آنسة حياء
- الحمد لله
- عايزة تسألينى على حاجة الأول قبل ما اتكلم؟
حاولت استعادة "جبروتها" المعتاد مع العرسان ولكنها فشلت هذه المرة ووجدت نفسها تقول:
- أنا عاوزة البس النقاب ووالدى مش موافق.
أستعاد رباط جأشه عندما شعر بضعفها وقال بابتسامة خفيفة :
- بس انا موافق ..
أبتعلت ريقها وهى تحاول أن تبدو أكثر سيطرة على الموقف وقالت :
- حضرتك محامى مش كده ؟
- ايوه
صمتت فقال متابعا :
- بس متتقلقيش .. كل مهنة فيها الحلو وفيها الوحش .. وانا بحاول على قد ما اقدر ابعد عن أى شبهة وماقبلش قضية فيها شبهة ظلم أو حرام
تنفست الصعداء وهى تتمتم:
- ممتاز
لم تعقب بأكثر من هذا فانطلق فى الحديث وبدأ يتحدث عن نفسه وعائلته وأخوته وكيف التزم و المصاعب التى يواجهها بسبب اللحية وإن كانت خفيفة فى عمله وتمسكه بها رغم كل شىء، ثم اختتم حديثه وهو يقول بنظرة أحبتها :
- على فكرة أنتِ متكلمتيش خالص
ثم تابع بابتسامة مداعبة :
- بس انا عارف ليه
أعتدلت فى جلستها وهى تتسائل بارتباك :
- ليه ؟
أتبسم بثقة وحاول أن يكون صوته خفيضًا وهو يتكأ على سطح الطاولة قبل أن يلقى نظرة نحو صديقه وزوجته ، وعندما وجدهما مازالا منشغلان بالحديث سويًا ، نظر إليها بأعين تقول الكثير وقال :
- هقولك بعد كتب الكتاب إن شاء الله
نهضت حياء واقفة متوترة وهى تقول بتعجل :
- طيب نستخير الأول وربنا ييسر.. عن أذنكوا
ألتفت جيهان لنهوضها المفاجأ وقبل أن تسألها كانت قد غادرت على الفور بخطوات مرتبكة.

***

كانت جلسة رؤية شرعية معتادة فى المنزل ، لم تخلو بالطبع من كلمات والدتها المرحبة به وبعائلته ومن بعض كلمات والدها المقتضبة والتى تعبر عن أستياءه من اللحية ووصفه للملتحين بالتشدد الزائد فى الدين ، لكن أسامة كان بالتعقل الكافى الذى جعله يجيب بلباقة وعبارات هادئة لا تفسد الأمر برُمته ،بينما جلست حياء بالداخل بصحبة والدته ، وبعد قليل أتت والدتها لتحثها على الخروج للجلوس معه قليلاً كما هو المعتاد ، بمجرد خروجها لاحظت نظرات والدها تتابع حركاتها وكلما نظرت

إليه وجدت فى عينيه نظرة حادة تشير إلى الرفض ، وبرغم التأثير السلبى الذى وقع بها موقع حزين إلا أنها تناستها تمامًا عندما سمعته يقول بحرج مكرراً نفس عبارته فى المعهد :
ـ أزيك يا آنسة حياء ؟
لم تستطع النظر إليه بشكل حقيقى إلا نظرات خاطفة وهى تجيبه بكلمات قليلة ، نهض والدها وتركهما وأنصرف بضجر ، لقد كانت تظن أنه سيبدء بالحديث عندما ينفرد بها ولكنه لم يفعل ، كان ينظر للأسفل مطرقًا بوجهه ويبدو عليه التوتر بعض الشىء وكأن عدوى القلق قد أنتقلت إليه منها مما شجعها إلى النظر إليه مليًا ، فاجأها بنظرة متفحصة وقد رفع وجهه وقال :
ـ أخبار المذاكرة أيه
ـ الحمد لله
ـ طب أخبار الملخصات اللى بتعمليها أيه
أبتسمت وقالت :
ـ تمام
قال بهدوء :
ـ طب ممكن أحجز نسخة ، خصوصًا لمادة مقارنة الأديان؟
أبتسمت مرة أخرى وقد ذكرها خفية بالموقف الذى حدث بالمعهد ، فتابع قائلا بدعابة:
ـ متخافيش مش هاخدها ببلاش ..هاديكى ملخص لمادة المواريث
نظرت نظرة خاطفة ثم قالت بخفوت :
ـ بجد محتاجاها جدًا .. المادة دى صعبة أوى
مال للأمام قليلا وتابع بخفوت وشغف :
ـ متقلقيش أنا هبقى أشرحهالك بطريقة سهلة جدااا
لم تمض ثوانى حتى عاد والدها مرة أخرى فنهضت وغادرت الحجرة ودلفت للداخل تنضم للنساء التى تبادلن الأبتسامات واحدة تلو الأخرى وهن ينظرن إلى تلون وجهها الذى لم يجعل من الصعوبة التكهن بقرارها .
بمجرد أنصرافهم دخل والدها غرفتها وقال بعصبية :
ـ ده بيقول عاوز يكتب الكتاب على طول
قالت والدتها على الفور بتفهم :
ـ آه علشان يعرف يقعد معاها ويتكلموا
أجابها بعصبية أكبر :
ـ كل الناس بتتخطب وبيقعدوا مع بعض برضة .. مسمعتوش عن حاجة اسمها خطوبة
قالت حياء على الفور :
ـ طب نستخير يا بابا الأول
لوح بيده وهتف بضيق وقد لمح القبول بوجهها :
ـ أنتِ حره .. أنا مش هضغط عليكى بس لو حصل حاجة بعد كده متجيش تعيطيلى .. أنتِ اللى اختارتيه وأنتِ اللى تتحملى النتيجة لوحدك من غير ما تفتحى بؤك بعد كده بكلمة.
أنهى كلماته الحانقة وخرج على الفور وتبعته والدتها محاولة تهدئته ، أما هى فقد احتقن وجهها بشدة بالدماء ولمعت عينيها بالدموع رغما عنها . نعم هى اختارت على أساس الدين والأخلاق ، ولقد شاهدت بعض من تعاملاته فى المعهد خلال الأيام السابقة منذ عرفت برغبته للزواج منها ، لم تجد فيه ما يسيىء ولكن فى النهاية تحتاج الفتاة أن تشعر بان بيت أبيها سيسعها لو لجأت إليه فى يوم من الأيام ، لماذا يقطع عليها الطريق ويهددها بعدم الوقوف بجوارها اذا حدث لها ما تكرهه وتستبعده ، لماذا يشعرها أنها بمجرد قبولها به سوف تنقطع من رعاية أبيها وحمايته، هى تعلم أنه ليس تهديد أو

توعد فقط ، فلقد فعل ذلك بالفعل مع أخوتها جميعًا . عند هبوب أى عاصفة مفاجأة على بيت أحداهن وتأتى للجوء له يصرخ بها " ماليش دعوى أنتِ اللى أختارتيه " .
شعرت أنها بمثابة الصعود إلى سفينة حياتها التى ستحملها إلى الطريق التى كانت تتمناه وتحلم به ولكن على يقين أنها أذا قررت اللجوء إلى المرفأ عند حدوث أى عطل بفعل رياح الأيام فستجده موصداً بوجهها ، أى أنها رحلة بلا عودة.
أضطربت وخفق قلبها بشدة وهى تقف بين يدي الله تطلب منه المعونة والرشاد وحسن التصرف ، فهى وحدها تمامًا ومُخيرة بين الرفض والقبول ولكن ستتحمل نتائج أى منهما وحدها ، أستخارت الله كثيرا ولجأت إليه بكل ما أوتى لها من خشوع أيام وليالى ، وبعد كل مرة لا تشعر سوى بالراحة النفسية الكبيرة التى تدفعها دفعاً نحو القبول .
وجاء القرار بالموافقة صلداً وهى تتغاضى عن كل الأنتقاضات التى وجهت لها بعد أعلانها الموافقة ، وتم تحديد موعداً لعقد القران بعد عشرة أيام فقط وقد فشلت جميع محاولاتها معه لتأجيل الموعد قليلاً ولكنه كان مصراً للغاية وهو يحاول اقناعها قائلاً:
- الامتحانات قربت ..عاوز أعرف اشرحلك براحتى .. و انتِ عارفة المواريث صعبة ومحتاجة شرح بضمير

***

تم عقد القران فى أحدى قاعات المساجد الكبيرة ، قاعة النساء فى الطابق الثانى وقاعة الرجال فى الأسفل ، وبعد رحلة التوقيع على العقد تقبل كل منهما التهانى من الأهل والأصدقاء ، بابتسامة منتشية جلس بجوارها وتعالت أصوات الزغاريد وهو يخرج علبة قطيفة بها خاتم الزواج ويمد يده ببطء ليتناول أطراف أصابعها ، أما هى فقد شعرت فقشعريرة تسرى بجسدها كالتيار الكهربائى للمسته الأولى ، نعم اللمسة الأولى تختلف اختلافاً كبيراً، فهى بالنسبة لها ليست لمسة فقط لأطراف الأصابع وإنما هى لمسة للقلب مباشرة ، الآن فقط تفهمت كلماتي المعذبة عندما كنت أقول لها: "كان نفسى أدهم يبقى أول راجل فى حياتى .. كنت هاحس بيه بشكل مختلف " .
وضع الخاتم فى أصبعها ثم همس بخفوت :
- مبروك
لم يستطع الحديث أكثر من هذا، فنظرات الفتيات كانت تلاحقهما بإصرار حتى أنتهى الوقت المخصص للحفل ، ذهب بعد دعوة والدتها ليتناول العشاء معها فى منزلهما و اجلستهما والدتها فى غرفة بمفردهما وقد جهزت لهما العشاء المعتاد فى مثل هذه المناسبات ، لم تستطع هى أن تأكل إلا قليلاً بسبب نظراته الجريئة المتأملة والابتسامة الشغوفة المشاكسة التى تعلو ثغره والتى زادتها أرتباكًا وتلعثمًا ، وأخيرًا نظرت إليه بارتباك حاولت أن تغلفه بالثبات وهى تقول :
- أيه؟!
رفع حاجبيه بتسائل وقال :
- فى أيه؟!
- بطل تبصلى كده
أستند بمرفقه على الطاولة وقال بثقة :

- أبص براحتى .. أيه هغض البصر عن مراتى كمان ولا أ يه؟
أطرقت برأسها فمد يده ورفع رأسها بأنامله بهدوء ونظر لها نظرات مُحاصِرة وهو يقول :
- بقالى كام سنة جوايا كلام كتير عاوز أقولهولك
نظرت له متعجبة وقالت :
- كام سنة ازاى ..أنت مشوفتنيش غير من السنة دى
وكأننى كنت أدرك أنها لحظة مناسبة لأتطفل عليهما برسالة نصية أرسلتها لها فى تلك اللحظة وعندما قرأت حياء الرسالة أبتسمت رغماً عنها وكأنها ترانى أخرج لها لسانى الآن أشاكسها ، فالرسالة كانت مكونة من كلمتين فقط " يا بختـه " ! .
أخفت ابتسامتها سريعاً قبل أن يسألها عن سرها والتفتت نحوه تكرر سؤالها السابق وقالت :
- مجاوبتنيش على سؤالى .. كام سنة ازاى ؟!
تناول كفها بين كفيه وقال بحب :
- أصل أنتِ أول حب فى حياتى كلها .. أنا من زمان أوى وانا محوش كلام كتير علشان اقوله لمراتى وبس .. وكنت خايف أوى أحسن اللى اتجوزها مقدرش احبها .. لكن أول ما شوفتك حسيت انك مراتى من سنين وان الكلام ده كنت محوشهولك أنتِ بالذات .. علشان كده كنت تقريبا براقبك وبراقب طريقة كلامك مع كل الناس اللى فى المعهد حتى لما كنتى بتتكلمى فى التليفون .. كل حاجة كنتى بتعمليها كنت واخد بالى منها
ثم مال قليلا ليقترب أكثر وقال بهمس :
- فاكرة لما قعدنا مع بعض فى المعهد وانتِ كنتى ساكتة وانا قولتلك انى عارف انتِ ساكتة ليه وقولتلك هقولك بعد كتب الكتاب ؟
اومأت برأسها بصمت فأرسل تنهيدة طويلة ولم تفارقه أبتسامته وقد أطلت من عينيه النظرة التى أحبتها من قبل وهو يقول :
- متكلمتيش علشان كنتى بتعملى المستحيل علشان تخبى نظرة الراحة والقبول اللى طلت من عنيكى غصب عنك.
أرتبكت وحاولت نفى ما قاله وهى تقول بترفع :
- لا أبدا مش كده يعنى
أبتسم وهو يأخذ أصابعها بين أصابعه بقوة وحنان مستشعرًا ملمسها وهو يتأمل وجهها وبيده الأخرى يلامس وجنتها بأنامله قائلاً:
- أنتِ حبتينى زى ما انا حبيتك بالظبط .. أحنا الاتنين بنحب بعض من زمان أوى .. من قبل ما نتقابل وكنا شايلين مشاعرنا لبعض والحمد لله ربنا وفقنا لبعض أخيراً ..
ثم تابع مشاكسًا بمزاح :
- دوختينى يا شيخة حرام عليكى
ابتسمت وهى تشيح بوجهها خجلاً وفرحاً به ، مشاعر كثيرة متداخلة بين حمد الله وشكره وبين مشاعر الحب الحقيقية التى تشعر بها معه ، فها هى قد تذوقت الحب الحقيقى التى كانت تبحث عنه وتنتظره بلا تعجل أو ملل ، وها هو قد أتى يحث الخطى نحوها ويلتهم المسافات إلتهاماً .

***

وضعتُ قلمى وقد انتهيت من سرد حكايتى متسائلة " لمَ العجلة والنصيب آتي لا محالة، لمَ ننشغل كـ فتيات بصنع تمثالاً وهمياً لحب رجل ، بينما ننسى صنع أنفسنا لنكون حلم كل رجل " .

***

تمت بحمد الله

يليها رواية " إغتصاب ولكن .. تحت سقف واحد "